أسّس الأب لويس خليفة (†)
جريدة بيبليا سنة ١٩٩٠
وحُوِّلت إلى **مجلّة بيبليا** سنة ١٩٩٩

في هذا العدد

الافتتاحيّة: الكتاب المقدّس والقرآن،
من التباعد والتجافي إلى التعارف والتلاقي ..... **رئيس التحرير** **٢**

في الجنّة والنّار والحساب وأحوال المَعاد ..... **جوزف قزّي** **٥**

مجيء يسوع المسيح في الملكوت ومجيء المسيح عيسى في مكّة ..... **مارون عوده** **١٥**

العهد والميثاق في الكتاب المقدّس والقرآن ..... **أيوب شهوان** **٢٣**

الركائز الخمسة في القرآن وفي الكتاب المقدّس ..... **أمل حزين** **٣٥**

المائدة النازلة من السماء بين الإنجيل والقرآن ..... **حنّا اسكندر** **٤٧**

من ملكة سبأ إلى بلقيس ..... **بولس الفغاليّ** **٦٣**

فتية أفسس السبعة أو أهل الكهف، إكرام مسيحيّ – إسلاميّ ..... **مارتا باسيل** **٧٥**

قراءة أيقونة البشارة لمريم العذراء على ضوء القرآن الكريم، سورة مريم ١٩،
وإنجيل يعقوب التمهيديّ ..... **بول زغيب** **٩١**

رئيس التحرير:
الأب أيّوب شهوان

هيئة التحرير:
الأب أيّوب شهوان
الخوراسقف بولس الفغالي
الأخت باسمة الخوري
د. دانيال عيّوش
الأخت روز أبي عاد

أسرة التحرير:
الأخت روز أبي عاد
د. نقولا أبو مراد
المطران نقولا أنتيبا
الأب سمير بشاره
الأب جوزف بو رعد
الأم كليمنس حلو
الأب ميلاد الجاويش
الأب أسعد جوهر
الخوري وسام حدّاد
الأرشمندريت جاك خليل
الأب جورج خوّام
الخوري نعمة الله الخوري
الأب لويس الخوند
القسّ عيسى دياب
الأب أندره رزق الله
الأخت دولي شعيا
الأب نجم شهوان
الخوري ميشال صقر
الخوري جان عزّام
د. جوني عواد
الأب أنطوان عوكر
القسّ هادي غنطوس
المونسنيور يوسف فخري
الأخت ياره متّى
الأب هادي محفوظ
الخوراسقف أنطوان مخائيل
المطران بطرس مرياتي
الأب بيار نجم
الخوري جوزف نفّاع
الأب ريمون الهاشم

ISSN 1992-2094

جميع الحقوق محفوظة
مركز النشر والتوزيع
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص ب ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/ ٦٠٠ ٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠ ١٠٠

العنوان
كلّيّة اللاهوت الحبريّة
جامعة الروح القدس – الكسليك
ص ب ٤٤٦ جونيه – لبنان
هاتف: ٠٩/ ٦٠٠ ٠٠٠
فاكس: ٠٩/٦٠٠ ١٠٠
البريد الإلكترونيّ: olmpac@hotmail.com
ayoubchahwan@usek.edu.lb
mimigerges@usek.edu.lb

ثمن العدد
في لبنان: ٧٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج: ١٠٥٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

الاشتراك السنويّ (٤ أعداد)
في لبنان: ٣٠٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها
في الخارج: ٤٢٠٠٠ ل.ل. أو ما يعادلها

طباعة
Daccache Printing House s.a.r.l
عمشيت – لبنان

الافتتاحيّة

الكتاب المقدّس والقرآن
من التباعد والتجافي إلى التعارف والتلاقي

رئيس التحرير

اعتاد الكثيرون على استخدام التسمية "الديانات الثلاث السماويّة أو التوحيديّة"، أو أيضًا "ديانات الكتاب"، والمقصود هو اليهوديّة والمسيحيّة والإسلام، لكنّ العالِمَ بحَقائق كلٍّ منها، وبجوهرها ومعتقداتها وأُسُسِها، لا يَقْبَل بهذا التماهي بين الديانات المذكورة، وتحديدًا بين الأولى والثانية، من جهة، وبين الثالثة، من جهة أخرى. هو الإسلام مَن استنبط تعبيرَ "الديانات التوحيديّة الثلاث"، "ديانات الكتاب"، والتي اعتاد عليها الكثيرون حتّى صاروا يردّدونها وكأنّها من المسلَّمات، عِلْمًا أنّ واقع الأمر هو على خلاف ذلك؛ من هنا كان الالتباس والغموض في هذه التسميات التي ينبغي مناقشتها، هي ذاتها كما أيضًا مضمونها، بطريقة موضوعيّة علميّة تفيد في إبراز حقيقة كلٍّ من الديانات التي نحن بصددها.

فعندما يجري الكلام على "الكتاب"، مثلاً، فأيّ "كتاب" هو المقصود؟ يحتاج هذا السؤال إلى إجابة موضوعيّة واضحة وموسّعة؛ فهذه الديانات الثلاث لا تتضمّن مفهومًا واحدًا "للوحي الإلهيّ"، لأنّ الوحي البيبليّ هو واحد ومتواصل، بينما الوحي القرآنيّ هو مختلف جوهريًّا عن سابقه؛ كذلك هي لا تفكّر بالطريقة ذاتها في علاقتها بـ"الوحي المكتوب"، الأمر الذي يؤدّي إلى تباين مُعْلَن، يُعَبَّر عنه أحيانًا كثيرة، ومع الأسف الشديد، بمواجهات تصل إلى حدّ العنف في مناطق وأماكن عدّة في العالم، وذلك كلّه باسم هويّة هذه أو تلك من الديانات. من الواضح أنّ هناك ديانةً واحدةً تصف ذاتها، وانطلاقًا من نصوص كتابها، بأنّها "ديانة الكتاب"، جاعلةً من كتابها الموضوعَ الرئيسيَّ لِوَحْيِها، هي الديانة الإسلاميّة التي نشأت في شبه الجزيرة العربيّة.

يُقال في القرآن بأنّ اليهود والنصارى هم "أهل كتاب"، أي أنّهم تلقّوا الكتاب وراثةً، لكنّ محمّد لا ينتمي إليهم. ويُتَّهَمُ وَرَثَةُ الكتاب هؤلاء بأنّهم أيضًا ابتعدوا عن الكتاب، وبأنّهم حذفوا بعض أجزائه. هكذا بإمكان الإسلام أن يعتبر ذاتَه بأنّه الديانة التي أتتْ بـ"الكتاب" إلى المنبوذين من الوحي المكتوب.

ليست المسألة مسألة إرجاع نصوص القرآن إرجاعًا ماديًّا دقيقًا إلى الكتاب المقدّس، إنْ مِنْ حيث الاستشهادات وإنْ من حيث الشخصيّات البيبليّة

التي ليست في النصوص القرآنيّة أبدًا نقلاً حرفيًّا عن الكتاب المقدّس. إنّ المقارنة بين الكتاب المقدّس والقرآن تتطلّب منّا، يهودًا ومسيحيّين أوّلاً، أن نتعرّف إلى القرآن، ونكتشفه، مع ما يكتنزه بحدّ ذاته وبالنسبة إلى المسلمين، ونتبيّن الرباط القائم بين المُسْلِم وبَيْنَه، بعد العمل المعمَّق حول العلاقة بين القرآن وما سبقه من كتب مقدّسة عند اليهود وعند المسيحيّين. ويُطلَب الأمرُ عينه من المسلمين، فيتعرّفوا إلى العهدَين القديم والجديد، مع يستتبع ذلك من مواقف لا يجوز أن تكون إلاّ خيّرة وبنّاءة للجميع.

يختبر اليهوديّ أو المسيحيّ العالِمان في الكتاب المقدّس، عندما قراءتهما القرآن، أنّ هذا الأخير يتضمّن عناصر غير قليلة يعرفانها من كتابهما المقدّس؛ فهل نحن أمام تواصل، أم تكامل، أم أيضًا أمام حلول الواحد محلّ الآخر؟ ليس الجواب بالصعب، ولكنّه أيضًا ليس بالسهل؛ فظاهر الكلام في النصوص التي تبدو وكأنّها مشتركة هو ليس كذلك في العمق وفي الواقع؛ كذلك لا يعني تشابه الشخصيّات البيبليّة أنّ المدلولات والأغراض والأهداف هي عينها؛ لذا، فعند تَنَاوُلِ النصوصِ والشخصيّاتِ في البحوث، من الضرورة بمكان التمييز بموضوعيّة متجرّدة وبجدّيّة علميّة بين ما هو بيبليّ وبين ما هو قرآنيّ، وبين مفاهيم الاثنين للموضوعات المتشابهة أو تلك التي تبدو كذلك ظاهريًّا. إنّ احتواء القرآن على قصص وروايات حول شخصيّات بيبليّة من العهد القديم، وتحديدًا التوراة، ومن العهد الجديد، لا يعني بالضرورة أنّ المعنى البيبليّ واللاهوتي هو ذاته، لا بل نحن نعلم علم اليقين أنّ الاختلاف بين الاثنين أكيد وواضح المعالم، وما يؤكّد ذلك هو أنّ المصدر المباشر ليس دائمًا الكتاب المقدّس بل مجموعة من القصص والروايات التي استوحت هذا الأخير ونشأت بالتالي حوله، أوّلاً شفهيًّا، وفي مرحلة لاحقة كتابيًّا. كذلك، مَن يتصفّح القرآن يتبيّن بجلاء أنّ القصص والروايات البيبليّة الواردة في القرآن، خاصّة تلك المتعلّقة بالوجوه البيبليّة الرئيسيّة، هي غير شاملة، ولا مرتّبة وفق تسلسلها في الكتاب المقدّس.

بالمقابل، لا بُدَّ من إيلاء الموضوعات المشتركة، وإن كانت ذات مفاهيم وأبعاد متنوّعة، اهتمامًا خاصًّا، كونها تؤدّي في نهاية المطاف إلى تقريب الناس، على اختلاف انتماءاتهم الدينيّة، الواحد إلى الآخر؛ فإذا كان القرآن يدعو إلى عبادة الله الواحد الأحد، فإنّه في ذلك في خطّ الكتاب المقدّس، ولكن على طريقته، وإن كان يرى في الله الخالق، والقاضي، والرحمن الرحيم، فهو ليس ببعيد عمّا يعلّمه الكتاب المقدّس، دون إهمال الفرق بين الاثنين في مضمون كلٍّ من هذه الصفات. لذلك، يحسن إبراز نقاط الاختلاف، إبعادًا لأيّ خلاف وتلافيًا له، ونقاط التشابه والتوافقُ والتجانس، توطيدًا لأواصر التعاطي الراقي المؤدّي إلى الخير المشترك والسلام العامّ.

ما يهمّنا في مجلّة بيبليا، من خلال تكريس أعداد ثلاثة لموضوع "الكتاب المقدّس والقرآن"، وهذا بالتأكيد يبقى جزئيًّا وغير كاف، هو الإسهام في حثّ المسيحيّين على التعرّف إلى القرآن، وبالتالي إلى المسلمين، بطريقة علميّة جيّدة، وحثّ المسلمين على التعرّف إلى الكتاب المقدّس، بالطريقة عينها، بهدف إزاحة السطحيّة التي تسخّف وتولّد بالتالي آراء ومواقف لا تؤدّي إلاّ إلى ما يبلبل ويؤذي ويسيء.

أنعجز عن أن نكون أصحاب رسالة نبيلة من خلال التعرّف المتبادل في هذا السياق، وإعطاء قدوة حسنة للعالَم في التعاطي المتجرّد والراقي، في زمن كثرت فيه تيّاراتُ إقصاءِ الآخر، والرغبةُ القاتلةُ في إنهائه، والتبجّحُ الفارغُ بالذات وبالهويّة؟!! أَنَحْنُ عاجزون، وقد بلغت البشريّة إلى لا ما لم يكن يخطر ببالٍ في مجالات العلم والاكتشافات المذهلة، عن أن نتبحّر في الكتاب المقدّس وفي القرآن، ونتبيّن ما فيهما لخير الإنسان والإنسانيّة؟

إنّ السلام والمحبّة والعدالة والأخوّة والرحمة

وغيرها من القِيَم العظيمة هي بحاجة ملحّة وماسّة إلى التنوّر بنور المعرفة التي تهدم الجهل، وتحدّ بالتالي من الحروب، وتقضي على الظلام، وتزيل البغضاء، وتحرّك القلوب. لذلك، لا بدّ من التعارف بيبليًّا وقرآنيًّا، ثمّ مسيحيًّا وإسلاميًّا، ولا بدّ بعد ذلك من التلاقي المنوّر والنبيل بين المسيحيّين والمسلمين، ليكون للجميع الفرح والحبّ والوئام.

أَحُلْمٌ؟!! كلاّ، إذ ليس أمرٌ عسيرٌ عند المؤمنِ الحقِّ بالله!

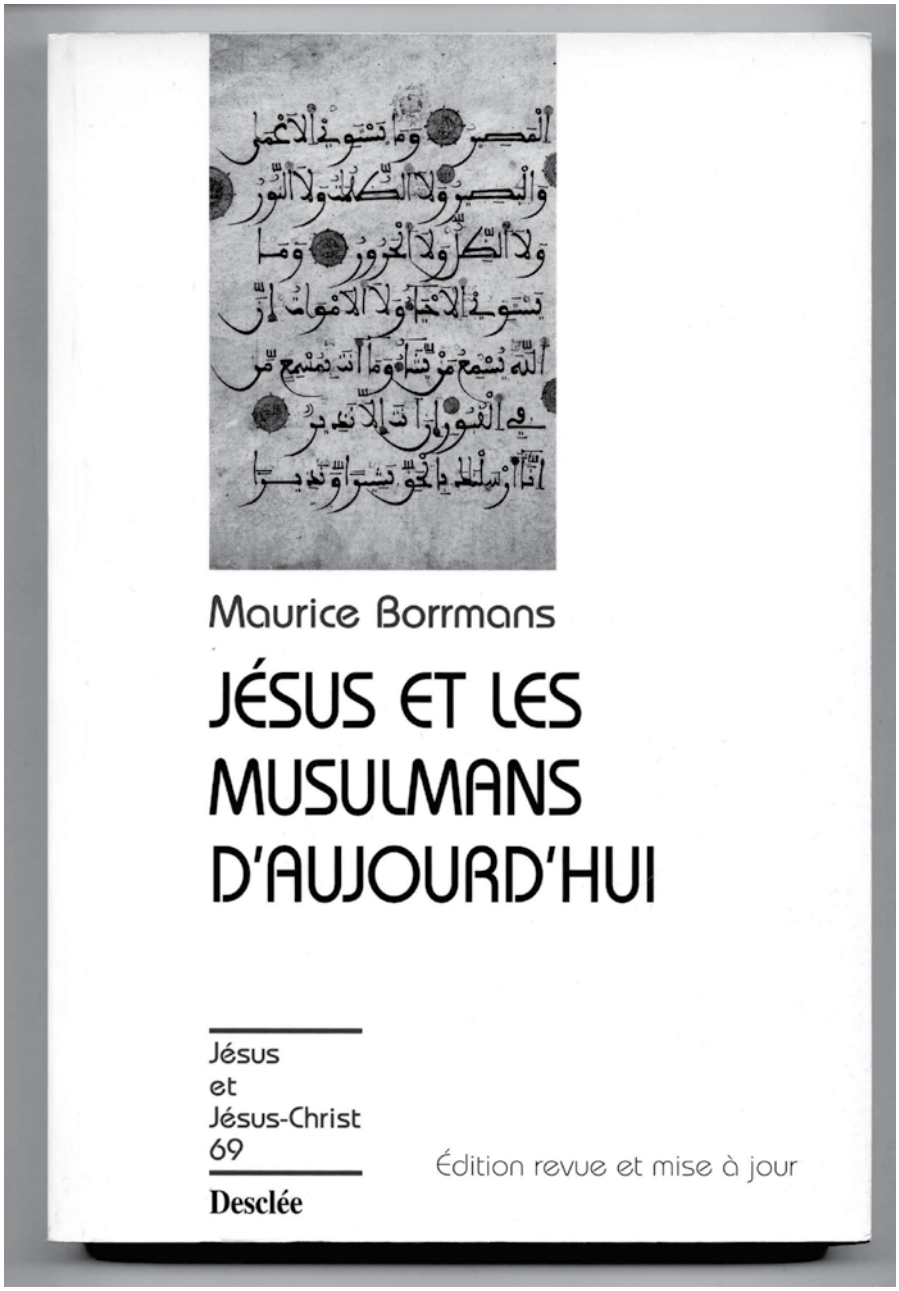

في الجنّة والنّار والحساب وأحوال المَعاد

الأب جوزف قزّي
دكتور في الفلسفة
اختصاص إسلاميّات

مقدّمة

بين القرآن العربي والتقاليد النصرانيّة، في ما يخصّ أحوال المَعاد[١]، اتّفاقٌ تامّ. فأوصاف اليوم الأخير، وأحوال الجنّة والنار، والإيمان بالقيامة العامّة، والاعتقاد بالحساب والعقاب، ، هي نفسُها في كلا المصدرين. حتّى الصورُ والتعابير والأمثال والرموز والألفاظ تكاد تكون واحدة. لكأنّ القرآنَ العربي ينقل مباشرةً عن التوراة والأناجيل والتقاليد النصرانيّة. وحسبنا أن نقابل في الموضوعات التالية:

١ – في اليوم الأخير

١. يعلّم القرآن العربي أنّ "السّاعة" الأخيرة من هذا العالم "سَتَأتِي بَغْتَةً"[٢]، وأنّها "آتِيَةٌ لا ريبَ فيهَا"[٣]، و"تَجِيءُ كلَمْحِ البَصَر"[٤]، وقد تكون قريبة: "لعلّ السَّاعةَ تكونُ قريباً" (٦٣/٣٣).

وفي النصرانيّة ، إنّ المسيح يجيء بغتة "في ساعة لا تتوقّعونها"[٥]، في "ساعة لا يعلمها أحد"[٦]. سيأتي "كاللّص ليلاً"[٧]. ويكون مجيئه "قريباً على الأبواب"[٨] وفي "لحظة وطرفة عين"[٩].

٢. يصرّ القرآن على أنَّ الله وحدَه "عندَه علْمُ السَّاعة" (٨٥/٤٣)، ويردّد بأنّ "علْمَها عنْدَ ربّي" (١٨٧/٧)، و"علمها عند الله " (٦٣/٣٣)، ومحمّد، على قربه من الله لا يعلم "متى هذا الوعد" (٤٨/١٠)، لأنّ الله "لا يظهر على غيبه أحداً" (٢٦/٧٢).

(١) أعني بـ«المعاد»: Eschatologie
(٢) أنظر: ٣١/٦؛ ١٨٧/٧؛ ١٠٧/١٢؛ ٤٠/٢١، ٥٥/٢٢؛ ٥٣/٢٩.
(٣) أنظر: ٤٠/٦؛ ٨٥/١٥؛ ٢١/١٨؛ ١٥/٢٠؛ ٥٩/٤٠؛ ٣٢/٤٥.
(٤) ٦٦/٤٣؛ ١٨/٤٧.
(٥) مت ٤٤/٢٤.
(٦) مت ٥٠/٢٤.
(٧) مت ٤٣/٢٤.
(٨) مت ٣٤/٢٤.
(٩) ١ قور ٥٢/١٥.

وكذلك الأمر في النصرانيّة: "ذلك اليوم وتلك الساعة فلا يعلمهما أحد، لا الملائكة ولا الابن، إلاّ الآب"[١٠].

٣. أمّا أوصاف ذلك اليوم فرهيبة في القرآن: مظاهر الكون كلّها تتبدّل: فيه "تنشق السماء"[١١]، وتنفطر (١/٨٢)، وتنكشط (١١/٨١)، وتكون كالمُهْلِ، أي كالفضّة الذائبة (٨/٧٠)، وتمور موراً (٩/٥٢)، وتصبح كالدخان (٣٧/٥٥)، وتشقق بالغمام (٢٥/٢٥)، وتُطوى كطيِّ السجلِّ للكتب (١٠٤/٢١).

يومئذ تتكوّر الشمس (١/٨١)، ويُخسف القمر (٨/٧٥)، وينشق (١/٥٤)، ويُجمع بينه وبين الشمس (٩/٧٥)، بعد أنْ كانا لا يجتمعان ولا يلتقيان (٤٠/٣٦). وتنكدر النجوم (٢/٨١)، وتنتثر الكواكب (٢/٨٢)، وتُفجّر البحار وتسجّر[١٢].

وتستفيض الأناجيل والتقاليد النصرانيّة بوصف ذلك اليوم الذي فيه "تظلم الشمس، ويفقد القمر ضوءه، وتتساقط النجوم من السماء، وتتزعزع كواكب السماوات"[١٣]، و"يطوي الله السماءَ كمَن يطوي رداء"[١٤]، و"تُفتّح أبواب السماء وتُهدّم وتتمزّق أحجبتها"[١٥]، و"يحمرّ القمر"[١٦]، ويتحوّل إلى لون الدماء"[١٧]، و"يُجمع فيما بين النّيرين: الشمس والقمر"[١٨]...

٤. في ذلك اليوم ترتجفُ الارض (١٤/٧٣)، وتزلزل زلزالَها (١/٩٩)، وتحدث زلزلة عظيمة (١/٢٢) وشديدة (١٤/٧٣)، وتُبدّل الأرض غير الأرض (٤٨/١٤)، وتمتدّ جبالُها سهولاً (٣/٨٤)، وتدك دكّةً واحدة (١٤/٦٩)، وتشقق سراعاً (٤٤/٥٠)، وترتجف (١٤/٧٤)، وتكون كالعهن[١٩]، أي: كالصوف المنفوش، وتسير سيراً (١٠/٥٢)، وتنسف نسفاً (١٠/٧٧)، وتبسّ بسّاً (٥/٥٦)، وتخِرّ هدّاً (٩٠/١٩)، فتصبح هباءً منثوراً (٢٣/٢٥).

وفي المصادر النّصرانيّة، تحدث، في ذاك اليوم "زلازل هنا وهناك"[٢٠]، و"تذوب الصخور وتصير رَماداً منثوراً"[٢١]، و"تذوب السماوات كالرّصاص في النار"[٢٢]...

وفي ذلك اليوم أيضاً، يتابع القرآن: تنزل الملائكة على الناس (٢٥/٢٥)، وتلقاهم (١٠٣/٢١)، وتقابلهم (٩٢/١٧)، ويدخلون عليهم من كلّ باب (٢٣/١٣)، ويأتي الله في ظلل من الغمام (٢١٠/٢)، ويجتمع الملائكة صفّاً صفّاً (٢٢/٨٩).

(١٠) مت ٣٦/٢٤.

(١١) أنظر: ١/٨٤؛ ٢٥/٢٥؛ ٣٧/٥٥؛ ١٦/٦٩.

(١٢) ٦/٨١؛٦/٥٢؛ ٣/٨٢. مت ٢٩/٢٤.

(١٣) مت ٢٩/٢٤.

(١٤) أش ٤/٣٤؛ رؤ ١٤/٦.

(15) *IV Esdras*, VI, 14-26...

(١٦) أش ٢٣/٢٤.

(١٧) يوء ٤/٣؛ أع ٢٠/٢.

(18) *Livres Sibyllins*, II.

(١٩) سورة المعارج ٩/٧٠؛ سورة القارعة ٥/١٠١.

(٢٠) مت ٧/٢٤.

(21) *Apocal*. de Jean (apocryphe), 81.

(22) *II Clément*, XVI, 3.

وفي المصادر النّصرانيّة، يحضر الملائكة، في ذاك اليوم، كشهداء على أعمال البشر، وكمشتكين على سيّئاتهم: "هوذا الربّ قد أتى في ألوف قدّيسيه، ليجري القضاء على جميع الخلق، ويخزي المنافقين جميعاً في كلّ نفاق اقترفوه، وكلّ كلمة سوء قالها عليه الخاطئون المنافقون"[٢٣].

في ذلك اليوم، يقول القرآن: يحدث برق ورعد ومخاوف عظيمة[٢٤]. ويكون جوع عظيم (٨٨/٧). فيه يُنقر في الناقور (٧٤/٨)، ويُنفخ في الصور (٦/٧٣). وتسمع صيحة في كلّ مكان تهتزّ لها الأرضُ وترتجف فرائص البشر وتخشع لها أبصارهم[٢٥]. فيه "تذهل كلّ مرضعة عمّا أرضعتْ، وتضع كلُّ ذات حمل حملها" (٢٢/٢)، و"يجعل الولدان شيباً (٧٣/١٧).

وفي المصادر النصرانيّة، تحدث، في ذلك اليوم، مجاعات هنا وهناك[٢٦]. يرسل الله ملائكته بالصُّور[٢٧]، ويُنفخ في البوق[٢٨]، وتُسمع صيحة[٢٩] تنتحبُ لها جميع قبائل الأرض[٣٠]. فـ "ويل للحبالى والمرضعات"[٣١]. ثمّ "يُرى على رؤوس الشبّان شعر أبيض"[٣٢].

في ذلك اليوم، يقول القرآن: "يفرّ المرء من أخيه وأُمّه وأبيه وصاحبته وبنيه. لكلِّ امرئ منهم يومئذ شأنٌ يغنيه" (٨٠/٣٤). فيه "لا يَسأل حميم حميماً" (١٠/١٠)، و"لا يُجزى والد عن ولده، ولا مولودٌ هو جاز عن والده شيئاً" (٣١/٣٣). "ولا يغني مولى عن مولى شيئاً" (٤٤/٤١). "ولا تملك نفس لنفس شيئاً" (٨٢/١٩). إنّه يوم "لا تُجزى نفس عن نفس شيئاً ولا يُقبل منها شفاعة" (٢/٤٨).

وفي المصادر النّصرانيّة ألشيء نفسه: فيه "يسلّم الأخ أخاه إلى الموت، والأبُ ابنَه، ويثور الأبناء على والديهم فيقتلونهم"[٣٣]. و"على كلّ واحد أن يحمل حمله"[٣٤]، إذ "لا أحد يشفع لأحد: لا أب ولا أم ولا أخ ولا صديق ولا قريب. لا يحمل أحدٌ حمل آخر. كلٌّ مسؤول عن أعماله"[٣٥]. فهو يوم لا تنفع فيه شفاعة: "الحق أقول لكن إنّي لا أعرفكنّ"[٣٦]

في ذلك اليوم، بحسب القرآن، لا شيء يفيد الإنسان سوى أعماله الخيّرة: "للّذينَ استَجَابوا لربِّهم الحُسنَى، والّذينَ لم يَستَجيبوا لَه لَو أنَّ لهم مَا في الأرضِ جميعاً، وَمِثْلَه مَعَهُ لافْتَدَوا بهِ. أولئكَ لهم سوءُ الحِسابِ وَمَأواهم جهنّمُ. وبِئسَ المِهَادُ" (١٣/١٨). هو "يوم لا ينفع مال ولا بنون" (٢٦/٨٨). ومنهم من اعتبر كثرة الأموال والأولاد تنجّيهم فافتخروا (٣٤/٣٥).

(٢٣) رسالة يهوذا ١٤–١٥.

(٢٤) سورة النور ٢٤/٤٣؛ البقرة ٢/٢٠؛ الروم ٣٠/٢٤.

(٢٥) أنظر: ٥٠/٤٢؛ ١١/٦٧ و٩٤؛ ١٥/٧٣ و٨٣؛ ٢٣/٤١؛ ٢٩/٤٠؛ ٣٦/٢٩ و٤٩ و٥٣؛ ٥٤/٣١؛ ٧٩/٦–٩؛ ٧٠/٤٤؛ ٨٢/٤٤؛ ٥٤/٧...

(٢٦) مت ٢٤/٧.

(٢٧) مت ٢٤/٣١

(٢٨) ١ قور ١٥/٥٢.

(٢٩) ١ تس ٤/١٦.

(٣٠) مت ٢٤/٣٠.

(٣١) مت ٢٤/١٩.

(32) Apoc. de Thomas (apocryphe); Sibylliens, 2.

(٣٣) مت ١٠/٢١.

(٣٤) غل ٦/٥.

(35) IV Esdras, X, 104-105; II Hénoch, LII, 1.

(٣٦) مت ٢٥/١٣.

وفي التقاليد اليهودية والنصرانيّة: "لا تقدر فضّتهم وذهبهم على انقاذهم في يوم غضب الربّ. ولا يُشبعون نفوسهم، ولا يملأون أجوافهم بهما، لأنّهما كانا معثرة لهم"[٣٧]. وكذلك "لا ينفع المال في يوم الغضب"[٣٨]. فـ "الويل لكم أيّها الأغنياء لأنّكم ثِقْتُم بغناكم. ستُحرَمون منها لأنّكم لم تذكروا العليَّ يوم غناكم. لقد نضجتم ليوم الدّين العظيم"[٣٩].

٥. في نهاية ذلك اليوم المشهود تحدث **القيامة العامة** ويبتدئ الحساب العسير، ويحضر الناس أمام الله الديّان العادل، كلٌّ يحمل أعماله في كتاب، وتوزَن بميزان العدل، فيذهب الأبرارُ إلى اليمين والأشرارُ إلى الشمال...

فيه، كما يقول القرآن العربي: يحضر الناس أمام الله "أشتاتاً" (٦/٩٤). ويكون الفصل بين الأبرار أصحاب اليمين (٨/٥٦و٣٨) والأشرار أصحاب الشمال (٩/٥٦و١٠)، ويخيّم على الجميع صمتٌ رهيب (١٠٧/٢)، ويبتدئ الحساب (٨/٨٤)، وتُكشف الأعمال والخفيّات[٤٠]، بحسب كتابِ الأعمال، لأنّ لكلِّ إنسان كتاباً خاصّاً تدوّن فيه أعماله[٤١].

وفي المصادر النصرانيّة: "وتحشر لديه جميع الأمم... فيفصل (الناس) بعضَهم عن بعض. فيُقيم النعاجَ (الأبرار) عن يمينه والكباش (الأشرار) عن شماله"[٤٢]..

"ويجازي يومئذ كلَّ امرئ على قدر أعماله"[٤٣]، "كلّ واحد سيؤدّي عن نفسه حساباً لله "[٤٤]... ثم تفتح الكتب... ومَن لم يوجد مكتوباً في سفر الحياة يطرح في مستنقع النار"[٤٥].

وفي القرآن العربي: "تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون" (٢٤/٢٤). "ويشهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم"[٤٦].

وتوزن الأعمال: "فمن ثقلتْ موازينُه فهو في عيشةٍ راضية. وأمّا مَن خفّتْ موازينه فأمّه هاوية ... نار حاميّة" (٦/١٠١-١١).

وفي المصادر النّصرانيّة: "كلّ أعضائكم تشهد عليكم في البيت الأزلي"[٤٧]. والله يزن أعمال الإنسان في ميزان العدل: يقول أيّوب: "ليزنّي (الله) في ميزان العدل: إنْ كانت خطواتي قد جارت عن الصراط المستقيم"[٤٨].

٢ – في أحوال الجنّة

في القرآن العربي كما في التقاليد النصرانيّة جنّة واحدة في أوصافها وأحوالها ومحتوياتها. وأوّل ما يتوقف عنده الباحث في الجنّة تلك الماديّة المفرطة من شهوات حسيّة متطرفة، ومآكل متنوعّة، وملذّات جسديّة صاخبة.

(٣٧) حز ١٩/٧؛ صف ١٨/١.
(٣٨) أم ٤/١١.

(39) *I Hénoch*, XLIV, 8-9.

(٤٠) سورة الحاقة ١٨/٦٩؛ سورة الكهف ٤٦/١٨.
(٤١) ٢٩/٧٨؛ ١٠/٨٢-١٢؛ ١١/٣٦؛ ٩٤/٢١...
(٤٢) مت ٣٢/٢٥.
(٤٣) مت ٢٧/١٦.
(٤٤) روم ١٢/١٤.
(٤٥) رؤ ١٢/٢٠-١٥؛ ٥/٣؛ دانيال ١٠/٧.
(٤٦) سورة فصّلت ٢٠/٤١؛ سورة يس ٦٥/٣٦.

(47) *Talmud, sur Ecclés.* 4,5; voir Cohen, p. 454.

(٤٨) أي ٦/٣١.

١. في القرآن العربي، **الجنّة مرتفعةٌ** عن الأرض في مكانٍ عالٍ حيث يتّكئ الصدّيقون "في جَنّةٍ عَالية"[٤٩]، ويرى الأبرارُ الهالكين تحتَهم وهم فوق على قمم الجبال (٧/٤٤–٥٠)[٥٠].

ومار أفرام السرياني (ت ٣٧٩م) يحدّد مكان فردوسه في قوله: "إنّ قِمم الجبال كلَّها تحت شرفة قِمّته...يقبّل قدمَي الفردوس، ويطأ الرؤوسَ كافّة"[٥١].

٢. و**مساحة** الجنّة القرآنية لا تحدّ. "عرضها كعرض السماء والأرض"[٥٢]. لها طبقات ودرجات بحسب درجات الأبرار وطبقاتهم: "المُؤمِنُون حَقّاً لهم دَرَجَاتٌ عند ربّهم" (٨/٤)؛ وقد تكون هذه الدرجات، بحسب تصنيفٍ اعتمده القرآن، إبتداءًا بـ "النبيِّين والصدِّيقين والشُّهَداء والصَّالحين" (٦٩/٤).

غير أنّ التلمود يحدِّد درجات الجنّة فإذا هي سبع[٥٣]؛ وعند مار أفرام ثلاث. يقول: "أرضه (الفردوس) للتَّائبين، ووسطُه للصدِّيقين، وقِمّتُه للمنتصرين (الشهداء)، وقبّتُه سكنى الله"[٥٤]؛ وعند القديس بولس ثلاث سماوات أيضاً[٥٥].

وفي كلِّ درجة غرفٌ ومنازل كثيرة لكلِّ أصناف المختارين. يقول القرآن: "الّذينَ اتَّقوا ربَّهم لهُم غرَفٌ مِن فَوقِها، وغرفٌ مبنيّةٌ تجري مِن تَحتها الأنهار"(٣٩/٢٠).

وفي الانجيل ما يشبه ذلك: "في بيت أبي منازل كثيرة"[٥٦].

٣. وللجنّة **أبواب** يدخلها المتّقون المؤمنون: فهي "جنّات مفتّحة لهم الأبواب" (٣٨/٥٠). والدّاخلون فيها يُساقون إليها "زمراً. حتّى إذا جاؤوها فتّحت أبوابها" (٣٩/٧٣). وكذلك "الملائكة يدخلون عليهم من كلِّ باب" (١٣/٢٣).

وفي سفر الرؤيا، لأورشليم السماويّة "سور شامخ له اثنا عشر باباً، عليها أثنا عشر ملاكاً"[٥٧]. وفي التلمود للفردوس بابان فقط[٥٨]. أمّا عهد لاوي فلا يحدّد العدد[٥٩]. ومار أفرام يؤكِّد وجود باب في قوله: "لأنّ الباب قد فُتح، فيا طوبى لمن يقدم"[٦٠]، وفي قوله أيضاً: "منذ الآن صغ لك، خذ مفتاح الفردوس لأنّ الباب لمبادِر إليك. يتألّقُ ويضحكُ لك الباب الفهّامة يقيس الداخلين"[٦١].

٤. و**السعادة** القصوى في جنّة القرآن، كما في فردوس النصارى، تقوم على رؤية الله ومعرفته ورضوانه على المؤمنين الأبرار. ذلك هو الفوز العظيم: يقول القرآن العربي: "لهم جنّات رضي الله عنهم ورضوا عنه. ذلك الفوز العظيم"[٦٢]. وسعادة الدنيا، بمقابل سعادة الآخرة،

(٤٩) أنظر: ٦٩/٢٢؛ ٨٨/١٠.

(٥٠) يدور الكلام على حديث رجال الأعراف حيث هم في أعلى الجنّة مع أصحاب النّار في قعر الجحيم.

(٥١) أفرام السريانيّ، منظومة الفردوس، النشيد الأول، ٤.

(٥٢) أنظر: ٥٧/٢١؛ ٣/١٣٣.

(53) A. Cohen, *Le Talmud*, chap. Jardin d'Eden...

(٥٤) **منظومة الفردوس**، النشيد الثاني ١١.

(٥٥) ١ قور ١٢/٢.

(٥٦) يو ١٤/٢.

(٥٧) رؤيا ٢١/١٢، حز ٤٨/٣٠.

(58) *Le Talmud*, p. 456-457.

(59) *Test. de Lévi*, 18/10..

(٦٠) **منظومة الفردوس** ١٣/١٣؛ أنظر ١٥/٢؛ ٨/١١.

(٦١) **منظومة الفردوس** ٢/١؛ انظر ٣/١٣.

(٦٢) **القرآن** ٣/١٥؛ ٩/٢١ و ٧٢؛ و ١٠٠؛ ٥٨/٢٢؛ ٩٨/٨؛ ٥/١١٩.

ليست سوى بهجة عابرة وخادعة: "وما الحياة الدنيا إلاّ متاع الغرور" (٢٠/٥٧).

وفي المصادر النّصرانيّة، فإنّ كنوز الأرض، حيث يرعى السوس والعثّ، وينقب اللصوص، لا تقابل بكنوز السماء، حيث لا يرعى السوس والعثّ، ولا ينقب السارقون[٦٣].

٥. هذه السعادة تقوم على **الفرح والسلام** الدائمَين، إذ الجنّة هي "دار السلام"[٦٤]: "أدخلوها بسلام آمِنين" (٤٦/١٥)، حيث "لا خوف عليكم ولا أنتم تحزنون" (٤٩/٧).

ألسماء، كما تقول الرسالة الى العبرانيّين، هي "دار راحة الله "[٦٥]. وهكذا هو فردوس مار أفرام "حيث لا عناء فيه"[٦٦]، "يسكنه الجَمَال لا عيب فيه، والأمان لا قلق"[٦٧].

لا يسمع الأبرار في الجنّة القرآنيّة أية كلمة كاذبة أو باطلة، بل سلاماً وأماناً: "لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً، إلاّ قيلاً: سلاماً سلاماً" (٢٥/٥٦). ويفسّر ابن عبّاس "كل صغير وكبير مستطر" (٥٣/٥٤)، أي: "كل ضحكة صغيرة أو كبيرة تجرّ الويل والتعاسة". لهذا، فالضحك لا وجود له في الجنّة.

وكذلك يصف مار أفرام فردوسه في قوله: "الويل لمن يضيع في الضحك والثرثرة هذا اليوم الصالح للتوبة"[٦٨]، "لأن التعاسة ستكون مجازاة الضاحكين"[٦٩].

٦. **لا شمس** حارقة ولا برد قارس، في الجنّة القرآنية، بل "وجوه يومئذ ناعمة" (٨/٨٨)، و"وجوه ناضرة" (٢٣/٧٥)، "مُسْفرة ضاحكة مستبشرة" (٣٨/٨٠)، "تعرف في وجوههم نضرة النعيم" (٢٤/٨٣). وسبب ذلك أنّهم "لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً" (١٣/٧٦)...

وهو حال أصحاب فردوس مار أفرام، حيث "قوارس البرد ولواهب الحرّ لا وجود لها في ذلك الموضع المبارك الشهيّ"[٧٠]. وكذلك جاء في أشعيا: "لا يقرعهم الحرّ ولا الشمس"[٧١]، وفي سفر الرؤيا: "لن تلفحهم الشمس ولا السموم"[٧٢]، وفي زكريّا: إنّ القرّ والجليد من مميّزات الجحيم:"في ذلك اليوم لا يكون نور، بل قرّ وجليد"[٧٣].

أن أصحاب الجنّة يصرخون ليل نهار بحمد الله : فـ "دعواهم فيها: سُبحَانَكَ اللهّم. وتحيّتُهم فيها سلام. وآخر دعواهم أنِ الحمدُ لله ربِّ العالمين"[٧٤].

وكذلك أصحاب الفردوس "يصيحون بصوت

(٦٣) مت ٦/١٩ – ٢١.

(٦٤) **القرآن** ٦/١٢٧ ؛ ١٠/٢٥.

(٦٥) عب ٣/١١ و ١٨؛ ٤/١ و ٣ و ٥ و ٨ و ١١.

(٦٦) **منظومة الفردوس** ١/٥.

(٦٧) المرجع نفسه ٥/١٢.

(68) S. Ephrem, *Op. Gr.* 2.

(٦٩) المرجع نفسه، ٣.

(٧٠) **منظومة الفردوس** ١١/٢.

(٧١) أش ٤٩/١٠.

(٧٢) رؤ ٧/١٦.

(٧٣) زك ١٤/٦.

(٧٤) **القرآن** ١٠/١٠؛ ٣٥/٣٤.

جهير: النصر لألهنا... الحمد والمجد والحكمة والشكر والإكرام والقوّة والقدرة أبد الدهور"[٧٥].

٧. وصْفُ الجنّة القرآنيّة وما فيها من **خيرات دنيويّة** كما يلي: إنّ للأبرار "جنّات تجري من تحتها الأنهار"[٧٦]، و"عيون ماء"[٧٧]. والأنهار أربعة: واحد من ماء، وثاني من لبن، وثالث من خمر، ورابع من عسل مصفّى. يقول: "فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسِن. وأنهار من لبن لم يتغيّر طعمُه، وأنهار من خمر لذّة للشاربين، وأنهار من عسل مصفّى" (١٥/٤٧). وهي تعطي أحسن ما تنتجه الأرض (١٦/٦٥-٦٩).

هذه الأنهار الأربعة تذكّرنا بأنهار سفر التكوين الأربعة[٧٨]، وهي تعطي، كما هو حال أرض ميعاد العبرانيين حيث يغزر العسل واللّبن والمياه والزيت والحنطة والشعير والكرم والتين والرمان[٧٩]... وقد تختلف خيرات الأنهار هذه بحسب المصادر. ففي التلمود: لبن وعطر وعسل وخمر[٨٠]. وفي رؤيا بولس: الزيت بدل الماء. وفي إسراء موسى: العطر بدل الماء. وفي رؤيا يشوع بن لاوي: الزيت والعطور بدل الماء واللبن. وفي فردوس مار أفرام: الخمر واللّبن والعسل والزبد[٨١].

٨. وتقوم سعادة الجنّة القرآنية على ما فيها من خيرات **ومآكل شهيّة**: فـ "أكلها دائم" (١٣/٣٥)، من "فواكه كثيرة" يشتهونها[٨٢]. يتخيّرون منها ما يطيب لهم (٥٦/٢٠). فيها من كل الثمرات (٤٧/١٥)، يدنيها الله من أيدي الأبرار ليسهل عليهم قطافها وأكلها: "قطوفها دانية" (٦٩/٢٣)، "ذلّلت قطوفها تذليلاً" (٧٦/١٤)، أي "ينالها القائم والقاعد والمضطجع" (تفسير الجلالين). وقال ابن عبّاس: "إذا همَّ أن يتناول من ثمارها، تدلّتْ له أغصانها حتّى يتناول منها ما يريد"...

هكذا حال فردوس مار أفرام حيث "الثمار من كلِّ طعم في مطال اليد"[٨٣].

والجنّة القرآنيّة وليمة مبسوطة أمام الأبرار، حيث الأكل الدائم (١٣/٣٥)، من لحم الطير[٨٤] وفواكه وغيرها.

ويصف مار أفرام فردوسه بقوله: إنّ "الأبرار... وَجَدوا الفردوس مائدة الملكوت مبسوطةً أمامهم"[٨٥]، أو هو "وليمة الملكوت طوبى لمن استحقّها"[٨٦].

٩. **مشروب** الجنّة القرآنيّة المفضّل ألخمرة. إنّها تُشرب في "أكواب" و"كؤوس" و"أباريق" و"صحاف من ذهب" و"آنية من فضّة"[٨٧]. يشربها الأبرارُ كأساً من

(٧٥) رؤ ٧/٩-١٢

(٧٦) ترد هذه الصيغة حوالي الخمسين مرّة، أنظر مثلاً: ٢/٢٥؛ ٣/١٥؛ ١٣٦؛ ١٩٥؛ ١٩٨؛ ٤/٣؛ ٥٧؛ ١٢٢؛ ٥/١٢؛ ٨٥؛ ١١٩؛ ٧/٤٣؛ ٩/٧٢؛ ٨٩؛ ١٠٠؛ ١٠/٩؛ ١٣/٣٥؛ ١٤/٢٣؛ ١٦/٣١؛ ١٨/٣١؛ ٢٠/٧٦؛ ٢٢/١٤؛ ٢٣؛ ٢٥/١٠؛ ٢٩/٥٨؛ ٤٧/١٢؛ ٤٨/٥؛ ٥٧/٢٣؛ ٥٨/٢٢؛ ٦١/١٢؛ ٦٤/٩؛ ٦٥/١١؛ ٦٦/٨؛ ٨٥/١١؛ ٩٨/٧...

(٧٧) ترد هذه العيون حوالي العشر مرات: ١٥/٤٥؛ ٤٤/٥٢؛ ٥١/١٥...

(٧٨) تك ٢/١٠-١٤.

(٧٩) تث ٨/٧-١١؛ ٦/٣؛ ١١/٩؛ خر ٣/٨؛ ٢٧؛ ١٣/٥...

(80) Cohen, *Le Talmud*, p. 420.

(٨١) **منظومة الفردوس** ١٠/٦.

(٨٢) ٤٣/٧٣؛ ٣٨/٥١؛ ٧٧/٤٢؛ ٥٢/٢٢.

(٨٣) **منظومة الفردوس** ٩/٤

(٨٤) ٥٦/٢١؛ ٥٢/٢٢.

(٨٥) **منظومة الفردوس** ٢/٥.

(٨٦) ٧/٢٤؛ انظر: ٧/٢٦؛ ٩/٧ و ٨؛ ١١/١٥...

(٨٧) سورة ٤٣/٧١؛ ٧٦/١٥؛ ٧٨/٣٤؛ ٧٦/١٧...

معين بيضاء لذّة للشاربين، لا تغتال عقلاً، ولا تُنتج إثماً، كخمرة الدنيا. يقول: "يطاف عليهم بكأس من معين بيضاء لذة للشاربين. لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون"[٨٨]. ويقول أيضاً: "يتنازعون فيها كأساً لا لَغوٌ فيها ولا تأثيم" (٢٣/٥٢). إنّها خمرة طيّبة من "رحيق محتوم" (٢٥/٨٣)، أي من قدم الدنيا. إنّها شراب طهور (٢١/٧٦)، مزاجه الزنجبيل والكافور (١٧/٧٦). إنّها طيّبة حلال، بعدما كانت على الأرض سببَ كلِّ إثمٍ محرَّمةً على المؤمنين.

وخمرة الفردوس الأفرامي لا تقلّ جودة عن خمرة الجنّة القرآنية. ومَن يمتنع عن شربها هنا نالها هناك بكثرة وسخاء: "من صام عن الخمر زاهداً، هفّت إليه دوالي الفردوس واحدةً فواحدة تنيله عنقودها"[٨٩]. وهي كخمرة التلمود التي "احتفظ بها الله منذ اليوم السادس للخليقة"[٩٠]

١٠. يستريح الأبرار في جنّة القرآن على "سرر مرفوعة" و"مصفوفة"[٩١] متقابلين بعضهم تجاه بعض (٤٤/٣٧). لكل منهم غرفة يَلقَون فيها تحية وسلاماً (٧٥/٢٥)، وغرف مبنيّة تجري من تحتها الأنهار (٢٠/٣٩). هم فيها آمنون (٧٤/٣٤)، يجلسون على الأرائك (٣١/١٨)، مع أزواجهم (٥٦/٣٦). وهم ينظرون منها نضرة النعيم (٢٣/٨٣). ينبسطون على "فرش مرفوعة" (٣٤/٥٦) بطانتها من استبرق (٥٤/٥٥). يلبسون ثياباً نضرة خضراء من سندس واستبرق وحرير. ويحلّون بأساور من ذهب ولؤلؤ[٩٢]، ويتّكئون على "رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ" (٧٦/٥٥) أي "أوسدة خضراء وطنافس جميلة" (تفسير الجلالين)...

وهو أيضاً حال الأبرار في فردوس مار أفرام. يتنعّمون بمآكل وألبسة ولذّات لا حدود لها ولا نهاية. وهم، بعد آدم وحواء "اللّذَين أضاعا ثيابهما، قد استردّاها جديدةً بيضاء"[٩٣]، يستحقّون الطوبي والحللَ الزاهية البيضاء: "طوبى لمن استحقّ أن يرى حلّتهم"[٩٤]، "ذكور وأناث يشتملون بلباس من نور، يحجب أَلَقُه ملامحَ السوءة". وكلّ واحد منهم "التحف الضياء"[٩٥]، "ولبس النور". هؤلاء "يولمون في الأشجار خللَ الهواء الطلق. تحتَهم الأزاهير، وفوقَهم الأثمار. فسماؤهم ثمَرٌ، وأرضُهم زَهَرٌ... غمامةٌ فوق الرؤوس مظلّة من ثَمَر، وبساطاً تحت الأقدام منبسطاً من زَهَر"[٩٦]. ثمّ يوجز مار أفرام نعيم الفردوس قائلاً: "أثمار قدسيّة، حلل نوريّة، أكاليل مشِعّة، مراقٍ عليّة، مناعم ولا عناء، لذّاتٌ ولا رعب، عرسٌ أبدي، ولا نهاية"[٩٧].

١١. وما يزيد في بهجة الجنّة القرآنية وجمالها الفتّان وملذّاتها العارمة **حوريّات** خلقهنّ الله خصيصاً للأبرار: "أَنْشَأْنَاهُنَّ إِنْشَاءً. فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَاراً، عُرُبًا (أي متودِّداتٍ عاشقاتٍ أزواجهنّ)، أَتْرَاباً (أي: مستويات على سنٍّ واحدة: ثلاث وثلاثين سنة، لا يكبرن عن ذلك أبداً)" (٣٥/٥٦–٣٧).

(٨٨) ٤٥/٣٧–٤٧؛ ١٨/٥٦.

(٨٩) **منظومة الفردوس** ١٨/٧.

(90) Cohen, *Le Talmud*, p. 455; Ber.

(٩١) القرآن ١٣/٨٨؛ ٢٠/٥٢.

(٩٢) ٣١/١٨؛ ٥٣/٤٤؛ ٢١/٧٦؛ ٢٣/٢٢؛ ٣٣/٣٥.

(٩٣) **منظومة الفردوس** ٩/٦.

(٩٤) المرجع نفسه ١٨/٦.

(٩٥) المرجع نفسه ٢٣/٦.

(٩٦) المرجع نفسه ٥/٩.

(٩٧) المرجع نفسه ٨/١٤.

إلى هذا العمر يشير كتاب رؤيا يوحنا المنحول حيث يقول: "لهنّ من العمر ثلاثون. وكلّ البشر سيقوم يومَ القيامةالعامّة بهذا العمر"[٩٨].

١٢. "يَطُوفُ عَلَيهِمْ (أي على أبرار الجنّة) وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ (أي على سنٍّ واحدة، لا يتغيّرون ولا يموتون)، إِذَا رأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤاً مَنْثُوراً (أي تحسبهم في حسنهم وكثرتهم وبياض وجوههم كاللؤلؤ المبدَّد، المنتشر هنا وهناك)" (٧٦/١٩). ويقول أيضاً:"وَيَطُوفُ عَلَيهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ (أي مصون في الصَّدَف)" (٥٢/٢٤)[٩٩]...

أمّا الخدمة، في فردوس مار أفرام، فلا تناط بالغلمان، بل بـ "نُسَيمَاتٍ طَيِّبَات "تهبّ من كل لون. يحملن الأطباق... والمدعوّون المولمون لا يبرحون... حيث الخدّام يخدمون لا يتعبون... النّسيماتُ في الفردوس يتنقَّلْنَ أمام الأبرار، تخفّ الواحدة بالطعام، والأخرى تصبّ الشراب. هبوب تلك سمن، ومهبّ هذه رواء: مَن رأى قط نسمات يأتين بنفحات تؤكل، وأخرى بنفحات تشرب. واحدة تنفح بندى، وأخرى بطيب... نفحة ترويه، ونفحة تشبعه... نسيم يرفّهك، ونفح يلذّذك. واحد يسمّنك، وآخر ينعّمك"[١٠٠].

لا أقول أن القرآن العربي نقل مباشرة عن مار افرام السرياني أو عن سواه، ولا أقول ان محمّداً كان مطلعاً على شوارد الجنّة النصرانيّة وأوصافها كلها...بل ان أفكار مار افرام كانت شائعة في الكنيسة السريانية النصرانيّة ومعروفة لدى جميع آبائها وكتّابها. والصلة بين القرآن ومؤلّفات الكنيسة السريانيّة لم تكن فقط نتيجة جوّ عام عاش فيه محمّد وأخذ عنه، بل كانت بواسطة تعاليم ونصوص عرفها شفهياً وكتابة على السواء، وعرفها بواسطة معارفه الشخصية واحتكاكه المباشر ببعض مؤلّفات السريان...

وكان الكلام على الجنّة وأحوالها من أبرز ما اهتمّت به الكنيسة السريانيّة في كرازتها وتقواها وكانت "تقوى القرآن المَعَادِيّة (Eschatologique) قريبة الصلة بالمفاهيم الدينيّة التي كانت م سيطرة في الكنيسة السريانيّة في زمن محمّد وقبله"[١٠١].

(98) *Apocalypse de S. Jean* (apocr.), 10

(٩٩) أنظر كتابَنا: **رغبات النّفس والجسد**، رقم ١٣ من السلسلة؛ ص ٢٧٠–٢٧٦ حيث الكلام المستفيض على متع الأبرار بولِدان الجنّة وغلمانها.

(١٠٠) **منظومة الفردوس** ٦/٩ و٧ و٨ و٩ و١١.

(101) Tor Andrae, Les Origines de l'Islam et le Christianisme, p. 145.

مراجع

أبو موسى الحريريّ، **رغبات النّفس والجسد** (الحياة الجنسيّة في الإسلام)، سلسلة "الحقيقة الصعبة"، رقم ١٣.

أفرام السريانيّ، **منظومة الفردوس**.

Apoc. de Thomas (apocryphe).

Apocal. de Jean (apocryphe).

Apocalypse de S. Jean (apocryphe).

Cohen A., *Le Talmud*.

I Hénoch.

II Clément.

II Hénoch.

IV Esdras.

IV Esdras.

Livres Sibyllins.

S. Ephrem, *Op. Gr*.

Talmud, sur Ecclés. 4,5.

Test. de Lévi.

Tor Andrae, *Les Origines de l'Islam et le Christianisme*, p. 145.

مجيء يسوع المسيح في الملكوت ومجيء المسيح عيسى في مكّة

الأب مارون عوده
دكتور في اللاهوت
اختصاص إسلاميّات

مقدّمة

يؤمن المسيحيُّ بمجيءٍ ثانٍ ليسوع المسيح ليدين الأحياء والأموات استنادًا إلى قانون الإيمان المسيحيّ النيقاويّ الذي أُعْلِنَ سنة ٣٢٥[١]. لذا تطلب الكنيسة من المسيحيّين أن يصلّوا، ولا سيّما في الإفخارستيّا، لتسريع عودة المسيح، قائلين له: "تعالَ، أيُّها الرّبُّ يسُوع!"[٢]. ينتظرُ المسيحيُّ هذا المجيء بإيمانٍ ورجاءٍ منذ ألفي سنة وحتّى يومنا هذا دون الظفرِ بمتعة مشاهدة وجه يسوع المسيح في الزمان والمكان بأمّ العين، على غرار الرسل الذين شاهدوه أيّام التجسّد وعيشه في الجليل واليهوديّة.

ينتظرُ المسيحيُّ مشاهدة وجه يسوع المسيح في الحياة الثانية، بينما يعيش على هذه الأرض باتّحادٍ تامٍّ مع الرّبّ من خلال عيشه الأسرار المسيحيّة وخصوصًا سرّ الإفخارستيّا، الذي يُدخِل المؤمن المسيحيّ في شركة تامّة مع الثالوث الأقدس، وبه يتفاعل مع جماعة الكنيسة، فيُنعم الله الآب على الجميع بنعمة التبنّي بواسطة الرّبّ يسوع وشركة الروح القدس.

أتى محمّد نبيّ المسلمين في القرن السابع، أي بعد صعود يسوع المسيح إلى السماء بحوالى السبع مائة سنة،[٣] قائلاً: "لا تقومُ السَّاعةُ حتَّى ينزلَ فيكُم ابنُ مريمَ حَكَمًا مُقَسِطًا، فيكسرَ الصَّليبَ، ويقتُلَ الخنزيرَ، ويضعَ الجِزيَةَ، ويفيضَ المالُ حتَّى لا يقبَلَهُ أحدٌ"[٤]. أحدثَ قولُ نبيّ المسلمين هذا انتظارًا زمنيًّا لدى المسلمين عمومًا: "ثمّ يمكث في الأرض مدّةً ذِكرُها اختلفت الرواية في مبلغها، ثمّ يموت، فيصلّي عليه المسلمون ويدفنونه"[٥]؛ وربط أهلُ الشّيعة الإماميّة ظهور المهديّ المُنتظر بعودة المسيح عيسى ابن مريم خصوصًا: "ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملّة، يهوديّ ولا نصرانيّ إلاّ آمن به قبل موته ويصلّي خلف المهديّ"[٦].

نقفُ اليومَ في حيرةٍ أمام تعدّد روايات المجيء الثاني ليسوع المسيح والمسيح عيسى ابن مريم؛ نربط بين المنطق والإيمان، من جهة، وبين المصادر الكتابيّة والأحاديث، من جهة ثانية، ويبقى الجواب خارج قدرة العقل البشريّ الاستيعابيّة حين نحاول تحديد زمان

(١) الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها ٢٠٠١: ٤٤.
(٢) التعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة ١٩٩٩: ٢١٩؛ رؤ ٢٢: ٢٠.
(٣) "وبمرأى منهُم صعِدَ، وتناءَت به غمامَةٌ عن عيونِهم" (أع ١: ٩).
(٤) البخاريّ، صحيح البخاريّ: رقم ٢٤٧٦.
(٥) الطبريّ، جامع البيان: ٣/ ٣٥٧.
(٦) الجزائريّ، قصص الأنبياء والملوك: ص ٤٤٧.

المجيء ومكانه. لذا سنعود إلى كتب العهد الجديد والقرآن وكتب الحديث لتحديد مكان وجود يسوع المسيح والمسيح عيسى اليوم، ومعرفة زمان المجيء ومكانه، ومن ثمّ استخراج غاية المجيء الثاني.

أين هو يسوع المسيح اليوم؟

بعد صلب يسوع المسيح وموته، قام من بين الأموات، ورُفع إلى السَّماء، وجلسَ عن يمينِ الله[٧]. كان يدرك يسوع طيلة زمان تجسّده أنّ هناك ساعة ليعود فيها إلى الملكوت السماويّ يحدّدها الله الآب[٨]، لأنّه "من الله خرَج، وإلى الله يَمضي"[٩]. ويعلم جيّدًا أنّه عائد إلى الملكوت ديّانًا[١٠]، وله كلّ السلطان، لأنّ "الآبَ قد أودعَ بين يديهِ كُلَّ شيء"[١١]. وهذا ما شهد به يوحنّا المعمدان قائلاً: "يُحبُّ الآبُ الابنَ، وفي يدِه جعلَ كُلَّ شيء"[١٢].

إنّ صعود يسوع المسيح إلى الملكوت السماويّ هو بركةٌ روحيّةٌ لنا، وهو مصدرُ خلاصٍ لنا من قبل الله الآب ومخطّطه الخلاصيّ للبشريّة جمعاء[١٣]. أُعطيَ يسوع المسيح الجلوس عن يمين الله الآب في الملكوت لأنّه أخلى ذاته محبّةً فينا، وواضعَ ذاته حتّى الموت على الصليب كي نحيا باسمه عند الله الآب، لذلك رفعه الله جدًّا وأقامه ربًّا ومسيحًا ليُعبدَ على الأرض كونه ديّانًا في السماوات[١٤].

أعطى وجود يسوع المسيح في الملكوت رجاءً للكنيسة لكي تنطلق من أورشليم إلى أربعة أقطار العالم، وجعلها تستمرّ على مدى السنين والقرون، بالرغم من حيلِ الشرّير، لأنّ "المسيح يسوع نفسه هو حجر الزاوية، وفيه كلُّ بناءٍ يُنسق، فينمو في الرَّبِّ هيكلاً مُقدَّسًا"[١٥]. وللكنيسة كاملُ الثقة في المسيح عند الله[١٦]، فهو ربُّها وراعيها، وهي ثمرة وجوده في الملكوت السماويّ عن يمين الله الآب.

متى يكون مجيء يسوع المسيح وأين؟

انتظَرَ المسيحيّون هذا المجيء على مدى ألفي سنة ولم يتحقّق بعد، وخصوصًا مؤمنيّ الكنيسة الأولى في القرن الأوّل الذين اعتقدوا بقرب مجيء الرّبّ في فترة دمار هيكل أورشليم سنة سبعين ميلاديّة، لكن فاتهم أنّ الله الآب وحدَهُ يحدّد يوم المجيء وساعته بمعزلٍ عن الملائكة وحتّى عن الابن[١٧]، محقّق المجيء وموضوعه. بالإضافة إلى ذلك، لا يستطيع عقل الإنسان استيعاب تلك الساعة، كما لا يستطيع ضبطها، بالرغم من انتظارها الطويل، وليس لديه القدرة لترقّب ظواهرها الطبيعيّة كي يستعدّ لملاقاتها[١٨]، لأنّها تأتي بقرارٍ من الله الآب متى أراد تحقيق مشيئته في حياة الإنسان.

(٧) مر ١٦: ١٩.
(٨) يو ١٢: ٢٧.
(٩) يو ١٣: ٣.
(١٠) لو ٢٣: ٤٢-٤٣.
(١١) يو ١٣: ٣.
(١٢) يو ٣: ٣٥.
(١٣) أف ١: ٣-٦.
(١٤) فيل ٢: ٦-١١.
(١٥) أف ٢: ٢٠-٢١.
(١٦) ١ كو ٣: ٤.
(١٧) مت ٢٤: ٣٦.
(١٨) مت ٢٤: ٢٦-٣٥.

يرصدُ الكثيرون الظواهر الطبيعيّة والكوارث البيئيّة، وخصوصًا في فترات الحروب والحوادث المدمّرة للتبصّر في موعد المجيء الثاني على هذه الأرض، بينما ساعة الله الآب لا تتماشى مع نتائج الإنسان وأعماله المدمّرة، لأنّ الله يضبط ساعة حياة الإنسان ومصيره بالتوافق بين تتابع أحداث مخطّطه الخلاصيّ للشخص البشريّ على هذه الأرض ومع استحقاق موعد دخوله إلى الملكوت السّماويّ. وتأتي تلك الساعة بسرعة تفوق سيطرة حواسّ الإنسان لأنّها كالبرق الذي ينطلق من المشارق إلى المغارب[١٩]، لكنّ الله يسمح للإنسان بمشاهدة شعاعها ليدرك عظمة تلك الساعة وقوّتها، فيعرف أنّ الربّ آتٍ ليجلس على عرش مجده ديّانًا للأحياء والأموات.

لا تشير كتب العهد الجديد إلى مكانٍ محسوسٍ للمجيء الثاني ولا عن مكانٍ أرضيٍّ، بل تتحدّث الكتب عن السّماء كمكان لظهور المسيح في المجيء الثاني: "... وترى ابنَ الإنسانِ آتيًا، على غمام السَّماء، في عِزَّةٍ ومَجدٍ عَظيم. ويُرسِلُ ملائكتَهُ يَنفخونَ في الصُّور، ويجمعونَ مُختاريهِ من الرِّياحِ الأربع، مِن أقاصي السَّماواتِ إلى أقاصيها"[٢٠]. سيجتمعُ الجَميعُ مع يسوع المسيح في السَّماء، وينتظرُ الجميعُ ملاقاةَ الأحياء لهم: "ثُمَّ إنَّا نحنُ الأحياءَ الباقينَ نُخطفُ معَهُم في السَّحابِ لملاقاةِ الرّبِّ في الهواء، وهكذا نكونُ معَ الرَّبِّ على الدَّوام"[٢١]، أي سيذهبُ الجميعُ إلى السَّماء حيث يجلسُ الرّبُّ يسوع في مجده ساعة يريدُ الآبُ تحقيقَ مشيئته في حياة البشرِ.

ما هي غاية مجيء يسوع المسيح الثاني؟

قبل صعوده إلى السماء، وعدَ يسوع المسيح رسله بالملكوت السماويّ: "أنا ذاهبٌ لأُعدَّ لكم مكانًا، وإذا ما ذهبتُ، وأعددتُ، عُدتُ واستصحبتُكم، لتكونوا أنتم أيضًا حيثُ أنا أكون"[٢٢]. لذا نستنتج أنّ الهدف من صعود يسوع المسيح إعداد منازل لرسله في الملكوت السماويّ، ويكون سبب عودته اصطحابهم إلى الملكوت، وانتظار باقي أحبّائه لملاقاته.

زد على ذلك، سبق وحدَّد لهم الملكوت السماويّ للاحتفال بالعهد الجديد: "لَن أشرب بعدُ عصيرَ الكرمةِ هذا حتّى اليوم الذي أشربُهُ فيهِ معكُم رحيقًا جديدًا في ملكوتِ أبي"[٢٣]؛ يتحقّق نصر قيامة الرّبّ من بين الأموات وقيامة جميع الأموات المؤمنين به في الملكوت السماويّ حين يجلس على عرش ملكه ليدين جميع الأمم[٢٤]، وينادي أحبّائه قائلاً: "هَلُمَّ يا مباركي أبي، ورِثُوا الملَكوتَ المعدَّ لكُم منذُ إرساءِ العالم"[٢٥].

يصبح المجيءُ الثاني، انتظار المؤمن على هذه الأرض بلوغ السماوات الجديدة، الأرض الجديدة حيث يكون صحبة الأبرار والصدّيقين إلى الأبد[٢٦]. ويصبح هدف المجيء الأساس: صعود المؤمن المسيحيّ إلى السماء الجديدة ليعيش عن يمين يسوع المسيح في حياة لا موت فيها ولا فناء: "أمَّا نحنُ فمدينتُنا في السَّماوات، منها ننتَظِرُ الرَّبَّ يسوعَ المسيحَ مُخلِّصًا"[٢٧]. يكون المجيء إذًا دخول المؤمن إلى الملكوت السماويّ حيث الرّبُّ يسوع منذ صعوده إلى السماء، وحيث

(١٩) مت ٢٤: ٢٧.
(٢٠) مت ٢٤: ٣٠-٣١.
(٢١) ١ تس ٤: ١٧.
(٢٢) يو ١٤: ٢-٣.
(٢٣) مت ٢٦: ٢٩.
(٢٤) مت ٢٥: ٣١-٣٢.
(٢٥) مت ٢٥: ٣٤.
(٢٦) ٢ بط ٣: ١٣.
(٢٧) فيل ٣: ٢٠.

يعيش المؤمن بسلام الرّبّ وبمحبّة الله الآب إلى الأبد وحتّى انقضاء الدهور.

يبلغُ مجيءُ الرَّبّ يسوع غايتَهُ القصوى "حينَ يُسلِّمُ المسيحُ المُلكَ إلى اللهِ الآبِ"[٢٨]، "حتَّى يكونَ اللهُ الكُلَّ في الكُلّ"[٢٩]. لذا تبقى الغايةُ من المجيءِ الثاني أن يدخلَ كلّ مؤمنٍ إلى قلبِ الله الآب حيث لا موت ولا فناء، وذلك بمحبّة الله الآب، ونعمة الرّبّ يسوع المسيح، وشركة الروح القدس.

أين هو المسيح عيسى ابن مريم اليوم؟

حين قال اليهود لنبيّ المسلمين أنّهم صلبوا عيسى ابن مريم، أنزل الله الآية التالية: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا الْمَسِيحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ شُبِّهَ لَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا ١٥٧ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ١٥٨﴾ [٣٠]. لم يذكر القرآن إلى أين رُفِعَ ولا يُشير إلى مكان وجوده، لكن جاء في السيرة النبويّة، في "رواية المعراج": "حين عرّ ر حيث يسكن كباقي المرسلين لأنّ السلطة والقرار للملاك جبريل الناطق باسم الله، بينما ينتظر الجميع بَعثَ محمّد.

متى سيكون مجيء المسيح عيسى وأين؟

أنزل اللهُ في القرآن رفع المسيح عيسى مرّتَين[٣٥]، دون لحظ ساعة مجيئه أو تحديد مكان عودته. نقرأ في كتب التفاسير والحديث أنّ عيسى ابن مريم سينزل الأرض حَكَمًا عدلاً وإمامًا مُقسطًا[٣٦]. أخرجَ البُخاريُّ وقت النزولِ مع قيام الساعة[٣٧] دون تحديد زمانها أو تفسير معناها. لذا نعود إلى كتاب الله لتحديد الساعة: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ [٣٨]، أي أنّ عيسى سينزل ساعة القيامة حين يأتي الله ليبعث مَن في القبور: ﴿وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [٣٩].

تعلن "الساعة" في القرآن "القيامة" حيث ينتظر المسلمُ ساعة الميعاد التي لا تتأخّر عليه ولا يسبقها: ﴿قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [٤٠]. لا يستطيع أحدٌ أن يغيّر ثانيةً واحدةً من تلك الساعة لإنّ الله ضابطُها بأمرٍ منه ليفاجيء بها كلّ إنسان: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا

(٢٨) ١ كو ١٥: ٢٤.
(٢٩) ١ كو ١٥: ٢٨.
(٣٠) **النساء**: ١٥٧–١٥٨.
(٣١) **ابن هشام**، السّيرة النّبويّة: ٢٩٢–٢٩٣.
(٣٢) **ابن هشام**، السّيرة النّبويّة: ٢٩٢.
(٣٣) **مريم**: ٥٦–٥٧.
(٣٤) **النساء**: ١٧١.
(٣٥) سورة **آل عمران** آية ٥٥، وسورة **النساء** آية ١٥٧.
(٣٦) **الطبريّ**، جامع البيان: ٥٦٣٠.
(٣٧) **البُخاريُّ**، صحيح البُخاريّ: ٢٤٦٧.
(٣٨) **النساء**: ١٥٩.
(٣٩) **الحجّ**: ٧.
(٤٠) **سبَإ**: ٣٠.

يَعْلَمُونَ﴾ [٤١]، يجهلُ أهل السّماء وقت هذه الساعة بمن فيهم عيسى ابن مريم حتّى النبيُّ محمّد لا يعلمُ وقتها ولا يستطيع تعديلها، لأنَّ الله احتفظ لنفسه فقط بتحديد تلك الساعة وفق إرادته ومشيئته.

بالرغم من أنّ ساعة القيامة آتيَةٌ في السّماء، سيسبق عيسى ابن مريم تلك الساعة آتيًا على الأرض؛ نكتشف من أهل التفاسير والحديث ذاك المكان الأرضيّ؛ نقل الطبريّ عن رسول المسلمين: "ليُسلكنَّ الرَّوحاء حاجًّا أو مُعتمرًا، أو يدينُ بهما جميعًا"[٤٢]، أي سيسلك عيسى ابن مريم وادي روحاء ليأتي مكّة حاجًّا، ويؤدّي العُمرة بحسب كتاب الله وسُنّة الرَّسول. ثمّ يمكث هناك مدّةً من الزمن، اعتبرت أربعين سنة، ثمّ يموت، فيصلّي عليه المسلمون ويدفنونه في قبر النبيّ محمّد في المدينة المنوّرة حيث يوجد مكان فارغ بانتظاره[٤٣].

ما هي غاية مجيء عيسى ابن مريم؟

سيأتي عيسى ابن مريم قبل ساعة القيامة إلى مكّة ليؤديَّ فرائض الحجّ الإسلاميّ والعُمرة، ولديه مهمّة محدّدة تخدمُ الرسالة الإسلاميّة وتساعد المسلمين بالانتصار على بعض العوائق التي تقف في وجه المؤمن المُسلم. حدّد النبيّ محمّد مهمّة عيسى بالتالي: "... يكسرَ الصليبَ، ويقتُلَ الخنزيرَ، ويضعَ الجزيَةَ، ويفيضَ المالُ حتَّى لا يقبَلَهُ أحَدٌ"[٤٤]. لم تعرف الغاية من كسر الصليب، لكنّ بعض المسلمين يعتبرونه حديثًا غير صحيح. أمّا رواية قتل الخنزير فتأتي من ضمن سُنَن الإسلام المُحكمات التي تفرض عدم أكل الخنزير والمتاجرة به.

بالنسبة إلى دفع الجزيَة، سبق وأنزلها الله في كتابه على لسان عيسى إلى النبيّ محمّد: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [٤٥]، كان عيسى نطق بذلك من المهد حين اتُهمَت أمّه بهتانًا من قبل اليهود. قال ذلك عيسى ليعترف أنّه رسول على غرار الرسول محمّد يدفع الجزية ويصلّي بحسب فرائض الإسلام لأنّ الله أرسله ليبشّر بمحمّد نبيّ من بعده للمسلمين[٤٦].

تبقى الغاية القصوى من مجيء عيسى هي الدعوة إلى الإسلام: "...يقاتلُ النَّاسَ على الإسلام حتّى يُهلكَ الله في زمانه المِلَلَ كُلَّها..."[٤٧]، سيأتي عيسى ليسلّم الأمّة لمحمّد كما فعل سابقًا في بيت المقدّس حين أسرى محمّد إلى جامع الأقصى، ووقف خلفه إبراهيم وموسى وعيسى ليصلّي بهم لأنّه خاتم الأنبياء[٤٨]. لا يستطيع عيسى التقدّم على إمام المسلمين في مكّة بالنسبة إلى أهل السنّة، أمّا بالنسبة إلى أهل الشيعة فيتلازم مجيء عيسى مع ظهور المهديّ المُنتظر في مكّة، فيصلّي عيسى خلفه ليعطي الإمامة والأولويّة للمهديّ، ومن ثمّ يتبع النصارى المهديّ إلى الإسلام[٤٩].

(٤١) **الأعراف**: ١٨٧.

(٤٢) **الطبريّ**، جامع البيان: ٥٦٣١. وادي الرَّوحاء: أحد أودية المدينة المنوّرة، يقع بين مكّة والمدينة، وهو من ديار حرب فيها بئر معروفة قديمًا باسم "بئر روحاء"، وكان النبيّ محمّد ينزل بها إذا أراد العمرة أو الحجّ أو عند خروجه من بعض الغزوات.

(٤٣) **ابن كثير**، قصص الأنبياء: ٢٩٩.

(٤٤) **البخاريّ**، صحيح البخاريّ: ٢٢٢٢.

(٤٥) **مريم**: ٣١.

(٤٦) **ابن هشام**، السيرة النبويّة: ١٧٩.

(٤٧) **الطبريّ**، جامع البيان: ٥٦٣٢.

(٤٨) **ابن كثير**، قصص الأنبياء: ٢٨٧.

في النهاية يرسلُ الله عيسى حَكَمًا مقسطًا للمسلمين كما أرسل سابقًا محمّدًا حَكَمًا بين الأنصار والمهاجرين في المدينة يثرب[٥٠]؛ يحكمُ باسم الله استنادًا إلى القرآن، أمّا عيسى، في مجيئه، فيجب عليه الحكم باسم الله استنادًا إلى القرآن وسنّة الرسول لأنّه خليفة محمّد على أمّته[٥١]، ولا يستطيع تغيير رغبة من أرسله، كما لا يحقّ له التلاعب بالسُنَن المُحكمات.

خلاصة

صعد الرّبّ يسوع المسيح إلى الملكوت السَّماويّ وجلس على عرش مجده، ينتظرُ أحبّاءَه لملاقاته إلى المُلك المُعدّ لهم منذ إنشاء العالم. أتى يسوع المسيح في ملكوته ديّانًا للأحياء والأموات لأنّ الله الآب أقامه ربًّا ومسيحًا نتيجة لموته على الصليب فداءً عن أحبّائه. دخلَ يسوع المسيح الملكوت وفي يديه كتاب سفر الحياة، لأنّه الابن الوحيد وريث الله الآب، وقد مُنِحَ حقَّ الشفاعة بمحبّيه بعد أن جعل الله كلَّ شيءٍ في يده.

سيأتي كلّ مؤمنٍ باسم يسوع المسيح إلى ملكوت الرّبّ في ساعةٍ يحدّدها الله الآب وحده، ستكون ساعة المجيء الثاني حين يدخل المؤمن المسيحيّ إلى الملكوت لمشاهدة الرّبّ يسوع بأمّ العين، ويعيش معه في سلام أبديّ لا يعرف الموت ولا الفناء؛ حينها يشربُ المؤمن نخب نصر قيامة يسوع المسيح من الموت، يحتفلُ مع الرّبّ بعهدٍ جديدٍ يكون فيه المؤمن ابنًا لله الآب بقوّة يسوع المسيح وبركة الروح القدس.

أمّا المسيح عيسى ابن مريم فرَفَعه الله إليه وأجلسه في السّماء الثانية، ينتظرُ ساعة إرساله إلى الأرض في مكّة قبل ساعة القيامة حين يدخل المؤمن المُسلم ساعة ميعاده للوقوف أمام الله الدّيان. سيأتي عيسى الأرض ليسير من الرَّوحاء إلى مكّة حاجًّا ومعتمرًا، ثمّ يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويدفع الجزية، بحسب فرائض الإسلام، كي يستحقّ الغسل والتكفين على أيدي المسلمين عند موته.

سيُرسَل عيسى ابن مريم حَكَمًا مقسطًا يحكمُ بين الإسلام استنادًا على كتاب الله وسنّة الرسول، ليدعوَ إلى الإسلام خلف المهديّ، فيسلّم المُلكَ إلى المهديّ المُنتظر، ثمّ يموت ويدفن في حجرة نبيّ المسلمين في المدينة المنوّرة على أيدي المسلمين.

في النهاية، بانتظار تلك الساعة سيبقى يسوع المسيح في الملكوت ينتظر أحبّاءه، أمّا المسيح عيسى ابن مريم فسيبقى في السّماء الثانية ينتظر إرساله إلى مكّة ليدعوَ إلى الإسلام.

المراجع

ابن كثير، قصص الأنبياء = **سروجي (ال)** زياد (إعتناء)، ٢٠٠٣. قصص الأنبياء، ط ثانية، بيروت: دار صادر.

ابن هشام، السّيرة النبويّة = **سقّا (ال)** مصطفى، **الأبياري** إبراهيم و**شبلي** عبد الحفيظ (تحقيق وضبط وشرح)، ٢٠٠٤. السّيرة النبويّة لابن هشام، بيروت: دار الكتب العلميّة.

إونغليون، الكتاب المقدّس، العهد الجديد: ١٩٩٢. لبنان: جامعة الروح القدس– الكسليك.

(٤٩) **الجزائريّ**، قصص الأنبياء والمُرسلين: ٤٤٧.

(٥٠) **ابن هشام**، السّيرة النبويّة: ٣٥٤.

(٥١) **الطبريّ**، جامع البيان: ٥٦٣٢.

البُخاريّ، صحيح البُخاريّ = **بُخاريّ (ال)** أبي عبدالله محمّد، ٢٠٠٧. صحيحُ البُخاريّ، ط خامسة، بيروت: دار الكتب العلميّة.

باشا حبيب (متروبوليت) وآخرون (تعريب)، ١٩٩٩. **التّعليم المسيحيّ للكنيسة الكاثوليكيّة**، جونيه: المكتبة البولسيّة.

الجزائريّ، قصص الأنبياء والمرسلين = **لبّون (ال)** فاتن محمّد خليل (تحقيق)، ٢٠٠٧. قصص الأنبياء والمرسلين، بيروت: مؤسّسة التاريخ العربيّ.

الطبريّ، جامع البيان = **طبريّ (ال)** أبي جعفر محمّد بن جرير، ٢٠٠١. جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن، بيروت: دار الفكر.

منصور يوحنّا (مطران)، و**الفاخوري** حنّا (ترجمة)، ٢٠٠١. دنتسنغر– هونرمان، الكنيسة الكاثوليكيّة في وثائقها، ط أولى، جونيه: المكتبة البولسيّة.

نصارى القرآن
و
مسيحيّوه
(الجزء الاول)
أ. جوزف تزي
دار لأجل المعرفة
ديار عقل - لبنان
٢٠٠٢

نصارى القرآن
و
مسيحيّوه
(الجزء الثاني)
أ. جوزف تزي
دار لأجل المعرفة
ديار عقل - لبنان
٢٠٠٢

العهد والميثاق
في الكتاب المقدّس والقرآن

الأب أيوب شهوان
أستاذ مادّة الكتاب المقدّس
جامعة الروح القدس، الكسليك

مقدّمة

يشكّل موضوع العهد، كما أيضًا موضوع الوعد، رباطًا وثيقًا يخترق تاريخ الخلاص منذ البداية وحتّى المنتهى، إذ ارتبط الله بالبشريّة عامّةً وبشعبه الذي شاءه بركةً لكلّ أمم الأرض خاصّةً بعهدٍ أبديّ حدوده محبّة الله اللامتناهية للإنسان، وهذا ما نستنتجه ممّا جاء في عب ١: ١–٢: "إنّ الله، بعدما كلّم الآباء قديمًا بالأنبياء مرّات كثيرة بوجوه كثيرة، كلّمنا في آخر الأيّام هذه بالابن". لذلك تبنّت الكنيسة الناشئة العهدَ القديم ككتاب مقدّس لها أيضًا التزامًا منها بإرادة المسيح سيّدها وعملاً بقوله، "لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ؛ مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ" (مت ٥: ١٧)، وتأكيدًا على تواصل عهد الله في حياتها ومسيرتها.

وبما أنّ القرآن يتكلّم على الموضوع عينه بتسميات مشابهة ومتنوّعة، ولكن بمضامين مختلفة إلى حدّ كبير، رأينا أن نستعرضه في المكانَين بهدف إبراز خصائص كلٍّ منهما وأبعادهما.

١ – العهد البيبليّ

ارتبط الله بالإنسان وخاطبه من خلال الخليقة، لذا هتف صاحب المزامير قائلاً: "السَّماواتُ تُحدِّثُ بمجدِ الله، والجَلَدُ يُخبِرُ بما صَنَعَتْ يداه"[١].

يقول الكاتب اليهوديّ أندره نِهِر: "إنّ فكرة العهد بين الله والبشر... هي إسهام الفكر العبريّ الأكثر فرادة"[٢]؛ فاستنادًا إلى الفكر المذكور ينطلق العهد بين الله والبشر منذ نوح (تك ٩) عندما أعطى الله علامةً للبشريّة بأسرها، هي قوس القزح، يتعهّد بها بأن لن يكون طوفان من بعد على وجه الأرض. وتتوجّه شرائع الله إلى الأمم بأجمعها وليس إلى بني إسرائيل فقط؛ فالله قد شاء أن يُتِمَّ هذا العهدَ البيبليّ بالمعنى الحصريّ، وعَبْرَ الشعب العبريّ ومن خلاله، ليكون مشروعَ حياةٍ للبشريّة. يعترض بعضُ اليهود على المسيحيّين الذين يرغبون في أن يكون العهد مفتوحًا أمام شعوب الأرض كلّها، لكن، وكما أنّ "كلمة الله لا تُقَيَّد"[٣]، كذلك تصميمه بأن يكون العهد للجميع لا يمكن لأحد أن يصدّه أو يقف في وجهه.

(١) مز ١٩: ٢. أنظر أيضًا روم ١: ١٩–٢٠: "لأَنَّ ما يُعرَفُ عنِ اللهِ بَيِّنٌ لهم، فقَد أَبانَهُ اللهُ لهم؛ فمنذُ خَلْقِ العالَم لا يَزالُ ما لا يَظهَرُ مِن صفاتِه، أَي قُدرتُه الأَزليَّةُ وأُلوهتُه، ظاهرًا للبصائِرِ في مخلوقاتِه؛ فلا عُذْرَ لهم إِذًا، لأَنَّهم عَرَفوا اللهَ ولم يُمجِّدوه ولا شكروه كما ينبغي للّه، بل تاهوا في آرائِهِم الباطلة، فأَظلَمَت قلوبُهمُ الغبيّة".

(2) André Neher, *L'essence du prophétisme*, PUF 1955, p. 116.

(٣) ٢ تيم ٢: ٩.

١/أ – لدينا في الكتاب المقدّس عهود عدّة:

ثلاثة غير مشروطة قطعها الله، مع البشريّة عامّة، ثمّ مع بني إسرائيل، وهي: مع آدم، ومع نوح، والعهد الجديد؛

وأربعة منها قطعها الله مع شعب إسرائيل، وهي: مع إبراهيم، مع بني إسرائيل بشأن الأرض، مع موسى، ومع داود.

بمعزل عن طاعة بني إسرائيل أو تمرّدهم، سيحقّق الله هذه العهود معهم، مع التذكير بأنّ العهد مع موسى هو مشروط، أي أنّ طاعة بني إسرائيل لمتطلّبات العهد ستجلب لهم البركة، أمّا تمرّدهم فسيتسبّب لهم باللعنة.

– كان **عهد الله مع نوح ومع البشريّة** غير مشروط؛ فلقد **وعد اللهُ** بأنّه لن يدمّر الحياة على الأرض بالطوفان ثانية (رج تك ٩)، وأعطى لهذه الغاية **قوسَ القزحِ كعلامةٍ على العهد** (رج ٢ بط ٢: ٥).

– **العهد مع إبراهيم** (رج تك ١٢: ١–٣، ٦–٧؛ ١٣: ١٤–١٧؛ ١٥؛ ١٧: ١–١٤؛ ٢٢: ١٥–١٨). في هذا العهد **وعد الله إبراهيم** بأمور عدّة:

بأن يجعل اسمه عظيمًا (تك ١٢: ٢)،

وأن **يكون أبًا لأبناء كثيرين** (تك ١٣: ١٦)،

وأن **يكون أبًا لأمم كثيرة** (تك ١٧: ٤–٥)؛

كذلك أعطاه الله **وعودًا خاصة بأمّة ستُدعى "إسرائيل"**. يرد ذكرُ الحدود الجغرافيّة للعهد مع إبراهيم في تك ١٢: ٧؛ ١٣: ١٤–١٥؛ ١٥: ١٨–٢١.

وممّا تضمّنه العهد مع إبراهيم **الوعد بأن تتبارك الأمم كلّها بإبراهيم وبنسله** (تك ١٢: ٣؛ ٢٢: ١٩).

– **العهد مع موسى** (تث ١١) فكان **مشروطاً**؛

فهو إمّا يجلب **بركة الله** نتيجة للطاعة،

وإمّا **لعنة الله** على شعب إسرائيل بسبب المعصية.

يتضمّن هذا العهد وصايا الله العشر (خر ٢٠) **وباقي الناموس**، الذي يضمّ ما يزيد على ٦٠٠ وصيّة – نصفها إيجابيّ، ونصفها الآخَر سلبيّ.

تفصّل الأسفار التاريخيّة، أي من سفر يشوع وحتّى سفر إستير، كيف نجح بنو إسرائيل في طاعة وصايا الله وأوامره، أو كيف فشلوا عندما تصرّفوا عكس ذلك، فجلبوا على نفسهم إمّا **البركة**، وإمّا **اللعنة** (رج تث ١١: ٢٦٢٨).

– **العهد مع داود** (٢ صم ٧: ٨–١٦) يوضح موضوع **"النسل"** الذي يجري الكلام عليه في **العهد مع إبراهيم**. إن الوعود المعطاة لداود هنا هي هامّة جدًّا، إذ يعد الله:

بأن يبقى نسل داود إلى الأبد،

وبألاّ تندثر مملكته إلى الأبد (٢ صم ٧: ١٦) بالربّ يسوع (رج لو ١: ٣٢–٣٣).

– **العهد الجديد** (إر ٣١: ٣١–٣٤) **قُطِعَ أوّلاً مع شعب إسرائيل، ثم مع البشريّة كلّها**. في هذا العهد يعد الله بما يلي:

أن يغفر الخطايا،

وأن تنتشر معرفة الله في العالم كلّه.

جاء **يسوع** المسيح ليكمّل ناموس موسى (مت ٥: ١٧)، **فخلق عهدًا جديدًا بين الله وشعبه**. لقد أصبحت الفرصة متاحةً الآن لقبول الخلاص كهبة مجّانيّة (أف ٢: ٨–٩).

– **بالنسبة إلى المسيحيّين**، إذا كانت المسيحيّة قد وُلِدَتْ من حشا الشعب اليهوديّ، فذلك لكي تكون مفتوحةً على موقف شموليّ من موضوع الخلاص؛ بالتأكيد، إنّ للشعب المختار دورَه في العالم غير اليهوديّ؛ وبفضل انتشار العهد في التاريخ البيبليّ وفي

شهادة الشعب العبريّ بالذات له، أفَلا يكون هذا العهدُ هادفًا إلى فيضِ وفرةٍ إلهيّةٍ في آنٍ معًا لليهود كما لغيرهم، أي لجميع البشر؟ إسرائيل هو "الابن البكر"، كما قالَ الرَّبُّ لموسى: "وتَقولُ لفرعون: إسرائيل هو ابني البِكْر"[٤]؛ وهو أيضًا "البواكير": "كانَ إسرائيلُ قُدسًا للرّبّ وباكورةَ غلّتِه"[٥]، ممّا يعني أنّ هناك آخَرين من بعده.

لاحقًا سيقول يسوع للمرأة السامريّة: "الخلاص يأتي من اليهود، لكنّ ساعة تأتي، وها هي حاضرة، حيث العابدون الحقيقيّون يعبدون الآب بالروح والحقّ"[٦]. لقد أراد يسوع أن يتمّم بالروح حرفَ التوراة، أي الشريعة اليهوديّة المدوَّنَة في الأسفار الخمسة الأولى من الكتاب المقدّس؛ لذلك قال: "أنا لم آتِ لأُبطل الشريعة أو الأنبياء؛ لم آتِ لأُبطل بل لأتمّم"[٧].

يمتدّ العهد البيبليّ ذاته من إبراهيم إلى يسوع، ويتوسّع ليشمل الأمم كلّها. هذا الانفتاح كان قد تمّ الإعلان عنه في العهد القديم المشترك بين اليهود والمسيحيّين، كما يعبّر عن ذلك مز ٨٦: ٩: "كلّ الأمم التي خَلَقْتَها ستأتي لتعبدَكَ وتمجّدَ اسمَكَ"[٨]. وفي هذا السياق يعلن مز ٨٧: ٥ ما يلي: "أمّا صهيون فيُقال فيها: كُلُّ إنسان وُلِد فيها، والعليُّ هو الذي ثبّتها". كذلك هو الحال في الإنجيل الذي تتجلّى فيه الشموليّة بأقوى وأبهى ما يكون؛ فلقد ذهب يسوع إلى أرض الوثنيّين، إلى ديكابّوليس، أي المدن العشر[٩]، وإلى صور وصيدون[١٠]، وإلى قيصريّة فيليبّس، أي إلى بانياس حيث كانت هناك عبادة للإله "بَان" (Pan)[١١]، وإلى السامرة[١٢] حيث عُومِل كسامريّ بطريقة مسيئة[١٣]، ومع هذا فقد أجرى هناك معجزات شفاء. بهذا كلّه وبغيره نتبيّن بوضوح وجلاء أنّ يسوع جاء من أجل الناس أجمعين[١٤].

١/ب – انتشار العهد

إنّ الله هو دومًا صاحب المبادرة تجاه بني إسرائيل، كما تجاه البشريّة ككلّ؛ فلقد اختار شعبًا، هو الشعب العبريّ، لكي يبتّ معه، هو إله بني إسرائيل وإله المسيحيّين، عهدًا محدَّدًا، يشكّل آخِرَ الأمر نظامَ حياةٍ معه. يشمل العهدُ البشريّةَ بأسرها وتاريخَها كلَّه، من خلال ظروف يجري فيها إعلانُه في وقائع محدَّدة، في عهد واحد أبديّ، وهو قصدٌ غالٍ على قلب الله، وتصميم واضح المعالم والمرامي تجاه الناس أجمعين.

بالنسبة إلى المسيحيّين هناك في هذا المجال مرحلتان رئيسيّتان نتبيّنهما من خلال أحداث استثنائيّة:

(٤) خر ٤: ٢٢.
(٥) إر ٢: ٣.
(٦) يو ٤: ٢٢–٢٤.
(٧) مت ٥: ١٧.
(٨) أنظر أيضًا: مز ٢٢: ٢٨؛ ٤٥: ١٨؛ ٤٧: ٢، ١٠؛ ٦٦: ٨؛ ٦٧: ٣–٦؛ ٧٢: ١١؛ ٨٧: ٤–٧؛ ٩٧: ٦؛ ١٠٢: ١٦، ٢٣؛ ١١٧: ١؛ ١٤٨: ١١–١٣؛ تث ٣٣: ١٩؛ ١ مل ٨: ٤٣، ٦٠؛ عا ٩: ١٢؛ أش ٢: ٢–٤؛ ١٩: ٢١–٢٥؛ ٤٢: ٤، ٦؛ ٤٥: ١٤–١٧، ٢٠–٢٥؛ ٤٩: ٦؛ ٥٦: ٧؛ ٦٠: ١–١٦؛ ٦٥: ١؛ ٦٦: ١٨–٢٤؛ إر ٣: ١٧؛ ٤: ٢، ١٦؛ ١٦: ١٩؛ ٣١: ١٠؛ حز ٢٠: ٤١؛ ٢٨: ٢٥؛ ٣٨: ٢٣؛ يؤ ٤: ٢؛ يون؛ مي ٤: ١–٣؛ صف ٣: ٩؛ زك ٢: ١٥؛ ٨: ٢٢–٢٣؛ ٩: ٦–٧؛ ١٤: ٩، ١٦؛ طو ١٤: ٦؛ حك ١٨: ٤؛ أم ٨: ٣١.
(٩) مر ٥: ١–٢٠؛ ٧: ٣١–٣٧.
(١٠) مت ١٥: ٢١–٢٨.
(١١) مت ١٦: ١٣–٢٠.
(١٢) لو ٩: ٥١–٥٦؛ يو ٤.
(١٣) يو ٨: ٤٨.
(١٤) مت ٢٨: ١٩؛ مر ١٦: ١٥؛ لو ٢٤: ٤٧؛ يو ١: ٤؛ ٤: ١٤، ٣٩–٤٢؛ ١٧: ٢٠–٢٣؛ أع ٨: ٥–٢٥.

– من جهة أُولى، إبراهيم ثمّ الخروج؛

– من جهة ثانية، موت المسيح وقيامته.

لقد تمّ عيش هذه الأحداث، ثمّ أُعيدتْ قراءتُها، فأعطت العهدَ القديم بالنسبة إلى اليهود، والعهدَ الجديد، الذي أبصر النور في تربةٍ يهوديّة، بالنسبة إلى المسيحيّين.

النقطة العقائديّة في الأمر هي **انتشار العهد البيبليّ في التاريخ**؛ فَلَدَى الله تصميم، هو خارج المعايير البشريّة، بأن يعطي ذاته للإنسان دون الذوبان فيه، إذ إنّ الذوبان هو عنفٌ يُنكِرُ الآخَر، ويتملّكه، ممّا يعني أنّه لا يحبّه. لذا فإنّ علاقة الله بالإنسان هي علاقة محبّةٍ حقيقيّة، لأنّ الله المتسامي هو ذاتُه أيضًا محبّة[١٥].

يشهد توحيديّو العهد البيبليّ، يهودًا كانوا أم مسيحيّين، وكلٌّ على طريقته، أنّ المسافة العلائقيّة لا تهدف إلى الإبعاد بل إلى إفساح المجال للمحبّة: "إذ قد صِرتَ كريمًا في عَينَيّ ومجيدًا، فإنّي أَحبَبتُكَ"[١٦]. بالمقابل، يأمر الله قائلاً: "أحبِبِ الربَّ إلهَكَ"[١٧]، "وقريبك كنفسك"[١٨]؛ هذا ما يعلّمه يسوع أيضًا، وعلى خطى العهد القديم[١٩]. بعمله هذا هو يُظهِر القُرْبَ بين الله والإنسان في عهد الحبّ الذي سيتمّه بموته وقيامته:

"هذا هو دمي، دم العهد، الذي سيُهرَق عن كثيرين لمغفرة الخطايا"[٢٠].

في عهد الله مع الإنسان يبقى هذا وذاك مختلفَين؛ فالله يهب علاقةَ محبّةٍ تتقدّم وتتواصل عبر الزمان؛ يدخل في تاريخ البشر، ويأخذ على عاتقه، وبالاشتراك معهم، الأمرَ الذي لا يمكن تَصَوُّرُه من وجهة نظر بشريّة. هو الله مَن يأخذ، بكلمته وبأفعاله، المبادرةَ بأن يكون رفيقَ الدربِ مع شعبه على مَدِّ الزمان.

وتمثّل دعوة إبراهيم بدايةَ تاريخ الخلاص، إذ كلّمه الله[٢١] قائلاً: "أترك أرضك..."[٢٢]، دون أن يعرف إلى أين: "بالإيمانِ لَبَّى إبراهيمُ الدَّعوةَ، فخَرَجَ إلى بَلَدٍ قُدِّرَ لَه أن يَنالَه ميراثًا، خَرَجَ وهو لا يَدري إلى أَينَ يَتَوجَّه" (عب ١١: ٨)؛ لم يكن هذا ليس تراجعًا تكتيكيًّا موقّتًا، كما هجرة محمّد. يأتي بعد ذلك الوعد الذي أعطاه الله لأبرام[٢٣]، والعهد الذي بتّه معه[٢٤]، والذي أكّده وثبّته إيقاف ذبح إسحق[٢٥]. ولكون أبرام مُؤتَمَنًا على الوعد، صار اسمه "إبراهيم"[٢٦]. لاحقًا تعزّز العهدُ وتقوّى مع موسى[٢٧].

على يد الأنبياء كوّن الله شعبه، بالرغم من كون هذا الأخير شعبًا حَرُونًا ومتمرّدًا: "لقد غلّظوا رقابَهم

(١٥) رج ١ يو ٤: ١٦.

(١٦) حرفيًّا: "أنت تعني الكثير بالنسبة إليّ، أنتَ ثمين، وأنا أحبّك" (أش ٤٣: ٤أ).

(١٧) تث ٦: ٥.

(١٨) لا ١٩: ١٨.

(١٩) مت ٢٢: ٣٧–٣٩.

(٢٠) مت ٢٦: ٢٨.

(٢١) رج أع ٧: ٢–٤.

(٢٢) رج تك ١٢: ١.

(٢٣) "وأنا أَجعَلُكَ أُمَّةً كبيرة، وأُبارِكُكَ، وأُعظِّمُ اسمَكَ، وتَكُونُ بَرَكَة" (تك ١٢: ٢؛ أنظر أيضًا الفصل ١٥).

(٢٤) تك ١٧.

(٢٥) تك ٢٢.

(٢٦) "ولا يَكونُ اَسمُكَ أَبْرامَ بَعدَ اليوم، بل يَكون اسمُكَ إبراهيم، لأَنّي جَعَلتُكَ أَبَا عَدَدٍ كبيرٍ مِنَ الأُمَم" (تك ١٧: ٥).

(٢٧) خر ١٩–٣٤.

برفضهم الإصغاء إلى أقوالي"[٢٨].

يبقى الله، وبشكل ثابت وبإصرارٍ، أمينًا لوعوده ولعهده، بالرغم من المظاهر المعاكسة، كالسبي إلى بابل وتدمير الهيكل في القرن السادس ق. م.، الخ. إنّ تأكيدَه، "أنا أكون لهم إلهًا، وهم يكونون لي شعبًا"[٢٩]، هو الإعلانُ النموذجيُّ للعهد[٣٠]. إنّه التاريخ المقدّس للخلاص؛ يهب الله إلهامَه لشعبه ولو كان غيرَ أمينٍ في غالب الأحيان، وبإمكان سائر الشعوب أن تتبيّن ذاتها في هذا الشعب الذي هو رمز البشريّة[٣١]. ولكن، بالمسيح الذي أُعلِنَ لداود[٣٢] سيتوسّع التيّار المسيحانيّ؛ فاليهود الذين سيتبعون يسوع سيرَون فيه المسيح الذي، مع هذا، سيبدو محيِّرًا، إذ إنّه لا يتطابق مع الفكرة التي كُوِّنَت عنه، كما نتبيّن من سؤال الرسل الذي وجّهوه إلى يسوعَ قُبَيل صعوده قائلين: "يا ربّ، أفي هذا الزمان تُعيدُ المُلْكَ إلى إسرائيل؟"[٣٣]. لقد رفض يسوعُ هذا الطريق الزمنيّ. لقد واصل الشعب اليهوديّ من بعده تغذيةَ رجائه بمسيح زمنيّ؛ فَرَابّي عقيبا[٣٤] سيعتبر شمعونَ بَرْكُوخْبَا بمثابة "مسيح"؛ ونذكّر هنا بأنّ بَرْكُوخبَا كان قائدَ الثورة اليهوديّة الكبيرة ضدّ الرومان الذين قضوا عليه سنة ١٣٥ ب. م.

ليست اليهوديّة والمسيحيّة وحدهما فقط في التاريخ بل هما ديانتَا التاريخ. من خلال العهد وبواسطته يتعاون الله والإنسان في التاريخ الحقيقيّ، الذي له أَدِلَّةٌ على ذلك؛ بالإمكان الكلام هنا على "تاريخ مقدّس" لأنّه تاريخ الاثنين: الله والإنسان. يُظهر الله ذاتَه، يكشف عن ذاته، كما تعلن ذلك البركةُ الشهيرة: "يُضِيء الربُّ بوجهه عليك ويرحمك، ويرفع الربُّ وجهَه نحوكَ، ويمنحُك السلام"[٣٥]. يعيش التيّار النبويّ للعهد البيبليّ من ديناميكيّة بشريّة–إلهيّة، ثمرتُها هي شعب الله المختار، الذي يسعى إلى أن يكون أمينًا للعهد؛ لقد بلغ يسوع بالعهد إلى نهايته، وتسعى الكنيسة إلى أن تبقى أمينةً لهذا العهد.

إنّ ديناميكيّة العهد البشريّة–الإلهيّة هي ديناميكيّة التجسّد؛ ففي قلب شعب الله المختار تتركّز العلاقة بين الله والإنسان، علاقةٌ تجسّدت بالفعل، طوال قرون متعاقبة من العهد، على المسيح الذي هو في آنٍ معًا إنسان كامل وإله إنسان. ويؤمن المسيحيّون أنّ المسيح هو العهد المشخصَن والمجسَّد، وأنّه تتميم العهد، ومحور التاريخ البشريّ.

في الإسلام لا يوجد شعب مختار، لأنّه لا يوجد عهد.

هذا بالإيجاز العهد البيبليّ. لنرَ الآن العهد القرآنيّ.

٢ – العهد القرآنيّ

"وأَوْفُوا بعهدِ اللهِ إذا عاهَدْتُم، ولا تنقُضُوا الأَيمانَ بعدَ توكيدِها"[٣٦].

(٢٨) إر ١٩: ١٥. رج خر ٣٢: ٩؛ تث ٩: ٦؛ ٣١: ٢٧؛ ٢ مل ١٧: ١٤ي؛ إر ٧: ٢٦؛ ١٧: ٢٣؛ با ٢: ٣٠. أنظر أيضًا موضوع "الشعب المتمرّد" في عد ٢٠: ٢٤؛ ٢٧: ١٤؛ تث ١: ٢٦؛ ٩: ٧، ٢٣، ٢٤؛ أش ٦٥: ٢؛ إر ٣: ١٤، ٢٢؛ ٥: ٢٣؛ حز ٢: ٣، ٨؛ نحميا ٩: ٢٦، ٢٩.

(٢٩) إر ٣١: ٣٣.

(٣٠) رج إر ٧: ٢٣؛ ٢٤: ٧؛ ٣٠: ٢٢؛ ٣١: ٣٣؛ ٣٢: ٣٨؛ حز ١١: ٢٠؛ ١٤: ١١؛ ٣٦: ٢٨؛ ٣٧: ٢٣، ٢٧؛ با ٢: ٣٥؛ زك ٨: ٨.

(٣١) رج تك ٤٩: ١٠؛ أش ٧: ١٤؛ حج ٢: ٢٣.

(٣٢) ٢ صم ٧: ٨–١٧.

(٣٣) أع ١: ٦.

(٣٤) هو **عقيبا بن يوسف**، ورد اسمه في التلمود الفلسطينيّ، عاش في القرنين الأوّل والثاني ب. م.

(٣٥) عد ٦: ٢٥–٢٧؛ رج أيضًا خر ٢٤: ١–١١.

(٣٦) **سورة النحل** ١٦: ٩١.

لقد التزمَ رسولُ المسلمين والإسلامُ الوفاءَ بالعهد طاعةً لهذه الوصيّة وتحقيقًا لها[٣٧]، عالمين يقينًا بأنّ الذين ينقضون العهد "هُمُ الخاسرون"[٣٨]. ولقد بلغ الأمر بالرسول إلى حدِّ نفي الدِّين عَمَّنْ لا عهدَ له إذ أعلن قائلاً: "لا دِينَ لمن لا عَهدَ له"[٣٩].

هكذا يصبح نقضُ العهدِ أمرًا محرَّمًا قَطْعًا، لأنّه لا يجوز لمؤمن أن يعاهد ثمّ يغدر، ولأنّ مَن يظلم معاهدًا يكون "الله حجيجَه يوم القيامة"[٤٠].

الكتاب المقدّس هو ثمرة العهد بين الله والإنسان، أمّا القرآن فَمِن السماء نزل، بالتالي هو ليس ثمرة عهد بين الله والإنسان!

على خلاف القرآن، الذي نزل من السماء، من "الكتاب الأمّ"، لم ينزل الكتاب المقدّس من السماء، بل هو ثمرة العهد الإلهيّة–الإنسانيّة، وقد قَرَأَتْهُ الكنيسةُ منذ بدايتها في ليتورجيّاتها كافّة، وتبيّنتْ فيه أنّ الله يثمّر ذاته، إن جاز التعبير، لأجل شعبه ولأجل البشريّة بأسرها، كاشفًا ذاته شيئًا فشيئًا عبر الأجيال المتعاقبة بانسجام عقائديّ واضح المعالم.

إنّ التناسق البيبليّ هو مميّز وفريد بالمقارنة مع الديانات الأخرى، بما فيها الإسلام؛ هذا لا يعني إطلاقًا أنّنا عاجزون عن أن نفعل شيئًا مع بعضنا البعض؛ وما يمكن عمله ينبغي القيام به مع احترام الفروقات الأساسيّة التي تشكّل هويّاتنا.

٢/أ – الميثاق في القرآن

ينبغي الأخذ بعين الاعتبار المفهوم القرآنيّ الخاصّ لعبارة "ميثاق ما قبل الأزل"، لأنّ هذا المفهوم هو جوهريّ. وبحسب الإسلام، هو "ميثاق منحه الله للنسل الآدَميّ قبل الأزل"[٤١].

القرآن هو قليل الدقّة في هذا السياق: "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا"[٤٢]؛ وأيضًا: "أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ"[٤٣]؛ وكأنّه كان هناك خليقة أولى، خليقة أوّليّة، خَلَقَ اللهُ بَعْدَها من جانب واحد ميثاقًا أصليًّا مع البشريّة في آدم أوّل. كان هذا الميثاق بمثابة أمر تاريخيّ، لكنْ شيئًا فشيئًا تولّد ميلٌ إلى إغراقه في الانفعالات الميتافيزيقيّة؛ لذا فإنّ الوعيَ الدينيّ الإسلاميّ هو مركّز، ليس على واقع من التاريخ، بل على واقع هو فوق التاريخ، أي ليس ما بعد التاريخ، بل عابر للتاريخ.

٢/ب – الأمانة للميثاق

تندّد الآية الشهيرة، التي تتكلّم على الأمانة للميثاق، بانتفاء هذه الأمانة: "إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولاً"[٤٤]. هذا الإسلام يريد أن يكون ديانة بدايات البشريّة، والخليقةَ الأوّليّةَ

(٣٧) "العهد"، في: جوزف قزّي، **هذا هو الإسلام**، دار لأجل المعرفة، ديار عقل، لبنان ٢٠٠٧، ص ٨٦٢.

(٣٨) **سورة البقرة** ٢: ٢٧.

(٣٩) أخرجه أحمد ٣: ١٣٥، من حديث أنس بن مالك.

(٤٠) أخرجه أبو داود ٤: ٣٥٨، من حديث عائشة.

(41) Louis Gardet et Georges Anawati, *Introduction à la théologie musulmane*, Vrin, 1970, p. 397.

(٤٢) **سورة الأعراف** ٧: ١٧١.

(٤٣) **سورة الأعراف** ٧: ١٧٢؛ ر ج **سورة المائدة** ٥: ٧.

(٤٤) نقل حرفيّ: "اقترحنا الأمانة على السماوات، وعلى الأرض، وعلى الجبال، لكنّها أَبَتْ أن تتكفّل بها، وخافت منها. وتكفّل بها الإنسان، لكنّه كان غيرَ عادلٍ وجاهلاً جدًّا" (**سورة الأحزاب** ٣٣: ٧١).

عند "الميثاق السابق للأزل". هكذا يكون الإسلام "الديانةَ الأوّليّة"، الوحيَ الأوّل المطابقَ **للكتاب–الأمّ** الذي لا يشكّل الأنبياء والقرآن سوى أناس "يذكّرون" به. والقرآن بالتالي يخبر عن هذا الحدث، حدث **"الميثاق" الأوّلانيّ بين الله والبشريّة**.

واستنادًا إلى التقليد، قد يكون الميثاق الأصليّ محفورًا على الحجر الأسوَد الموضوع في زاوية من هيكل الكعبة المكعب في مكّة[٤٥].

لقد قلّل المعتزلةُ العقلانيّو التوجّه من وهج الميثاق الأوّلانيّ فاعتبروه أسطوريًّا أو رمزيًّا، بينما اعترف به الصوفيّون الروحانيّون[٤٦]؛ ففي ردٍّ على **مدرسة السلف الصالح التي قالت بأزليّة حرف القرآن**، أنكر **المعتزلة**[٤٧] **أزليّة القرآن**، ومثلهم فعل **الأشاعرة**[٤٨]، وقالوا بخَلْقِه من النقل ومن العقل، مؤكّدين أنّ كلام الله مخلوق من جملة المخلوقات، وهو مخلوق منفصل عن الله، مستشهدين لذلك بقول الله: "وَمَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّنَ الرَّحْمَنِ مُحْدَثٍ إِلاَّ كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ"[٤٩]؛ وفسّروا قول الله، "الربِ كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ"[٥٠]، بأنّ ما صادفه فعل بعد فعل يكون محدَثًا؛ ثمّ أعملوا عقلهم فقالوا: إنّ القرآن مركّب من حروف وكلمات، والمركَّب محدَث! وفي نظرهم إنّ المقولة بأزليّة القرآن تحمل تناقضًا في ذاتها، فهي القول بقديمَين: الله والقرآن، لأنّه إمّا أن يكون القرآن ذاتَ الله أو غيرَ ذاته؛ فإن كان القرآن، كلامُ الله، ذاتَ الله، فهل يصحّ أن يكون من ذات الله ما ورد فيه من أعمال مخلوقة، وأحداث بشريّة؟ وإن كان القرآن، كلام الله، غيرَ ذاته، فالقول بأزليّته هو القول بقديمَين، وهذا هو الكفر بعينه"[٥١].

إنّ الخليقة، وآدم الأوّلانيّ، والطبيعة الفطريّة، والديانة، والوحي، والعقيدة، والشريعة، هي كلّها "أوّلانيّة" ومرتبطة بالميثاق الذي يختلف جوهريًّا وكلّيًّا عن العهد البيبليّ. إنّ مفاهيم العهد، من جهة، ومفاهيم القرآن والإسلام، من جهة ثانية، هي غريبة الواحدة عن الأخرى.

لا يقول **الأشاعرة بخلق القرآن**؛ والمعروف أنّ الذين يقولون **بخلق القرآن** هم الجهميّة[٥٢] والمعتزلة.

٢/ج – المواثيق القرآنيّة الأخرى

قد يتعجّب البعض من الجَزْم بأنْ لا عهدَ بيبليًّا في القرآن، عندما يجري الكلام على الميثاق الأوّلانيّ،

(45) Cf. Louis Gardet, *L'islam : religion et communauté*, DDB, 1970, p. 129.

(٤٦) بدأ ظهور الصوفيّين والصوفيّة منذ القرنَين ٨–٩ م كردّ فعل على البذخ والترف وتدنّي القيم الحسنة التي انتشرت في المجتمع الإسلاميّ. يدعو الصوفيّون إلى الزهد والورع والتوبة والرضا، ويعتقدون أنّ الصلاة والصوم والحجّ والزكاة عبادات العوام، وأمّا هم فيسمّون أنفسهم الخاصّة، ولذلك فعباداتهم مخصوصة وإن تشابهت ظاهرًا.

(٤٧) أتى قول المعتزلة بأنّ القرآن مخلوق وليس أبديًّا تطبيقًا عمليًّا لاعتماد العقل في تفسير الشريعة الإسلاميّة، واستندوا على نصوص دينيّة لدعم حجّتهم، منطلقين، في هذا المجال، من مسألة صفات الله؛ فبعد أن قرّروا وحدة الذات الإلهيّة وصفاتها، وقرّروا نفي الصفات الزائدة عن الذات، تحوّلوا إلى النظر في ما ورد من هذه الصفات داخل النصوص الدينيّة عبر إخضاعها إلى التأويل العقليّ.

(٤٨) "الأشاعرة" فرقة كلاميّة إسلاميّة، تنسب لأبي الحسن الأشعريّ الذي خرج على المعتزلة؛ وقد اتخذت البراهين والدلائل العقليّة والكلاميّة وسيلة في محاججة خصومها.

(٤٩) **سورة الشعراء** ٥.

(٥٠) **سورة هود** ١.

(51) Cf. alkalema.net/mo3gezat/mo3gezat38.htm

(٥٢) هي فرقة إسلاميّة، ظهرت في الربع الأول من القرن الهجريّ الثاني، على يد مؤسّسها الجهم بن صفوان الترمذيّ. وافقهم **المعتزلة** في نفيهم بعض صفات الله الأزليّة، وتأويلهم للصفات التي تشعر بالتشبيه، وقولهم بأنّ القرآن مخلوق.

وهذا صحيح لأنّ مضمون العهد البيبليّ شيء، ومضمون الميثاق القرآنيّ شيء آخر. لكن هناك نماذج أخرى من المواثيق مع الله في القرآن، يُعَبَّر عنها بما يقارب الاثني عشر مصطلحًا مختلفًا تَرِدُ حوالى ١٢٥ مرّة في القرآن، وهي التالية:

(أ) مواثيق ليس الله شريكًا فيها:

– "**إيلاف**"، اتّفاق بين الناس: "**إِيلَافِ** قُرَيْشٍ **إِيلَافِهِمْ** رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ"[٥٣].

– "**إلّ**"، هدنة سياسيّة: "اشْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ؛ لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ **إِلًّا** وَلَا ذِمَّةً وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ. فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ"[٥٤].

– "**عَقْد**": "يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ"[٥٥].

– "**ذِمَّة**": اتفاقيّة حماية: "كَيْفَ وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا **ذِمَّةً** يُرْضُونَكُمْ بِأَفْوَاهِهِمْ وَتَأْبَى قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ. لَا يَرْقُبُونَ فِي مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا **ذِمَّةً** وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ"[٥٦].

– "**ميثاق**"، التزام: "وَكَيْفَ تَأْخُذُونَهُ وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ وَأَخَذْنَ مِنكُم **مِّيثَاقًا** غَلِيظًا"[٥٧].

– "**عهد**": "وَإِنْ نَكَثُوا أَيْمَانَهُمْ مِنْ بَعْدِ **عَهْدِهِمْ** وَطَعَنُوا فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُوا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَهُونَ"[٥٨].

– "**حَبْل**"، رباط: "ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوا إِلَّا **بِحَبْلٍ** مِنَ اللَّهِ وَحَبْلٍ مِنَ النَّاسِ وَبَاءُو بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ"[٥٩].

– "**أَيْمان**" (٤٧ مرّة)، قسَم أو يمين: "إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ **وَأَيْمَانِهِمْ** ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ". (٣: ٧٧).

(ب) مواثيق مع الله أو مِنْ قِبَلِه:

***ميثاق**: التزام

– ما قبل الأزل: "الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ **مِيثَاقِهِ** وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"[٦٠]؛ "وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا أَن تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ"[٦١].

– مع الأنبياء: "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ **مِيثَاقَ** النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا

(٥٣) سورة قريش مكّة ١٠٦: ١–٢.
(٥٤) سورة التوبة ٩: ٨، ١٠.
(٥٥) سورة المائدة ٥: ١.
(٥٦) سورة التوبة (٩: ٨، ١٠)
(٥٧) سورة النساء ٤: ٢١؛ أنظر أيضًا ٤: ٩٠، ٩٢؛ ٨: ٧٢؛ ١٢: ٦٦، ٨٠.
(٥٨) سورة التوبة ٩: ١٢؛ أنظر أيضًا ١٧: ٣٤؛ ١٩: ٧٨.
(٥٩) سورة آل عمران ٣: ١١٢.
(٦٠) سورة البقرة ٢: ٢٧.
(٦١) سورة الأعراف ٧: ١٧٢.

مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ"[٦٢]؛ "وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ **ميثاقَهُمْ** وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا"[٦٣].

– مع المسلمين الذين هم إلى حدٍّ ما أمناء: "وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ **وَمِيثَاقَهُ** الَّذِي **وَاثَقَكُم** بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ"[٦٤].

– مع "أهل الكتاب" اليهود: "وَإِذْ أَخَذْنَا **ميثاقَكُمْ** وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ"[٦٥]؛ والمسيحيّين: "وَمِنَ الَّذِينَ قَالُواْ إِنَّا نَصَارَى أَخَذْنَا **ميثَاقَهُمْ** فَنَسُواْ حَظًّا مِّمَّا ذُكِّرُواْ بِهِ فَأَغْرَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاء إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يُنَبِّئُهُمُ اللّهُ بِمَا كَانُواْ يَصْنَعُونَ"[٦٦].

*** عهد:**

– ما قبل الأزل: "الَّذِينَ يَنقُضُونَ **عَهْدَ** اللّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ"[٦٧].

– مع الأنبياء: " وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ **عَهْدِي** الظَّالِمِينَ. وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى **وَعَهِدْنَا** إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْعَاكِفِينَ وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ"[٦٨].

– مع المسلمين: "إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ **بِعَهْدِ** اللّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَئِكَ لاَ خَلاَقَ لَهُمْ فِي الآخِرَةِ وَلاَ يُكَلِّمُهُمُ اللّهُ وَلاَ يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[٦٩].

– مع "أهل الكتاب" اليهود: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا **بِعَهْدِي** أُوفِ **بِعَهْدِكُمْ** وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ"[٧٠].

***وَعْد:**

– مع موسى النبيّ: "وَإِذْ **وَاعَدْنَا** مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِن بَعْدِهِ وَأَنتُمْ ظَالِمُونَ"[٧١].

– مع المسلمين: "وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا **وَعْدَ** اللّهِ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللّهِ قِيلاً"[٧٢].

(٦٢) سورة آل عمران ٣: ٨١.

(٦٣) سورة الأحزاب ٣٣: ٧.

(٦٤) سورة المائدة ٥: ٧؛ أنظر أيضًا سورة الرعد ١٣: ٢٠، ٢٥؛ سورة الحديد ٥٧: ٨.

(٦٥) سورة البقرة ٢: ٦٣؛ أنظر أيضًا سورة البقرة ٢: ٨٣، ٨٤، ٩٣؛ سورة آل عمران ٣: ١٨٧؛ سورة النساء ٤: ١٥٤–١٥٥؛ سورة المائدة ٥: ١٢، ١٣، ٧٠؛ سورة الأعراف ٧: ١٦٩.

(٦٦) سورة المائدة ٥: ١٤.

(٦٧) سورة البقرة ٢: ٢٧؛ أنظر أيضًا ٢٠: ١١٥.

(٦٨) سورة البقرة ٢: ١٢٤–١٢٥؛ أنظر أيضًا ٧: ١٣٤؛ ٤٣: ٤٩؟

(٦٩) سورة آل عمران ٣: ٧٧؛ أنظر أيضًا ٦: ١٥٢؛ ٨: ٥٦؛ ٩: ٧٥، ١١١؛ ١٣: ٢٠، ٢٥؛ ١٦: ٩٥؛ ١٩: ٨٧؛ ٣٣: ١٥، ٢٣.

(٧٠) سورة البقرة ٢: ٣٩؛ أنظر أيضًا ٢: ٧٩، ٩٩؛ سورة آل عمران ٣: ١٨٢؛ سورة طه ٢٠: ٨٦.

(٧١) سورة البقرة ٢: ٥٠؛ أنظر أيضًا سورة الأعراف ٧: ١٤٢: "وَوَاعَدْنَا مُوسَى ثَلاَثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَاهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَاتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَى لِأَخِيهِ هَارُونَ اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ".

(٧٢) سورة النساء ٤: ١٢٢؛ أنظر أيضًا سورة التوبة ٩: ١١١: "إِنَّ اللّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُواْ بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ".

– مع "أهل الكتاب" اليهود: "يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ **وَوَاعَدْنَاكُمْ** جَانِبَ الطُّورِ الأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى"[٧٣].

– مع شعب نموذج: "وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا **الْوَعْدُ** إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ"[٧٤].

***حَبْل**: رباط يجمع ويضمّ:

– مع المسلمين: "وَاعْتَصِمُواْ **بِحَبْلِ** اللّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَىَ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ "[٧٥].

– مع "أهل الكتاب": "ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُواْ إِلاَّ **بِحَبْلٍ** مِّنْ اللّهِ **وَحَبْلٍ** مِّنَ النَّاسِ وَبَآؤُوا بِغَضَبٍ مِّنَ اللّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُواْ يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللّهِ وَيَقْتُلُونَ الأَنبِيَاء بِغَيْرِ حَقٍّ ذَلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ"[٧٦].

***قَسَم**: هو قَسَمٌ كونيّ من الله للبشر: " وَإِنَّهُ **لَقَسَمٌ** لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ"[٧٧].

***إِصْر**[٧٨]: رباطُ (قرابة) مع الأنبياء: "وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّيْنَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ **إِصْرِي** قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ"[٧٩].

نشير في ختام هذا العرْض إلى أنّ مفردات المواثيق القرآنيّة هي غير جامدة لأنّ كلمةً ما منها يمكن أن تأخذ معاني مختلفة؛ فالمفردات "ميثاق"، و"عهد"، و"حَبْل"، قد تتعلّق بمواثيق بين الناس، كما أيضًا مع الله. ويبدو كذلك أنّ هناك معادلات في النصّ البيبليّ ذاته، كما بين "ميثاق" و"عهد"[٨٠]، بين "ميثاق" و"إصْر"[٨١]؛ مع ذلك، نرى أنّ هناك هيمنةً واضحة لكلمتَي "عهد" و"ميثاق"، كما للتوافق بين موضوعاتهما.

ماذا نستنتج؟

أبعد من الجانب اللغويّ التقنيّ، يُلاحَظ أنّ **هذه المواثيق هو الله مَن قرّرها** بشكل أحاديّ؛ **لا علاقة لها** بتصميم عهدٍ تصاعديّ وتقدّميّ مع البشر كلّهم، **عهدٍ يقود فيه الله التاريخَ**، ويهب ذاتَه لهم من أجل أن يخلّصهم، وهذا **منظور غريب وبعيد عن المنظور القرآنيّ الإسلاميّ** الذي ينظر إلى العلاقات بين الله والبشر وكأنّها نوع من ميثاق بُتَّ بين شريكَين، أحدهم سيّد أعلى والآخَر أدنى منه وتابع له. لا يمكن أن تكون النتائج على المستوَيَين الشخصيّ والجماعيّ إلاّ متباينة بشكل جذريّ، إنْ على الصعيدَين الثقافيّ والعباديّ، وإنْ على صعيدَي الحضارة والتاريخ.

(٧٣) **سورة طه** ٢٠: ٨٠؛ أنظر أيضًا ٢٠: ٨٦: "فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ يَا قَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ الْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِي".

(٧٤) سورة يس ٣٦: ٤٨. أنظر أيضًا سورة يس ٣٦: ٥٢: "قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ".

(٧٥) **سورة آل عمران** ٣: ١٠٣.

(٧٦) **سورة آل عمران** ٣: ١١٢.

(٧٧) **سورة الواقعة** ٥٦: ٧٦؛ أنظر أيضًا **سورة الفجر** ٨٩: ٥: "هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِّذِي حِجْرٍ".

(٧٨) "إصر"، في **قاموس المعاني**: "إصْر "،جمع "آصارٌ": عهد وميثاق ثقيل مؤكّد؛ ذنْب، حمل ثقيل: "وَإِذَا أَسَاءَ فَعَلَيْهِ الإِصْرُ وَعَلَيْكُمْ الصَّبرُ" [حديث]؛ "رَبَّنَا وَلاَ تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا": شدّة العمل وثقله .

(٧٩) **سورة آل عمران** ٣: ٨١.

(٨٠) "الَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ" (**سورة البقرة** ٢: ٢٧)؛ أنظر أيضًا **سورة الرعد** ١٣: ٢٠: "الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلاَ يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ".

إنّ هذه المواثيق مع الأنبياء، والمسلمين، واليهود، والمسيحيّين، ومع شعب نموذج، والمواثيق الكونيّة ذات الأنماط المتكرّرة، هي دون تأثير أساسيّ، لأنّها، في الواقع، وباستثناء "الميثاق السابق للأزل"، ليست سوى دعم إلهيّ بسيط و"تذكيرات" بما هو أساسيّ، أي بالالتزام السابق للأزل. حتّى ذكر العهد مع موسى وبني إسرائيل في سيناء، الحاضر في القرآن كميثاق، خاصّة من خلال حادثة العجل الذهبيّ المكرَّرة مرّات عدّة، لا يُنظَر إليه كجزء من العهد البيبليّ الأصليّ، بل يتحوّل إلى ميثاق بين المواثيق الأخرى[٨٢]، ويُظهر شريعة التاريخ القرآنيّة.

لا يُفسح الوحيُ القرآنيّ أيَّ مكانٍ للعهد المسيحانيّ الذي هو بادرة الأحداث الإسكاتولوجيّة؛ بالتالي، **ما لا يُعْتَرَف به هو الرابط الجوهريّ بين العهد الموسويّ والعهد الداوديّ؛ فالقرآن لا يتضمّن شيئًا يمكن مقارنته مع العهد البيبليّ** من خلال تاريخ الشعب العبريّ، **الذي ينكره القرآن والإسلام**، وصولاً إلى **المسيح الذي يقوم دوره على فتح هذا العهد على سائر البشر، الأمر الذي ينكره القرآن والإسلام أيضًا**. لدينا في **سورة البقرة ٢ : ٨٣** كلامًا على العهد مع بني إسرائيل، حيث نقرأ ما يلي: "صَنَعْنا عهدًا مع بني إسرائيل"، ولكنّ باقي هذه الآية يبيّن بوضوح أنّ **هذا العهد ليس ذاك الذي يتكلّم عليه الكتاب المقدّس**.

لقد التزم محمّدُ الوفاءَ بالعهد، وأوجب الإسلامُ الأمرَ ذاته، لكنّ أسسَ العهد البيبليّ ومضامينه هي غير أسس الميثاق القرآنيّ ومضامينه.

يبقى العهد في الكتاب المقدّس موضوعًا أساسيًّا ومحوريًّا؛ فهو ذاك التحالف الذي عقده الله مع البشر، آخذًا على نفسه أن يمنحهم البركات والنعم، لقاء أمانتهم له وحفظهم شريعته ووصاياه. إنّ عبور كلمة "عهد" من نوح في البداية، ثم مع إبراهيم ومع موسى، وصولاً إلى إرميا (٣١ : ٣١)، فالعهد الجديد مع الربّ يسوع[٨٣]، لَدليلٌ جليٌّ على التواصل بين الله وشعبه، لا بل والبشريّة قاطبة، الأمر الذي لا نجد له مرادفًا في القرآن.

المراجع

قزّي جوزف، **هذا هو الإسلام**، دار لأجل المعرفة، ديار عقل، لبنان ٢٠٠٧.

قاموس المعاني. قاموس عربيّ عربيّ.

القرآن الكريم، مكتبة المثنى، دار إحياء التراث العربيّ، بيروت، لبنان (دون تاريخ).

المعجم: اللغة العربيّة المعاصرة.

المعجم: المعجم الوسيط.

(٨١) "وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي قَالُواْ أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُواْ وَأَنَاْ مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ" (**سورة آل عمران ٣: ٨١**).

(٨٢) **سورة المائدة ٥: ١٢**.

(83) A. VANHOYE, *La nuova alleanza nel NT* (Roma, 1990) 31, 62-63.

سلسلة «الحقيقة الصعبة» (١٦)
المسيحية
في
ردود المسلمين
(الجزء الاول)
أ. جوزف تزي
دار لأجل المعرفة
ديار عقل - لبنان
٢٠٠٢

سلسلة «الحقيقة الصعبة» (١٦)
المسيحية
في
ردود المسلمين
(الجزء الثاني)
أ. جوزف تزي
دار لأجل المعرفة
ديار عقل - لبنان
٢٠٠٢

الركائز الخمسة
في القرآن وفي الكتاب المقدّس

أمل حزين
دكتوراه في علوم التربية والتنشئة
وماجيستر في الدراسات العربيّة والإسلاميّة

مقدّمة

يقوم هذا العمل على البحث في الركائز الخمس في الإسلام وإظهار ما لها من ارتباط بالكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد. إن أركان الإسلام هي خمسٌ وهي بحسب حديث نبويّ على لسان رسول الإسلام محمد كالتالي:

"بني الإسلام على خمس: شهادة أنّ لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت من إستطاع إليه سبيلا"[1].

ولذلك هي ركائز أو أركان مفروضة على كلّ مسلم ودونها لا يكون المُسلم مسلمًا صالحًا، إذ عليها يقوم الإسلام وهي بغاية الأهمّيّة بالنسبة لكلّ مسلم. وهنا نود أن نبحث في معانيها الإسلاميّة وما يقابلها في المسيحيّة واليهوديّة وإذا كان لها إي علاقة أو اتصال بالكتاب المقدّس. بالإضافة إلى ذلك سنحاول استبيان الاختلافات في مفهومها بين الديانات السماويّة الثلاث.

البحث مبني على المراجع الإسلاميّة للقسم الإسلاميّ وعلى المراجع المسيحيّة للشق المتعلّق بالكتاب المقدّس بعهديه القديم والجديد.

لقد اخترنا في هذا العمل أن نورد كلّ ركن ونشرحه أوّلاً في الإسلام ثمّ في المسيحيّة واليهوديّة تبعًا للكتاب المقدّس بعهديه الجديد والقديم، محاولين استبيان أوجه التشابه وأوجه الاختلاف.

١. الشهادة أو شهادة الإيمان

الشهادة للإيمان عنصر جوهريّ في حياة كلّ مؤمن مهما كانت ديانته أو بغض النظر إلى أي دين ينتمي. فلا إيمان بلا شهادة ولا شهادة بلا إيمان. وبهذا المعنى تلتقى كلّ الديانات وجميع المؤمنين. الإختلاف بين الديانات يكون في معنى الشهادة أو مفهومها وما تحويه من حقائق.

– في القرآن والإسلام

تُسمى الشهادة أو الشهادتين لأنّ لها قسمين: الأوّل ينصّ على أنّ "لا إله إلّا الله" والثاني يشهد المؤمن المسلم من خلاله بأنّ محمدًا هو مرسل للناس من عند الله كالتالي: "وأنّ محمدًا رسول الله".

وتُبنى الشهادة على بعض آيات القرآن التي تؤكّد بأنّ

(١) صحيح البخاري، رقم ٨. متّفق عليه.

لا إله غير الله وحده وآيات أخرى تشير إلى أنّ محمدًا هو مرسل من عند الله. ففي الآية ١٨ من سورة آل عمران مكتوبٌ "شَهِدَ اللهُ أنّه لا إله إلا هو والملائكة وأولوا العلم قائما بالقسط لا إله إلا هو العزيز الحكيم". وفي السورة ذاتها الآية ٨٦، يقول القرآن "كيف يهدي الله قومًا كفروا بعد إيمانهم وشهدوا أنّ الرسول حقٌّ وجاءهم البيّنات والله لا يهدي القوم الظالمين". كما يقول في سورة الأنعام الآية ١٩ "قُل أي شيء أكبر شهادة قُل الله شهيدٌ بيني وبينكم وأوحي إليّ هذا القُرءان لأنذركم به ومن بلغ أئنكم لتشهدون أنّ مع الله آلهة أخرى قُل لا أشهد قُل إنّما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون". أمّا عن النبيّ فتنصّ الآية ١٤٤ من سورة آل عمران بالتالي: "وما محمّد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفإين مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب عىل عقبيه فلن يضر الله شيئًا وسيجزي الله الشاكرين". وفي سورة التوبة الآية ١٢٨ إشارة إلى رسالة محمّد كرسول من الله: "لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم". كما في سورة الأحزاب الآية ٤٠ يقول "ما كان محمّد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيّن وكان الله بكلّ شيء عليما". كما يدعوا القرآن في سورة محمّد الآية ٣٣ إلى إطاعة الرسول "يا أيّها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم". ففي كلّ هذه الآيات وآيات أخرى كثيرة تأكيدًا على أنّ محمّد هو رسول الله للبشر وخاتم الأنبياء بحسب إيمان المسلمين.

هي أوّل الأركان وأهمّها وهي الحقيقة الجوهريّة الوحيدة الثابتة في الإسلام بشكل عامّ[٢]، وهي للإعلان عن الإيمان من دون شكّ مُصرّحين أنّه ليس هناك إله في الوجود إلا الله الواحد الأحد، وأنّ محمّدًا هو رسول مرسل من الله مبشرًا ونذيرًا للعالمين. ويقول الفقهاء بأنّ معناها أيضًا بأنّ شريعة النبيّ تنسخ ما قبلها من الشرائع حيث يقول القرآن "ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يُقبَلَ منه وهو في الآخرة من الخاسرين" (سورة آل عمران: ٨٥). وهذه الشريعة، بحسب الفقهاء، تقتضي من المسلم أيضًا أن يأخذ من تعاليم النبيّ محمّد ما أمر به أن يؤخذ ويمتنع عمّا نهى عنه. كما يقولون بأنّه كون الشهادتين تُشكلان رُكنًا واحدًا، فهذا إشارة واضحة إلى أنّ العبادة لا تتمّ إلا في هذين الأمرين معًا: إخلاص العبادة لله وحده وإتباع نهج الرسول في العبادة وعدم الخروج عمّا سنّه النبيّ للأمّة. وهناك الكثير من الآيات التي تجمع هاتان الشهادتان وتؤكّدهما مثل سورة الأعراف الآية ١٥٨ على لسان النبيّ مؤكّدًا أنّه رسول من لدن الله الواحد الأحد.

ويجب أن يُلفظ هذا الإعلان عن الإيمان يوميًّا في صلاة المسلمين. بجانب ذلك الشهادة هي المفتاح الرئيسيّ لدخول أي إنسان غير مسلم في الإسلام وبذلك تكون الشهادة هي مرادف المعموديّة عند المسيحيّين، أي باب الدخول للإسلام كما المعموديّة مفتاح الدخول إلى المسيحيّة.

– في الجديد

أمّا الشهادة في المسيحيّة فهي الشهادة للإيمان أي المجاهرة به، "وفي بعض الأحيان احتمال التعذيب والاستشهاد في سبيل هذا الإيمان" [٣]. وبحسب معجم الإيمان المسيحيّ يتمّ تعريف الإيمان كالتالي:

"هو جواب الإنسان إلى دعوة الله، فهو مصدر الحياة المسيحيّة بأسرها"، كما يتمّ التمييز بين موضوع الإيمان والقضايا الإيمانيّة، فنقرأ في نفس المصدر:

"موضوع الإيمان: ما ينتهي إليه الإيمان، أو ما

(2) Cfr. Paolo Branca, *Introduzione all'Islam*, San Paolo, Cinisello Balsamo (Milano), 1995, 235.

(٣) **معجم الإيمان المسيحيّ**، دار المشرق، بيروت، ٢١٩٩٨، ص ٢٨٨.

يعتنقه، أي الله نفسه بصفته الحقّ الأوّل المتجلّي للإنسان".[٤]

أمّا فيما يتعلّق بالقضايا الإيمانيّة، فهي قضايا "تصوغها المجامع عادة، وهي تحدّد إيمان الكنيسة".[٥]

موضوع الشهادة في كتب العهد الجديد يقوم على غرار العهد القديم، فهو يشجب شهادة الزور. لكن مفهوم الشهادة يتسع خاصّة في اتّجاه يبتعد عن المجال القانونيّ آخذًا قيمة دينيّة محضة.[٦]

كما أنّ الشهادة تتحوّل إلى شهادة يسوع بالمعنى الذي في الشريعة وفي كرازة الأنبياء، فيسوع هو الشاهد الأمين الأسمى للحقّ.[٧] بعد ذلك تأخذ الشهادة صورة واقعيّة، ألا وهي التبشير بالإنجيل (مت ٢٤: ١٤) فيصبح الرسل شهودًا ليسوع، فينشأ رابطًا قويًّا بين الإنجيل والشهادة التي غالبًا ما تؤدّي إلى تحمّل الآلام ثمّ الموت أي الاستشهاد من أجل الشهادة ليسوع.[٨]

في المسيحيّة أيضًا يمكن وضع قانون الإيمان بموازاة الشهادة في الإسلام: "نؤمن بإله واحد ضابط الكلّ، خالق السماء والأرض، ما يُرى وما لا يُرى وبربّ واحد يسوع المسيح، ابن الله الوحيد...". قانون الإيمان هذا الذي يحوي الحقائق الإيمانيّة في الدين المسيحيّ، بينما الشهادة للإيمان في الاسلام تقتصر على الايمان بحقيقتين هما وحدانيّة الله ونبوّة ورسالة محمّد.

لذلك نرى أنّ الشهادة في الإيمان المسيحيّ هي أوسع بكثير من أن تقتصر على جملة حتّى وإن كانت تحوي على حقائق إيمانيّة، بل لها عدّة أوجه ومعاني وبشكل خاصّ معاني لاهوتيّة تغيّر الوجود الإنسانيّ بجملته. أي تصبح الشهادة حقيقة وجوديّة معاشة أكثر منه كلمات تردّد وتشهد تصل إلى حدّ الشهادة.

– في العهد القديم

تقوم الشهادة بحسب معجم اللاهوت الكتابيّ على الإقرار بحقيقة حادث ما، بالطريقة الرسميّة التي تتطلبها الظروف. ولكن الكتاب المقدّس عندما يذكر الشهادة فهو يركز على شهادة الناس "مُبينًا خطورة هذه الشهادة وتنظم الشريعة استخدامها [...] فالوصايا العشر تحرّم بشدّة شهادة الزور [...] وأمّا كتاب التثنية فيحدّد عقوبتها تبعًا لمبدأ 'المثل بالمثل'".[٩]

كما أنّ للشهادة أبعاد أخرى، كشهادة الله التي تكون فوق شهادة البشر وشهادة الله لذاته وشهادته عن طريق الأنبياء أي الشهادة الإلهيّة التي ينقلها إلينا الأنبياء. وهناك أيضًا شهود الله تبعًا للعهد القديم بمعنى الشهادة المُلزم بها شعب إسرائيل يؤدّيها لله أمام الشعوب الأخرى.[١٠]

بحسب العهد القديم فإنّ الشهادة للإيمان هو مطلب يفرضه العهد.

لذلك نرى أنّ الشهادة في الإسلام ترتكز في الأساس على معنى الشهادة الوارد في العهد القديم والعهد الجديد مقتصرة فقط على عقيدتي الإيمان بوحدانيّة الله وبرسالة نبيّ الإسلام محمّد. بينما في العهدين القديم والجديد، يكون معنى الشهادة أوسع بكثير. وعلى كلّ حال تلتقي الديانات السماويّة الثلاث في معنى الشهادة لله الخالق.

(٤) المرجع السابق، ص ٨٨.

(٥) المرجع السابق، ص ٨٨.

(٦) ر ج معجم اللاهوت الكتابيّ، دار المشرق، بيروت، ص ٤٦٠.

(٧) المرجع السابق، ص ٤٦٠.

(٨) المرجع السابق.

(٩) المرجع السابق، ص ٤٥٨– ٤٥٩.

(١٠) المرجع السابق.

٢. الصلاة

الصلاة أيضًا من القواسم المشتركة بين جميع الديانات وبخاصّة الديانات السماويّة الثلاث. فلا إيمان أو تدين بدون صلاة ولا صلاة بدون إيمان. وكما في الشهادة الفرق يكون في مفهوم الصلاة وفي طريقة فرضها على كلّ مؤمن. سنرى فيما يلي مفهوم الصلاة في الديانات السماويّة الثلاث: الإسلام والمسيحيّة واليهوديّة.

– في القرآن والإسلام

تعتبر الصلاة الركن الثاني من أركان الإسلام استنادًا إلى الحديث النبويّ على لسان رسول الإسلام محمّد، المذكور سابقًا، أنْ "بُنِي الإسلام على خمس: شهادة أنّ لا إله إلا الله وأن محمّدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحجّ البيت من إستطاع إليه سبيلا". لها أهمّيّة بالغة ويجب أن تؤدّى كما هو مفروض في أوقات معينة وبركعات وصلوات ثابتة قارئًا الآيات القرآنيّة من الفاتحة وغيرها. وعلى المسلم اتباع ما ينصّ عليه الشرع في تأديّة الصلاة بشكل دقيق.

إنّ الصلاة، كما قال الرسول، في حديث نبويّ، هي عمود الإسلام: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله"[١١]. وقد فُرِضت الصلاة في مكّة قبل الهجرة إلى يثرب تقريبًا في السنة العاشرة من البعثة النبويّة، وذلك خلال حادثة أو رحلة الإسراء والمعراج التي تمت تقريبًا عام ٦١٩ م بحسب المؤرّخون.

والصلاة مفروضة على كلّ مسلم بالغ وعاقل كما جاء في الآية القرآنيّة "إنّ الصلاة كانت على المؤمنين كتابًا موقوتًا" (النساء: ١٠٣)، وهي خمس صلوات في اليوم والليلة: صلاة الفجر، صلاة الظهر، صلاة العصر، صلاة المغرب وصلاة العشاء، كلّها لها أوقات معيّنة ويجب تأديتها في حينها وإلّا فلن يقبلها الله. وهناك صلوات مسنونة كقيام الليل والتراويح وركعتي الضحى، إلخ. كلّ هذه الصلوات تحتّم على المسلم تأديتها في حال طهارة أي بعد القيام بالغسل، الوضوء أو التيمم. والصلاة على المسلمين والمسلمات هي فرض يمثل صدق التوجه إلى الله وحده في جميع الأمور وقد أمر الله المسلمين بالمحافظة عليها بقوله: "حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وقوموا لله قانتين" (البقرة: ٢٣٨). وبحسب الفقهاء فمن لا يقيم الصلاة فهو كافر تبعًا لما أتت به الآية ٣١ من سورة النساء: "منيبين إليه واتقوه وأقيموا الصلاة ولا تكونوا من المشركين". ويعتقد المسلمون أنّ صلاة الجماعة أفضل من الصلاة الفرديّة وذلك بسبب حديث نبويّ يؤكّد أنّ "صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفذ بسبع وعشرين درجة" (رواه مسلم، رقم ٦٥٠). وهنا اختلاف كبير بين المفهوم الإسلاميّ للصلاة والمفهوم المسيحيّ، حيث أنّ يسوع حثّ تلاميذه على الصلاة في الخفاء ودون كثرة في الكلام "وإذا صلّيتُم فلا تكونوا كالمرآءين فإنّهم يحبّون القيام في المجامع وفي زوايا الشوارع يُصلّون ليظهروا للناس. الحقّ أقول لكم إنّهم أخذوا أجرهم. أمّا أنت فإذا صليت فادخل مخدعك وأغلق بابك وصلّ إلى أبيك في الخفية وأبوك الذي يرى في الخفية هو يُجازيك. وإذا صلّيتم فلا تُكثِروا الكلام مثل الوثنيّين فإنّهم يظنون أنّه بكثرة كلامهم يُستجاب لهم" (مت ٦: ٥–٧).

كما أنّ الصلاة بحسب القرآن هي عون للعبد على الشدائد: "واستعينوا بالصبر والصلاة وإنّها لكبيرة إلا على الخاشعين" (البقرة: ٤٥)[١٢].

وأهمّيّة الصلاة في الإسلام هي في تأديتها في حينها

(١١) تخريج الحديث: أخرجه الإمام أحمد والترمذي بإسناد صحيح عن معاذ بن جبل. صحيح مسلم، كتاب الصلاة.

(١٢) مراجعة **الصلاة**، في موقع http://mawdoo3.com/9%84.

وبتأديّة الركعات الواجبة تبعًا لما هو مفروض وبتلاوة الآيات القرآنيّة، فهي تركّز كثيرًا على الشكل والتلاوة الحرفيّة وتأديتها في العلن وفي كلّ مكان نظيف وغير دنس. أمّا في المسيحيّة فالصلاة غير مرتبطة بهذا الشكل بأيّ زمان أو مكان.

– في العهد الجديد

لِنَرَ الآن الصلاة كما يعلّمها يسوع في العهد الجديد، فعندما طلب التلاميذ من يسوع أن يعلّمهم الصلاة علمهم "الأبانا" (رج لو ١١: ١–٤ ومت ٦: ٩–١٣). وبما:

"إنّ ابن الله بتجسّده يرتكز وضعه وسط طلبات البشر المتواصلة. وهو يغذيها بالأمل عندما يستجيب لها، وفي ذات الوقت يثني على الإيمان ويشجّعه أو يهذّبه (لو ٧: ٩، مت ٩: ٢٢ و٢٩، ١٥: ٢٨)، وعلى أساس وضع معيشته يمتدّ تعليمه أوّلاً إلى الأسلوب الذي يتبع في الصلاة، أكثر منه إلى ضرورة الصلاة: "إذا صلّيتم فقولوا ..." (لو ١١: ٢)".[١٣]

الصلاة في العهد الجديد تلازم خط الصلاة في العهد القديم وملؤها يتمثل في **الصلاة الربّانيّة** (رج مت ٦: ٩–١٣، لو ١١: ١–٤) التي هي فعل إيمان، وهبة ذات تدخّل الإنسان في نطاق المحبّة متوجّهة إلى الله بصفته أب.[١٤] ويعلّمنا يسوع أنّنا بحاجة تامّة إلى الصلاة وباستمرار، في إطار الأزمنة الأخيرة، كي لا تغرقنا جميع الحوادث التي ستحدث في حياتنا.[١٥] وهنا نجد اختلاف جذريّ لا يمكن تخطيه مع الصلاة في الإسلام، حيث أنّ كلّ مسيحيّ يتوجّه في صلاته إلى الله كأب له، بينما هذه النقطة بالنسبة للمسلم هي كفر وخطيئة لأنّ الله هو الله المتعالي البعيد عن البشر خليقته.

كما يتمّ التأكيد في معجم اللاهوت الكتابيّ على أنّه "ليس في الإنجيل ما يكشف أنّ الصلاة ضرورة مطلقة، أفضل من المكانة التي تحتلّها في حياة يسوع"[١٦]، فهو يختلي باستمرار للصلاة.

أمّا الصلاة في حياة الكنيسة فتبدأ "داخل إطار صلاة إسرائيل. فإنجيل لوقا ينتهي في الهيكل، حيث كان الرسل "يلازمونه ... لله مسبّحين" (لو ٢٤: ٥٣، أع ٥: ١٢)".[١٧] فإذا بحثنا وجدنا جميع كتب العهد الجديد متشبّعة ومملوءة بذكر صلاة الجماعة الأولى وصلاة الرسل مثل بولس وبطرس. ولذلك يمكننا القول بأنّ الحياة المسيحيّة ككلّ مبنيّة على الصلاة والابتهال. وهي صلاة شكر وعبادة وطلب وثقة واختبار وحمد واتحاد، إلخ.

الصلاة في المسيحيّة أكثر حرّيّة منه في الإسلام، فلا تركيز كبير على كيفية الصلاة وتأدية الركعات في مواعيد معينة، إلخ، بل هي صلاة موجّهة من ابن إلى أبيه (رج لو ١١: ١–٤)، موجّهة إلى "أب"، إلى الآب السماويّ، لذلك هي أكثر راحة وحرّيّة تجعل الله قريبًا من البشر المخلوقين على صورته ومثاله. كما أنّ يسوع يدعو تلاميذه إلى الصلاة في الخفاء بعكس ما يفعله المسلمون واليهود في التركيز على إظهار الصوم والصلاة والزكاة أمام الناس وفي الأماكن العامّة ليكون لهم سمعة جيّدة واحترام من الناس. نعم يسوع ليس ضدّ الصلاة في العلن بل هو ضدّ استخدامها لأغراض ومصالح شخصيّة وكسب ثقة واحترام الناس.[١٨]

(١٣) **معجم اللاهوت الكتابيّ**، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٨، ص ٤٧٩.

(١٤) **المرجع ذاته.**

(١٥) **المرجع ذاته**، ص ٤٨٠.

(١٦) **المرجع ذاته**، ص ٤٨٠.

(١٧) **المرجع ذاته**، ص ٤٨١.

(18) Cfr. Giuseppe Barbaglio-Rinaldo Fabris-Bruno Maggioni (a cura di), *I Vangeli. Traduzione e commento*, Cittadella Editrice, Assisi, 1980, pp. 186-187.

– في العهد القديم

يتمّ شرح مفهوم الصلاة في العهد القديم في معجم اللاهوت الكتابيّ بالحديث أوّلاً عن الصلاة في تاريخ إسرائيل كالتالي:

"إنّ الميزة الثابتة في صلوات العهد القديم هي على الأرجح ارتباطها المباشر بالأحداث: تنبع انطلاقًا ممّا حدث، أو يحدث، أو لكي يحدث شيء ما، حتّى يمنح الله خلاصه للأرض. فمضمون صلاة إسرائيل يحدّد صلتها بالتاريخ. والتاريخ المقدّس من جهته مطبوع على الصلاة: المدهش أنّنا نلاحظ كيف تبدو الفترات الحاسمة من هذا التاريخ مقرونة بصلاة الوسطاء أو الشعب بأسره، استنادًا إلى معرفة قصد الله، طلبًا لتدخله في اللحظة الراهنة".[١٩]

والصلاة في العهد القديم تصب جميعها في كتب المزامير التي تصبح صلاة الجماعة عدا عن كونها أيضًا صلاة فرديّة.

"إنّ كتاب المزامير، رغم ما فيه من ترديد لبعض العبارات، لا يعتبر بمثابة مجرّد مجموعة صيغ أو عبارات مراسم. فطابع التلقائيّة الظاهر فيه يدلّ على صدوره عن اختبار شخصيّ. وفضلاً عن الصلوات الفرديّة الصرفة، فإنّ المكانة المخصّصة للملك بالذات هي الدليل على الأهمّيّة المتساوية المقرّرة للفرد وللجماعة: فالملك هو من حيث المركز السامي شخص وحيد، وفي نفس الوقت تجد الجماعة فيه رمزها الحي. وإسناد كتاب المزامير في العرف إلى داود، الذي كان أوّل من تلا المزامير، ليشير إلى علاقته بصلاة شفاعة يسوع ابن داود".[٢٠]

مرّة أخرى نرى وجه شبه كبير مع اختلاف في المدلولات والمعاني. فالصلاة قاسم مشترك بين الإسلام والمسيحيّة واليهوديّة ولكنها في الإسلام واليهوديّة تكون موجّهة إلى الله المتعالي البعيد عن البشر، أمّا في المسيحيّة فموجّهة إلى أبٍ حنون قريب من الإنسان. هي حديث، ابتهال، تمجيدٍ وطلب... موجّهة إلى أبٍ سماويّ حنون.

٣. الزكاة/الصدقة

الصدقة أيضًا هي قاسم مشترك بين الديانات وبشكل خاصّ الإسلام والمسيحيّة واليهوديّة. لكن بالطبع، هناك اختلافات في طريقة فرضها ووجوبها.

– في القرآن والإسلام

الزكاة في الإسلام هي عبادة ماليّة فرضها الله على المسلمين لتطهير نفوسهم من البخل وتطهير أموالهم.

ويُعرّف المسلمون الزكاة لغويًّا بالقول:

"البركة والطهارة والنماء والصلاح. وسميت الزكاة لأنّها تزيد في المال الذي أخرجت منه، وتقيه الآفات، كما قال ابن تيمية: نفس المتصدق تزكو، وماله يزكو، يَطْهُر ويزيد في المعنى".[٢١]

وأمّا في الشرع فيقول الفقهاء بأنّ الزكاة:

"حصّة مقدرة من المال فرضها الله عز وجل للمستحقين الذين سماهم في كتابه الكريم، أو هي مقدار مخصوص في مال مخصوص لطائفة مخصوصة، ويطلق لفظ الزكاة على نفس الحصّة المخرجة من المال المزكى. والزكاة الشرعيّة قد تسمى في لغة القرآن

(١٩) **معجم اللاهوت الكتابيّ**، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٨، ص ٤٧٧.

(٢٠) **المرجع ذاته**، ص ٤٧٨.

(٢١) رج **الزكاة**، في الموقع الالكترونيّ http://zakat.al-islam.com/.

والسنة صدقة كما قال تعالى: "خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها وصلّ عليهم إنّ صلاتك سكن لهم" (التوبة ١٠٣) وفي الحديث الصحيح قال صلى الله عليه وسلم لمعاذ حين أرسله إلى اليمن: (أعْلِمْهُم أن الله افترض عليهم في أموالهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم) أخرجه الجماعة".[٢٢]

وقد فرض الله على المسلمين زكاتين: زكاة الفطر وزكاة بنسبة ٢،٥٪ على جميع الأملاك. وتدفع الزكاة للفقراء والمحتاجين ويُعفى منها من هو غير قادر أي من لا يملك شيئًا. وتأتي كلمة الزكاة في القرآن دائمًا مرتبطة بالصلاة وهذا دلالة على أهمّيّتها وعلى كونها ركن أساسيّ من أركان الإسلام بعد الصلاة.[٢٣]

– في العهد الجديد

للصدقة في العهد الجديد معنى خاصّ إذ أنّها، بمجيء المسيح، تحتفظ بقيمتها التي في العهد القديم ولكنها توضع في إطار تدبير جديد ومعنى جديد. لقد عدّ يسوع الصدقة "مع الصوم والصلاة كواحدة من أعمدة الحياة الدينيّة الثلاثة (مت ٦: ١–١٨)".[٢٤] وهنا نرى وجه شبه كبير مع ما قاله نبيّ الإسلام محمّد في القرن السابع الميلاديّ واضعًا، في حديث نبويّ، أركان الإسلام الخمسة وفي مقدّمتها الصلاة والصوم والصدقة.

ويُشدّد يسوع على أن تكون الصدقة مجانيّة وأن تصنع بتجرد تامّ ودون حدود. بل يؤكّد معجم اللاهوت الكتابيّ أنّ ما ينتظره المسيح من أتباعه هو الاهتمام الفائق بالفقراء المعوزين لأنّهم معنا في كلّ حين (مت ٥: ٤٢//، مت ١١:٢٦//). وينصّ المعجم ذاته حول الصدقة في الكنيسة على أنّه "وإن ظهرت بعض الأفعال المجّانية ضروريّة، لتجنّب الخلط بين إنجيل الملكوت وبين القضاء على الفقر الجماعيّ، فقد بقي أنّه للوصول إلى "العريس الذي رفع عنا" (رج مت ٩: ١٥)، لا مناص لنا من أن نسعف قريبنا [...]. إلّا أنّ الصدقة يمكن أن يكون لها معنى أوسع، فتعني وحدة الكنائس".[٢٥]

أمّا معجم الإيمان المسيحيّ فيقول بأنّ الصدقة هي "عمل رحمة في العلاقات القائمة بين البشر. تقوم ضرورة الصدقة على المبدأين التاليَين: ١) خيرات الأرض مِلك مُجمل الناس، ولا بدّ أن يستطيعوا أن يعيشوا عيشة لائقة، ٢) التملّك الخاصّ، المسمَّى ملكيّة، ضورويّ [sic] لحسن استعمال الخيرات، شرطَ أن يخدم مبدأ الاستعمال العامّ، لا أن يعرّضه للخطر [...]. فالصدقة عمل من أعمال العدالة، لكنّ مضمونها لا يحدّد إلا بحبّ المحبّة، فله وحده من البصيرة ما يمكّنه في آخر الأمر من تقدير حاجات الآخرين الحقيقيّة بالنسبة إلى الحاجات الخاصّة. والصدقة تعود أيضًا إلى الرحمة والتوبة والتديّن (وهي، بالإضافة إلى الصوم والصلاة، عمل ممتاز من أعمال التديّن) والتواضع".[٢٦]

– في العهد القديم

تردّ كلمة زكاة فقط في بعض الترجمات العربيّة للكتاب المقدّس وتردّ فقط مرّة واحدة بمعنى "الزكاة هي صفوة الشيء، وما أخرجته من مالك لتزكيه وتطهره. ولم تردّ هذه الكلمة في الكتاب المقدّس إلا في الإصحاح الحادي والثلاثين من سفر العدد. فقد

(٢٢) رج الموقع الالكترونيّ http://zakat.al-islam.com/.

(٢٣) رج الموقع الالكترونيّ http://mawdoo3.com/.

(٢٤) **معجم اللاهوت الكتابيّ**، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٨، ص ٤٧١.

(٢٥) **المرجع السابق**، ص ٤٧١–٤٧٢.

(٢٦) **معجم الإيمان المسيحيّ**، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٨، ص ٢٩٦–٢٩٧.

أمر الربّ موسى قائلاً: "ارفع زكاة للربّ من رجال الحرب الخارجين إلى القتال واحدة. نفسًا من كلّ خمس مئة من الناس والبقر والحمير والغنم" (عد ٣١: ٢٨)، وذلك من الغنيمة التي غنموها من المديانيّين بعد هزيمتهم وكانت الزكاة للربّ من الغنم ست مئة وخمسة وسبعين، والبقر ستة وثلاثين ألفًا وزكاتها للربّ اثنين وسبعون وخمس مئة وزكاتها للربّ واحدًا وستين. ونفوس الناس ستة عشر ألفًا وزكاتها للربّ اثنين وثلاثين نفسًا. فأعطي موسى الزكاة رفيعة الربّ لألعازار الكاهن كما أمر الربّ موسى (عد ٣١: ٣٧–٤١)".[٢٧]

أمّا لكلمة صدقة فـ "ليس في اللغة العبريّة لفظ خاصّ للدلالة على الصدقة. وأمّا اللفظ الفرنسيّ aumône فمشتقّ من اليونانيّ eleèmosynè الذي يشير، في الترجمة السبعينيّة، إمّا إلى رحمة الله (مز ٢٤: ٥، أش ٥٩: ١٦) وإمّا، وذلك في النادر، إلى "البرّ"، جواب الإنسان الخالص على الله (تث ٦: ٢٥)، وإمّا أخيرًا إلى رحمة الإنسان لأخيه الإنسان (تك ٤٧: ٢٩)".[٢٨]

فالصدقة تأتي في بعض كتب العهد القديم والتي هي "بادرة صلاح من الإنسان نحو أخيه، هي في عرف كلّ الكتاب، وقبل أيّ شيء، اقتداء بمآثر الله الذي هو أوّلاً أبْدى دليل الصلاح نحو الإنسان".[٢٩]

والصدقة في العهد القديم كما في الإسلام، هي واجب تنصّ عليه الشريعة محدّدة النسب الواجب تقديمها مما يملكه الإنسان ومن محاصيله للأخوة والفقراء والمعوزين والأيتام والأرامل. وللصدقة دافع دينيّ، بل يجب أن يكون لها دافع دينيّ بجانب الدافع الإنسانيّ البشريّ ولذلك تكون مرتبطة بترتيبات الأعياد والاحتفالات الطقسيّة. كما أنّها تقرّب الإنسان من الله وهي تعادل ذبيحة مقدمّة إلى الله.[٣٠]

٤. الصوم

والآن نأتي إلى الركيزة الرابعة وهنا أيضًا نجد أنّها من الفرائض المشتركة في سائر الديانات ولها معانٍ ودلالات كثيرة وخصوصًا في الإسلام والمسيحيّة واليهوديّة.

– في القرآن والإسلام

هي الركيزة الرابعة في الإسلام وتفرض سورة البقرة الآية ٤٣ الصيام على كلّ بالغ عاقل من المسلمين. وفي الآية ١٨٧ من السورة عينها بعد فرض الصوم تحدّد وجوبه من الفجر وحتّى غروب الشمس، فينقطع المسلمون عن الطعام والشراب والعلاقات الجنسيّة والتدخين وحتّى شرب الأدويّة ويمتنع عن اللغو والنميمة وكلّ عمل سيء من طلوع الفجر (أي: من أوّل وقت صلاة الفجر) إلى غروب الشمس (أوّل وقت صلاة المغرب). ويقضي طوال يومه في عبادة وذكر وتلاوة للقرآن ودروس علم تعطيه زادًا إيمانيًّا يكفيه بقية العام. ويصوم المسلمون في شهر رمضان وهو الشهر التاسع من السنه الهجريّة وهو شهر نزول القرآن على النبيّ محمّد، ويثبت برؤية الهلال إيذانًا ببدء شهر الصوم وفق التقويم الهجريّ. ولصيام رمضان فضائل عدّة، فقد تكفل الله لمن صامه إيمانا واحتسابا بغفران ما مضى من ذنوبه وغيرها من الفضائل والأجر لمن صامه إيمانًا بالله واحتسابًا للأجر.

(٢٧) "زكاة"، في قاموس الكتاب المقدّس.

(18) http://st-takla.org/Full-Free-Coptic-Books/FreeCopticBooks-002-Holy-Arabic-Bible-Dictionary/11_Z/Z_43_2.html.

(٢٩) معجم اللاهوت الكتابيّ، ص ٤٧٠.

(٣٠) المرجع ذاته.

(٣١) المرجع ذاته، ص ٤٧٠–٤٧١.

يُعفى من الصوم المريض والكهل والمسافر والمرأة المُرضعة على شرط أن يتمّ تعويض عدد الأيّام التي تمّ فيها الإفطار في أي وقت من السنة. ومن كان غير قادر على الصوم لأسباب صحيّة فعليه التعويض بإطعام شخص محتاج بعدد الأيّام التي لم يصم فيها. ومن كان قادرا ولم يصم فعليه التعويض بإحدى الطرق التالية: إمّا أن يُطعم ستين شخصًا من المسلمين المعوزين، وإمّا أن يُعطي لستّين شخصًا ما يُقابل وجبة الطعام من المال، وإمّا أن يصوم لستّين يومًا.

أمّا أعمال المسلم الخيريّة في هذا الشهر فلها عند الله مكانة وثواب أكبر من تلك التي يقوم بها في باقي الأشهر. فشهر رمضان هو شهر الجهاد الروحيّ وشهر الخير والترابط والتعاون بين المسلمين.[٣١]

- في العهد الجديد

الصوم في العهد الجديد هو "الإمساك الكلّيّ أو الجزئيّ عن كلّ طعام أو شراب مدّة من الزمن|| في العهد القديم والعهد الجديد، يظهر الصوم إلى جانب الصلاة والصدقة، أحد أعمال الدين الثلاثة الأشدّ تحبيزًا. يندّد يسوع برياء بعض الصائمين، لكنّه يوصي بالصوم في بعض الظروف (مت ٩: ١٤–١٧ ومر ٢: ١٨–٢٢ ولو ٥: ٣٣–٣٩). أوصى به آباء الكنيسة، ولا تزال الكنائس توصي به، ولا سيّما استعدادًا للأعياد والاحتفالات الكبرى".[٣٢] وهنا نرى وجه التطابق الكامل بين تعاليم يسوع وتعاليم محمّد اللاحقة في هذا المجال.

والصوم في العهد الجديد، وكما عاشه يسوع، مرتبط ارتباطًا وثيقًا بالصوم في العهد القديم وقد "حافظت كنيسة المسيح في العهد الرسوليّ، فيما يتعلّق بالصوم، على العادات اليهوديّة، المؤداة طبقًا للروح التي أملاها يسوع. وتذكر أعمال الرسل بعض احتفالات العبادة التي تتطلب الصوم والصلاة (أع ١٣: ٢–٤، ١٤ و٢٣)".[٣٣]

ويقول معجم اللاهوت الكتابيّ بأنّ الصوم يحتل "مكانًا هامًّا في الممارسات الدينيّة بدوافع النسك والتطهير والحداد، والتوسل إلى الله". كما يؤكّد أنّ "الكتاب المقدّس، الذي عليه يرتكز هنا موقف الكنيسة، يتلاقى بصدد هذا الموضوع مع التيارات الدينيّة الأخرى، إلّا أنّه يوضّح معنى الصوم وينظّم ممارسته، ويجعل منه مع الصلاة والصدقة أحد الأركان الأساسيّة التي تعبّر، أمام الله، عن تواضع الإنسان ورجائه ومحبّته".[٣٤]

ومعنى الصوم أنّه "لما كان الإنسان نفسًا وجسدًا، كان من العبث أن نتصور ديانة روحيّة محضة. إنّ النفس، لكي تلتزم بشيء ما، تحتاج إلى أفعال الجسد وأوضاعه الخارجيّة. فالصوم المصحوب دائمًا بصلاة التضرع إنّما يعبّر عن تواضع الإنسان أمام الله".[٣٥]

ويقارن معجم اللاهوت الكتابيّ بين العهدين القديم والجديد حيث أنّ اليهود "كانوا يحاولون بذلك [بالصوم] إتمام عنصر البرّ كما حدّدته الشريعة والأنبياء. على أنّ يسوع، وإن لم يفرض على تلاميذه شيئًا من هذا النوع من البرّ، فهذا لا يعني أنّه يزدريه، أو أنّه يريد أن يلغيه، بل أنّه أتى ليكمله. من أجل ذلك فإنّه يمنع الإعلان عنه، ويدعو إلى تجاوزه في بعض النقاط (مت ٥: ١٧، ٢٠، ٦: ١). ويلحّ يسوع أكثر ما يلحّ على التجرّد

(٣١) راجع **أركان الإسلام الخمسة**، في الموقع الالكترونيّ:
http://www.ipteq.com/ar/explore-islam/the-5-pillars-of-islam/the-5-pillars-of-islam.

(٣٢) **معجم اللاهوت الكتابيّ**، ص ٣٠٢.

(٣٣) **المرجع السابق**، ص ٤٨٩.

(٣٤) **المرجع السابق**، ص ٤٨٨.

(٣٥) **المرجع السابق**، ص ٤٨٨.

من حبّ المال (مت ١٩: ٢١). وعلى ممارسة العفة الاختياريّة (مت ١٩: ١٢)، ولا سيّما على إنكار الذات لحمل الصليب (مت ١٠: ٣٨–٣٩)".[٣٦] وهنا نرى فرق شاسع بين مفهوم الصوم وطريقة تأديته ومدلولاته في الإسلام وفي تعاليم يسوع. فتعاليم المسيحيّة في هذا الصدد تقارب أن تكون معاكسة للمفاهيم الإسلاميّة.

– في العهد القديم

"يقوم الصوم بالامتناع عن كلّ طعام وشراب، وعند الاقتضاء عن العلاقات الجنسيّة، خلال يوم أو أكثر، من الغروب إلى الغروب".[٣٧] وهنا نرى وجه الشبه الكبير في ممارسة الصوم في الإسلام واليهوديّة.

كما "كانت الليتورجيّا اليهوديّة تقيم "صومًا كبيرًا" في يوم الكفارة (رج أع ٢٧: ٩) وكانت ممارسته شرطًا للانتهاء إلى شعب الله (لا ٢٣: ٢٩). كانت ثمة أصوام جماعيّة أخرى في الذكرى السنويّة للنكبات الوطنيّة. فضلًا عن ذلك، كان اليهود الأتقياء يصومون بدافع من تقواهم (لو ٢: ٣٧)، مثل تلاميذ يوحنّا المعمدان والفرّيسيّين (مر ٢: ١٨)، الذين كان يصوم بعضهم يومين في الأسبوع (لو ١٨: ١٢).

إنّهم كانوا يحاولون بذلك إتمام عنصر البرّ كما حددته الشريعة والأنبياء".[٣٨]

٥. الحجّ

بحسب معجم اللاهوت الكتابيّ فإنّ الحجّ عادة تمارس في أكثر الأديان، "وهي سابقة بكثير لتدوين الكتاب المقدّس. فالحجّ رحلة يقصد بها المؤمنون إلى مكان تقدّس بظهورٍ إلهيّ، أو بنشاط معلّم دينيّ، من أجل تقديم صلاتهم في إطار ملائم لذلك بصفة خاصّة.

وزيارة المكان المقدّس، التي بها يُختتم الحجّ، يجري التمهيد لها عادةً ببعض طقوس التطهير. وتتمّ الزيارة في تجمّع من شأنه أن يظهر للمؤمنين الجماعة الدينيّة التي ينتمون إليها. وبذلك يكون الحجّ بحثًا عن الله، ولقاءً معه، في إطار عبادة".[٣٩]

– في القرآن والإسلام

فُرِضَ الحجّ على المسلمين في سورة آل عمران الآية ٩٧ "ولله على الناس حجّ البيت من استطاع إليه سبيلاً"، وفي سورة البقرة الآية ١٩٦ "وأتمّوا الحجّ والعُمرة لله". والحجّ هو زيارة المسجد الحرام في مكّة وأداء فريضة الحجّ بحسب المناسك والشرائع المنصوص عليها. فرض الله هذا الفرض على كلّ مسلم بالغ وقادر على تحمّل تكاليف الحجّ. وقد فُرِض لتزكية النفوس ولتكفير الذنوب بحسب ما جاء في الحديث عن أبي هريرة: "من حجّ البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع كيوم ولدته أمه".[٤٠]

وتكون هذه الفريضة السنويّة في الشهر الثاني عشر من السنة الهجريّة، أي شهر ذو الحجّة من اليوم الثامن وحتّى اليوم الثالث عشر. وكلّ حجّ في غير هذا الوقت يُدعى عُمرة.

– في العهد الجديد

خلال حياته الأرضيّة، أتمّ يسوع مراسيم الحجّ إلى أورشليم احترامًا لأمر الشريعة (لو ٢: ٤١–٤٢)

(٣٦) **المرجع السابق**، ص ٤٨٩.

(٣٧) **المرجع السابق**، ص ٤٨٨.

(٣٨) **المرجع ذاته**، ص ٤٨٨–٤٨٩.

(٣٩) **معجم اللاهوت الكتابيّ**، ص ٢٥٧.

(٤٠) **صحيح البخاري**، كتاب المحصر، و**صحيح مسلم**، كتاب الحجّ.

وبحسب العادات اليهوديّة. كما أنّ بولس ذاته، "بعد مرور أكثر من خمس وعشرين سنة على صلب المسيح، يصمّم على القيام بحجّ العنصرة (أع ٢٠: ١٦، ٢٤: ١١).

إلا أنّ يسوع تنبأ عن خراب الهيكل [...]. بل أكثر من ذلك، فإنّه بقيامة يسوع تتركّز عبادة المؤمنين في شخصه الممجّد، هيكل المسيحيّة الجديد، وليس بعد في أي مكان من الأرض (يو ٢: ١٩–٢١، ٤: ٢١–٢٣).

وتعلُّق الكنيسة بالتاريخ هو أشد من أن تنكر كلّ تقدير للزيارات إلى الأماكن التي عاش المسيح فيها حياته الأرضيّة، أو إلى تلك التي ظهر فيها خلال حياته الأرضيّة، أو إلى تلك التي ظهر فيها خلال حياة قديسيه: إنّها ترى في هذه التجمعات عند أماكن نشاط المسيح فرصة سانحة أمام المؤمنين للاشتراك في وحدة الإيمان والصلاة".[٤١]

إذا الحجّ في المسيحيّة ليس فرضًا واجبًا على كلّ مسيحيّ، بعكس الإسلام. ولكنّه، إن أمكن القيام به، فرصة لكلّ مسيحيّ للدخول والاشتراك في وحدة الإيمان والصلاة، فرصة تذكّر كلّ مؤمن بأنّه يسير باتجاه الربّ وعلى خطاه وتحت قيادته.

– في العهد القديم

في العهد القديم كان الحجّ يتمّ نحو الكثير من مراكز الحجّ والمزارات القديمة. ولكن "إصلاح يوشيا، الذي كان حزقيّا قد شرع في رسم خطوطه الأولى (٢ مل ١٨: ٤ و٢٢؛ ٢ أي ٢٩: ٣١)، يلغي المعابد المحليّة، ويقرر الاحتفال في أورشليم بعيد الفصح (٢ مل ٢٣؛ ٢ أي ٣٥)، وبعيدي الأسابيع والمظال (تث ١٦: ١–١٧). [...]. إلا أنّه بعد العودة من السبي، يصبح هيكل أورشليم المعبد الوحيد بلا مُنازع".[٤٢] وهو المعبد الذي يقصده الحجّاج من كلّ مكان وعلى مرّ الزمان.

مرّة أخرى نرى وجه شبهٍ كبير بين الحجّ في الإسلام والحجّ في اليهوديّة نحو معبدٍ خاصّ (قدس الأقداس في أورشليم لليهود والكعبة في مكّة للمسلمين)، مفروض على كلّ مؤمن من كلا الديانتين. بينما في المسيحيّة يكون الحجّ إراديّ غير مفروضٍ لإتمام الديانة ولطلب الخلاص.

خاتمة

إنّ البحث لا يحتاج إلى خاتمة إذ أنّه يتحدّث بذاته. أوجه الشبه كبيرة جدًا بين الديانات الثلاث وكتبها المقدّسة فيما يتعلّق بالركائز الخمسة. لكن أيضًا هناك اختلاف كبير في مفهوم هذه الركائز وتطبيقها وخصوصًا بين الإسلام واليهوديّة من جهة والمسيحيّة من جهة أخرى. في المسيحيّة تُعطى هذه الركائز مدلولات خاصّة تعبّر عن روحانيّة مسيحيّة مختلفة عن الديانات الأخرى تؤسّس لطريقة عيش وفكر خاصّ بعيد عن الفكر الإسلاميّ بالذات. فعندما يختلف مفهوم الكلمة ومدلولاتها، يختلف كلّ شيء، إذ لم نعد نتحدّث عن الشيء ذاته حتّى وإن استعملنا المصطلح ذاته.

(٤١) معجم اللاهوت الكتابيّ، ص ٢٥٨.

(٤٢) معجم اللاهوت الكتابيّ، ص ٢٥٧.

مراجع

المراجع المسيحيّة:

الكتاب المقدّس، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٣.

معجم الإيمان المسيحيّ، الطبعة الثانية، دار المشرق، بيروت، ١٩٩٤.

معجم اللاهوت الكتابيّ، الطبعة الثانية، دار المشرق، بيروت، ١٩٨٦.

BARBAGLIO Giuseppe - FABRIS Rinaldo - MAGGIONI Bruno (a cura di), *I Vangeli. Traduzione e commento*, Cittadella Editrice, Assisi, 1980.

المراجع الإسلاميّة:

الدليل المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، ٢٠٠٨.

صحيح البخاري.

صحيح مسلم، كتاب الصلاة.

القرآن الكريم، مكتبة دار المنهاج للنشر والتوزيع، دمشق، دون تاريخ النشر.

BORRMANS Maurice, *Introduzione all'Islam*, Roma, S.E., S. D.

BRANCA Paolo, *Introduzione all'Islam*, San Paolo, Cinisello Balsamo (Milano), 1995.

JOMIER Jacques, *Introduction à l'Islam actuel*, Editions du Cerf, Paris, 1964.

المواقع الالكترونيّة:

http://www.ipteq.com

http://mawdoo3.com

http://st-takla.org

http://zakat.al-islam.com

المائدة النازلة من السماء
بين الإنجيل والقرآن

الأب حنّا اسكندر
دكتور في الإسلاميّات

مقدّمة

لقد اعتاد المفسّرون المسلمون، بدءًا من أواخر القرن الثالث الهجريّ، الاعتماد على الأحاديث النبويّة التي يعود أقدمها إلى الجيل الثالث الهجريّ مع صحيح البخاريّ (توفّي سنة ٢٥٦ هـ)؛ واستعانوا أيضًا بالشعر الجاهليّ لتفسير الكلمات الغريبة في القرآن، ولكنّ طه حسين أنكر وجود هذا الشعر قبل العصر العبّاسيّ. كما اعتمدوا في تطبيق كلمات وأحداث القرآن على السيرة النبويّة، ولكنّ أقدمها يعود إلى أواخر الجيل الثاني الهجريّ. لذلك نرى أنّ عظماء أهل التفسير قد بالغوا في الاعتماد على نصوص بعيدة، أقلّه ٢٠٠ عام، عن الحدث التاريخيّ.

محاولتنا هذه الجديدة، في تفسير القرآن، تعتمد على التفسير التقليديّ للمسلمين، والاطّلاع على الدراسات الإسلاميّة، كما ترتكز على أسس أربعة مهمّة:

١– الاعتماد على فهم الكلمة والموضوعات القرآنيّة من خلال نصّ القرآن نفسه. نفتّش عن وجود الكلمة أو الموضوع في كلّ نصّ القرآن، ونحاول فهم معناها من خلال مقابلة الكلمات، وجمع النصوص.

٢– العودة إلى الكتاب المقدّس بعهدَيه القديم والجديد، وخاصّة ترجمات[١] الأناجيل العربيّة القديمة، كما إلى الكتب المنحولة المسيحيّة واليهوديّة، التي تسبق القرآن، لفهم النصوص بشكل أوضح.

٣– العودة إلى نصوص آباء الكنيسة مثل أفرام السريانيّ، وأوريجانوس، ويوحنّا فم الذهب، وكيريلّوس الأورشليميّ، ومكاريوس المنحول، وغيرهم من الآباء الذين سبقوا بكتاباتهم ظهور الإسلام.

٤– الاعتماد على التحليل اللغويّ لمفردات القرآن في السريانيّة والعبريّة واليونانيّة واللاتينيّة، وغيرها من اللغات، التي عاصرت ظهور الإسلام، كما الاستناد على مفردات مشابهة وردت في المخطوطات العربيّة المسيحيّة التي تسبق القرآن، ومنها مكاريوس المنحول، وتعود ترجمته العربيّة، حسب معرفتنا، إلى القرن السادس[٢].

(١) صرّح القس الدكتور حكمت قشّوع أمامنا أنّ عدد الترجمات العربيّة للأناجيل هي ٢٤، بينها ١٣ ترجمة قديمة جدًّا.

(٢) أنظر أطروحتنا، **النبيّ والترهّب**.

سنعالج في دراستنا هذه آيات أربع من **سورة المائدة**:

"إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ"[٣].

بداية، سنعرض تفسير المسلمين، وتفاسير بعض علماء معاصرين، لنصل بعدها إلى مفهوم جديد.

أوّلًا: المفسّرون المسلمون

طمعًا بالاختصار سنكتفي بتفسير الطبريّ (ت ٣١٠ هـ)، وهو أشهر المفسّرين، في كتابه: **تفسير جامع البيان في تفسير القرآن**:

"إنّ الله كره ما قاله الحواريّون[٤] واستعظمه، وأمرهم بالتوبة ومراجعة الإيمان من قولهم ذلك، والإقرار لله بالقدرة على كلّ شيء، وتصديق رسوله فيما أخبرهم عن ربّهم من الأخبار. وفي "اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ" أنبأ هذا من قولهم أنّهم لم يكونوا يعلمون أنّ عيسى قد صدّقهم، ولا اطمأنّت قلوبهم إلى حقيقة نبوّته، فلا بيان أبين من هذا الكلام في أنّ القوم كانوا قد خالط قلوبهم مرض وشكّ في دينهم وتصديق رسولهم، وأنّهم سألوا ما سألوا من ذلك اختبارًا.

"أنّا –أي الحواريّون– إنّما قلنا ذلك وسألناك أن تسأل لنا ربّنا لنأكل من المائدة، فنعلم يقينًا قدرته على كلّ شيء "وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنا" يقول: وتستكن قلوبنا وتستقرّ على وحدانيّته وقدرته على كلّ ما شاء وأراد، "ونعلم أن قد صدقتنا"، ونعلم أنّك لم تكذّبنا في خبرك أنّك لله رسول مرسل ونبيّ مبعوث. "ونَكُونَ عَلَيْها" يقول: ونكون على المائدة، "مِنَ الشَّاهِدِينَ" يقول: ممّن يشهد أنّ الله أنزلها حجّة لنفسه علينا في توحيده وقدرته على ما شاء ولك على صدقك في نبوّتك.

"ثمّ اختلف أهل التأويل في تأويل "تَكُونُ لَنا عِيدًا"، فقال بعضهم: معناه: نتّخذ اليوم الذي نزلت فيه عيدًا نعظّمه نحن ومن بعدنا. وقال آخرون: معناه: نأكل منها جميعًا. وقال آخرون: معنى قوله "عِيدًا" عائدة من الله علينا حجّة وبرهانًا. وأولى الأقوال بالصواب قول: تكون لنا عيدًا، نعبد ربّنا في اليوم الذي تنزل فيه ونصلّي له فيه، كما يعيّد الناس في أعيادهم.

"لأَوَّلِنا وآخِرِنا" أي للأحياء منّا اليوم ومن يجيء بعدنا منّا "وآيَةً مِنْكَ" أي علامة وحجّة منك يا ربّ على عبادك في وحدانيّتك، وفي صدقي على أنّي رسول إليهم بما أرسلتني به.

"وَارْزُقْنا وأنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ": وأعطنا من عطائك، فإنّك يا ربّ خير من يعطي وأجود من تفضّل، لأنّه لا يدخل عطاءه منّ ولا نكد.

"وقد اختلف أهل التأويل في المائدة، هل أنزلت عليهم أم لا؟ وما كانت؟ فقال بعضهم: نزلت وكانت حوتًا (سمك) وطعامًا، فأكل القوم منها، ولكنّها رفعت بعد ما نزلت بأحداث منهم أحدثوها في ما بينهم وبين الله. "نَزَلَتِ المَائِدَةُ خُبْزًا ولَحْمًا، وأُمِرُوا أنْ لا يَخُونُوا وَلا يَدَّخِرُوا وَلا يَرْفَعُوا لِغَد، فَخانُوا وَادَّخَرُوا وَرَفَعُوا، فَمُسِخُوا قِرَدَةً وَخَنازِيرَ".

"وقال آخرون: إنّ القوم لمّا قيل لهم: "فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فإنّي أُعَذّبُهُ عَذَابًا لا أعذّبُه أحَدًا مِنَ العالَمِينَ"، استعْفَوا منها فلم تنزل. مائدة عليها طعام أبَوْها حين عرض عليهم العذاب إن كفروا، فأبَوْا أن تنزل عليهم. والصواب من القول عندنا، يتابع الطبريّ: إنّ الله أنزل

(٣) المائدة ١١٢–١١٥.

المائدة على الذين سألوا عيسى مسألته ذلك ربّه"[٥].

ثانيًا: لمحة سريعة عن التفسيرات المعاصرة

١– الأب ميشال حايك

جمع الأب حايك في كتابه **المسيح في الإسلام**، كلّ آراء المسلمين حول المائدة، وقد تعدّدت آراؤهم؛ فمنهم من قال أنّ المائدة أنزلها الملائكة من السماء وعليها خبز وأحوات (سمك)، وهذا القول يعود إلى معجزة الخبز والسمك في الأناجيل الأربعة[٦].

٢– لوكسمبورغ

في مراسلة إلكترونيّة شرح لنا لوكسمبورغ كلمة "عيدًا" لتعني احتفالًا ليتورجيًّا، و"لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا" تعني: استمراريّة الاحتفال بالإفخارستيّا من العشاء الفصحيّ إلى نهاية العالم، أي الاحتفال اليوميّ بالقدّاس.

٣– الأب جوزف قزّي

في كتابه: **هذا هو الإسلام**، ربط الأب قزّي الآية، "فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فإنّي أُعَذّبُهُ عَذَابًا لا أعذّبُه أحَدًا مِنَ العالَمِينَ"، بهذه الآيات: "فمَن أَكَلَ خُبْزَ الرَّبِّ أَو شَرِبَ كَأسَه ولَم يَكُنْ أَهْلاً لَهما فقَد أذنَبَ إلى جَسَدِ الرَّبِّ ودَمِه؛ فمَن أَكَلَ وشَرِبَ وهو لا يُمَيِّزُ جَسَدَ الرَّبّ، أَكَلَ وشَرِبَ الحُكْمَ على نَفْسِه"[٧].

٤– الأب مارون عودة

عرض النظرة الإسلاميّة التقليديّة وأبحاث عصريّة لمفهوم المائدة بشكل سريع؛ على سبيل المثال، استند إلى جوفري بارينْدر: "وردت كلمة "المائدة" فقط في آخر الآيات المدنيّة، وكان مصدرها كلمة أثيوبية مسيحيّة، تُستعمل عادةً للدلالة على مائدة الربّ[٨]، أي الإفخارستيّا"[٩]. وتابع: "يُقابل جوفري بارينْدر طلب الْحواريّين من عيسى بإنزال المائدة مع إنجيل يوحنّا[١٠]، من خلال سؤال يسوع لِتلميذه فيلِيبُّس، والشُّكر، وربطها بعيد الفصح، حيث يكون الخبز السماويّ هو الغذاء الْحقيقيّ"[١١].

ويستشهد أيضًا بطريف الخالدي: "من الممكن أن تكون رواية الإسلام عن المائدة إعادة لرواية العشاء الأخير في إنجيل متّى، لكنّها لا تحملُ أسراريّة الإفخارستيّا"[١٢].

ثالثًا: النصوص في موازاة بعضها

انتقينا الترجمة الرعائيّة للعهد الجديد، وثلاث

(٤) كلمة سريانيّة تعني "البيض" أو "المُرتَدين الأبيض"، ولها معنيان:
– الرسل الاثنا عشر، ولهم أسبوع خاصٌّ في الليتورجيّة السريانيّة والمارونيّة. الأسبوع الذي يلي أحد القيامة، يعرف بـ"أسبوع الحواريّين".
– "الموعوظون"، أي "المتدرّبون لاقتبال سرّ المعموديّة المقدّسة". كانوا يلبسون الأبيض، ويُعمّدون في أسبوع الحواريّين.

(٥) الطبريّ، في موقع تفسير القرآن على الأنترنيت. www.altafsir.com/IndexArabic.asp

(٦) أنظر ميشال حايك، **المسيح في الإسلام**، بيروت، ٢٠٠٤، ص ٢١٧–٢٢٢.

(٧) **١ كور** ١١: ٢٧ و٢٩. جوزف قزّي، **هذا هو الإسلام**، لبنان، ٢٠٠٧، ص ٨٧٤.

(٨) **لو** ٢٢: ١٧–٢٢.

(٩) يوسف عودة، **الشخصيّات البيبليّة في القرآن والإسلام**، مصادر وفاق واختلاف، لبنان، ٢٠١٢، ص ٢١٥.

(١٠) يو ٦: ١–١٥

(١١) يوسف عودة، **المرجع السابق**، ص ٢١٤.

(١٢) **المرجع نفسه**، ص ٢١٢.

ترجمات عربيّة قديمة للأناجيل نشرها القس الدكتور حكمت قشّوع[١٣]، ونصوص القرآن.

واخترنا الترجمات العربيّة للإنجيل لسببين:

١– اختيار إحدى ترجمة١ كلمة "عيسى" مكان "يسوع"، وانسجام ترجمة٢ في أربع كلمات عربيّة بينها وبين القرآن وهي: "لنكون لها من الشاهدين".

٢– استعمال كلمة "طعام" و"مطعم" بدلًا من "خبز"، سيكون، على الأرجح، تمهيدًا لاستعمال القرآن كلمة "مائدة" بدلًا من "خبز"، وحسب تعريف المفسّرين المسلمين هي: "مائدة من خبز ولحم وسمك وفاكهة"[١٤]...

الترجمة الليتورجيّة	ترجمة إنجيل قديمة ١ (قشّوع ص ٢٩٤–٣٩٤)	ترجمة إنجيل قديمة ٢ (قشّوع ص ٥٠٧)	ترجمة إنجيل قديمة ٣ (قشّوع ص ٧٠٧)	القرآن الكريم
٣٠ فَقَالُوا لَهُ:	٣٠ قالوا	٣٠ أجابوه قائلين		إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ
"أَيَّ آيَةٍ إِذًا تَصْنَعُ؟ مَاذَا تَعْمَلُ؟	ماذا تصنع من آية ما أنت من الفاعلين	أيّة آية أنت فاعلها... ما الذي أنت فاعله	٣٠ قالوا له أي آية تصنعها أنت؟ بما تعمل؟	هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ
٣١ آبَاؤُنَا أَكَلُوا الْمَنَّ فِي الْبَرِّيَّةِ، كَمَا هُوَ مَكْتُوب: أَعْطَاهُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ لِيَأْكُلُوا".٣٢ فَقَالَ لَهُمْ يَسُوعُ: "اَلْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: لَيْسَ مُوسَى مَنْ أَعْطَاكُمْ خُبْزًا مِنَ السَّمَاءِ، بَلْ أَبِي هُوَ الَّذِي يُعْطِيكُمْ مِنَ السَّمَاءِ الْخُبْزَ الْحَقِيقِيَّ.	٣١ لقد كان أباؤنا في البرّ لمنّ آكلين كما قد كتب إنّ الخبز من السماء أعطاهم لأكل قال لهم **عيسى** إنّي أقول لكم حقًّا حقًّا إنّ ما كان موسى معطيكم الخبز من السماء غير أن أبي كان الواهب لكم **مطعم القسط** من السماء	٣١ إنّ آباءنا أكلوا المنّ في البريّة كما كتب إنّه منحهم خبزًا من السماء ليأكلوا ٣٢ قال لهم المخلّص الحقّ حقًّا أقول لكم أن ليس موسى هو الذي أعطاكم الخبز من السماء لكن أبي هو الذي ينحلكم خبز الحقّ من السماء	٣١ كما أنّه مكتوب طعام من السما أعطاهم ليأكلوا ٣٢ فقال لهم يسوع آمين آمين أقول لكم ليس موسى الذي أعطاكم **الطعام** من السماء ولكن أبي الذي أعطاهم **الطعام** الصادق من السماء	أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ

(13) Hikmat Kashouh, *The Arabic Versions of the Gospels, the Manuscripts and their Families*, De Gruyter, Berlin/ Boston, 2012.

(١٤) الطبريّ، في موقع تفسير القرآن على الأنترنيت. www.altafsir.com/IndexArabic.asp

"فَلَمَّا سَمِعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلامِيذِهِ، قَالُوا: "إِنَّ هذَا الكَلامَ صَعْبٌ، مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ؟". فَلَمَّا سَمِعَهُ كَثِيرُونَ مِنْ تَلامِيذِهِ، قَالُوا: "إِنَّ هذَا الكَلامَ صَعْبٌ، مَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَسْمَعَهُ؟". وعَلِمَ يَسُوعُ فِي نَفْسِهِ أَنَّ تَلامِيذَهُ يَتَذَمَّرُونَ مِنْ كَلامِهِ هذَا، فَقَالَ لَهُم: "أَهذَا يُسَبِّبُ شَكًّا لَكُم؟ فَكَيْفَ لَو شَاهَدْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ صَاعِدًا إِلَى حَيْثُ كَانَ أَوَّلاً؟ أَلرُّوحُ هُوَ المُحْيِي، والجَسَدُ لا يُفِيدُ شَيْئًا. والكَلامُ الَّذِي كَلَّمْتُكُم أَنَا بِهِ هُوَ رُوحٌ وهُوَ حَيَاة. لكِنَّ بَعْضًا مِنْكُم لا يُؤْمِنُون"[١٥].				قَالَ اتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ
٣٤ قَالُوا لَهُ: "يَا سَيِّد، أَعْطِنَا هذَا الخُبْزَ كُلَّ حَين".	٣٤ قالوا يا سيّدي أعطنا من الخبز في كلّ حين	٣٤ قالوا له يا مولانا أعطنا في كلّ وقت من هذا الخبز	٣٤ قالوا له ربّنا أعطنا كلّ حين هذا **الطعام**	قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا
[٣٥]مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ فَلَنْ يَجُوع، ومَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَنْ يَعْطَشَ أَبَدًا.	٣٥ من يأكلني فليس من الجائعين ومن كان بي من المؤمنين فليس إلى الأبد من الظامئين.	٣٥ ومن يقبل إليّ لن يجوع ومن يؤمن بي فليس بظام إلى الأبد	٣٥ من يأتي (يأتني) لا يجوع ومن يؤمن بي لا يظمأ للدهر	وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا

(١٥) يو ٦: ٦٠-٦٥.

ونُؤْمِنَ بِكَ؟	ونكون بك من المؤمنين	ونؤمن بك	ونؤمن بك	وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا
لِنَرَى	فنرى	**لنكون لها من الشاهدين**	لنرى	**وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ**
[٣٥]قَالَ لَهُم يَسُوع:	٣٥ قال لهم عيسى	٣٥ فقال لهم المخلّص	٣٥ قال لهم يسوع	قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
[٣٣] فَخُبْزُ اللهِ هُوَ النَّازِلُ مِنَ السَّمَاءِ، والمُعْطِي الحَيَاةَ لِلْعَالَم". [٣٥]"أَنَا هُوَ خُبْزُ الحَيَاة.	٣٣ **وطعام** الله فهو النازل من السماء ومعطي الدنيا الحياة. ٣٥ إني لخبز الحياة	٣٣ لأنّ خبز الله هو الذي نزل من السماء ويهب الحيوة للعالم. ٣٥ أنا هو خبز الحيوة	٣٣ **طعام** الله بحق هو الذي نزل من السما ويعطي الحياة للعالم. ٣٥ إنّي أنا **طعام** الحيوة	اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ
				تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ
"فمَن أَكَلَ خُبْزَ الرَّبِّ أَو شَرِبَ كَأسَه ولَم يَكُنْ أَهْلاً لَهما فقَد أذنَبَ إلى جَسَد الرَّبِّ ودَمِه. فمَن أَكَلَ وشَرِبَ وهو لا يُمَيِّزُ جَسَدَ الرَّبّ، صأَكَلَ وشَرِبَ الحُكْمَ على نَفْسِه. ولِذلك فيكُم كَثيرٌ مِنَ الضُّعَفاءِ والمَرْضى وكَثيرٌ مِنكُم ماتوا"[١٦].				قَالَ اللهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ"

(١٦) ١ كور ١١: ٢٧ و٢٩–٣٠.

"فإنَّه إذا خَطِئْنا عَمْدًا، بَعدَما حَصَلْنا على مَعرِفَةِ الحَقّ، فلا تَبْقى هُناكَ ذَبيحَةٌ كَفَّارَةٌ للخَطايا، بل انتظارٌ رَهيبٌ للدَّينونة ونارٌ مُستَعِرَةٌ تَلتَهِمُ العُصاة. مَن خالَفَ شَريعَةَ موسى قُتِلَ من غَيرِ رَحمَة "بناءً على قَولِ شاهِدَين أَو ثَلاثة". فأَيَّ عِقابٍ أَشَدَّ من ذلك العِقابِ يَستَحِقُّ، كما تَرَون، مَن داسَ ابنَ الله وعَدَّ دَمَ العَهْدِ الَّذي قدَّسَ به نَجِسًا واستَهانَ بِرُوحِ النِّعمَة؟[٣٠] فنَحنُ نَعرِفُ ذاكَ الَّذي قال: "لِيَ الانتقامُ وأَنا أُجازي". وقالَ أَيضًا: "إِنَّ الرَّبَّ سيَدينُ شَعْبَه". ما أَرهَبَ الوُقوعَ في يَدِ اللهِ الحَيّ!"[١٧]				

رابعًا: تحليل النصوص

١ – القراءات القرآنيّة

يوضح الطبريّ: "اختلف القرّاء في قراءة عبارة "يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ"، فقرأ ذلك جماعة من الصحابة والتابعين: "هَلْ تَسْتَطِيعُ" بالتاء "رَبَّكَ" بالنصب، بمعنى: هل تستطيع أن تسأل ربّك، وهل تستطيع أن تدعو ربّك أو هل تستطيع وترى أن تدعوه؟ وقالوا: لم يكن الحواريّون شاكّين أنّ الله قادر أن ينزل عليهم ذلك، وإنّما قالوا لعيسى: هل تستطيع أنت ذلك؟

"وقرأ ذلك عامّة قرّاء المدينة والعراق: "هَلْ يَسْتَطِيعُ" بالياء "رَبُّكَ" بمعنى: أن ينزّل علينا ربُّك، كما يقول الرجل لصاحبه: أتستطيع أن تنهض معنا في كذا؟ وهو يعلم أنّه يستطيع، ولكنّه إنّما يريد: أتنهض معنا فيه؟ وقد يجوز أن يكون مراد قارئه كذلك: هل يستجيب لك ربّك ويطيعك أن تنزّل علينا؟ – يتابع الطبريّ– وأولى القراءتين عندي بالصواب قراءة من قرأ ذلك: "هَلْ يَسْتَطِيعُ" بالياء "رَبُّكَ" برفع الربّ، بمعنى: هل يستجيب لك إن سألته ذلك ويطيعك فيه؟"[١٨].

(١٧) عب ١٠: ٢٦–٣١.

(١٨) الطبريّ، في موقع تفسير القرآن على الأنترنيت. www.altafsir.com/IndexArabic.asp

٢– تعليقات حول النصّ

– يرادف إدراجُ اسم الحواريّين في القرآن اسمَ اليهود في الإنجيل الذين طلبوا آيةً من المسيح ليؤمنوا به. والقراءة القرآنيّة المختلفة، "هل تستطيع أن تدعو ربَّك"، التي توازي "أَيَّ آيَةٍ إِذًا تَصْنَع، لِنَرَى ونُؤْمِنَ بِكَ؟"، ترجِّح فرضيّتَنا؛ ولكن، على الأرجح، يعود هذا الاختلاف إلى كون النصّ ليتورجيًّا، كما سنشرح لاحقًا.

– إنّ تعبير "اتّقوا الله إن كنتم مؤمنين" هو على الأرجح تلميح إلى **يوحنّا** ٦: ٦٠–٦٥.

– هناك شبه في اللغة بين القرآن والترجمة١ في استعمال كلمة "عيسى" بدل "يسوع"، واستعمال كلمة "القسط" –وهي من أصل سريانيّ، ܩܫܛܐ – بدل "الحقّ"، واستعملت مرارًا في القرآن[١٩]، وأيضًا هناك تعبير شبيه بالتعابير القرآنيّة، مثل: "ونكون بك من المؤمنين".

– استعمال كلمة "عيسى" بدل "يسوع" في الترجمة١؛ وعلى ما يبدو هذا دليل على أنّ الترجمة تعود إلى ما قبل النصّ القرآنيّ؛ فنجد "ديرًا في جنوب سوريا حوالى سنة ٥٧١م لأتباع يسوع، يحمل اسم "عيسَانِيّة"[٢٠]. و"سكّان الحيرة الأصليّين، نصارى من الكنيسة السّريانيّة، ويسمّيهم مصنّفو العرب العُبّاد)أي عبّاد عيسى)"[٢١]. إذًا نرجّح أنّ كلمة "عيسى" بدلًا من "يسوع" قد استُعمِلَت قبل النصوص القرآنيّة.

– هناك شبه في أربع كلمات بين القرآن والإنجيل في الترجمة٢: **"لنكون لها من الشاهدين"**. والسؤال هو: هل سبقت هذه الترجمة القرآن، فاستقى منها التعبير، أم أنّ المترجم هو من اتّبع النصوص القرآنيّة؟ إنّا نرجّح الفرضيّة الأولى.

– إنّ كلمة "صَدَقْتَنَا" هي مرادف لـ"نؤمن"، وهذا ما ورد في ترجمة مكاريوس سمعان المنحول العربيّة، المجموعة الثانية. وضعنا الكلمة العربيّة، وهي منقولة عن اليونانيّة، ووضعنا الترجمة الفرنسيّة لليونانيّ لنخلص إلى أنّ كلمة "صدّقت" تعني "آمنت":

١/١/١ صَدَّقْتُ	j’ai cru	ἐπίστευσα
١/٣/٣ صَدَّقْنا	nous croyons	πιστεύομεν

ولهذا السبب وضعناها مقابل كلمة "نؤمن بك" في اللوح أعلاه.

– ليس في العهد الجديد ما يقابل هذه الآية القرآنيّة، "تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا وَآيَةً مِنْكَ وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ"؛ فإذًا، على الأرجح، هذا نصّ ليتورجيّ كما سنشرح لاحقًا.

خامسًا: التفسير اللاهوتيّ

اعتبر بعض الشرّاح أنّ هذه المعجزة إشارة إلى تكثير الخبز والسمك[٢٢]، أو معجزة الخمر في عرس قانا

(١٩) وردت ٢٧ مرّة في القرآن الكريم كلمات "القسط":**الأنبياء** ٤٧؛ و"بالقسط":**المائدة** ٨ و٤٢؛ و"تقسطوا": **آل عمران** ١٨ و٢١؛ **النساء** ٣؛ **الأنعام** ١٥٢؛ **الأعراف** ٢٩؛ **يونس** ٤ و٤٧ و٥٤؛ **هود** ٨٥؛ **الرحمن** ٩؛ **الحديد** ٢٥؛ **الممتحنة** ٨؛ "واقسطوا":**الحجرات** ٩؛ و"القاسطون":**الجنّ** ١٤–١٥؛ و"المقسطين": **المائدة** ٤٢؛ **الحجرات** ٩؛ **الممتحنة** ٨؛ وربّما هنا مصدر من اليونانيّة بإضافة س "قسطاس": **الإسراء** ١٨٢؛ **الشعراء** ١٨٢.

(٢٠) يوسف عودة، **المرجع السابق**، ص ١٩٤.

(٢١) **المرجع نفسه**، ص ١٩٤.

(٢٢) **مت** ١٤: ١٣–٢١؛ ١٥: ٣٢–٣٩.

الجليل[٢٣]، أو العشاء الأخير[٢٤]، أو حلم بطرس[٢٥]. وهناك ذكر لطعام نزل من السماء في العهد القديم[٢٦].

أمّا نحن فإنّا نفترض أنّ هذه الآيات هي نصّ ليتورجيّ قربانيّ، وهذا شرحنا بالتفصيل:

في هذه الآية: "إِذْ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ"[٢٧]. يلمّح القرآن إلى الخبز النازل من السماء، خبز الحياة، المسيح نفسه، كما أشرنا في اللوح أعلاه.

لنتابع الشرح: "قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ"[٢٨]؛ تلميح إلى إيمان الرسل بالمسيح، وقبولهم مائدة الربّ بأن يأكلوا جسده ويشربوا دمه، الذي هو خبز الحياة النازل من السماء.

وفي "قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا"[٢٩] صدى لكلمة المسيح: "لا تضطرب قلوبكم"[٣٠].

يرد مرّات عدّة تعبير "اطمئنان القلب والنفس"، في القرآن الكريم، وكلّها بمعنى إيمانيّ، أي الاطمئنان في الله: الَّذِينَ آمَنُواْ وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ اللّهِ أَلاَ بِذِكْرِ اللّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ[٣١]، وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ[٣٢]، وحتّى إبراهيم أبو المؤمنين طلب آية من الله ليطمئنّ قلبه[٣٣]، ولو شاء الله أرسل ألفًا[٣٤] لا بل خمسة آلاف من الملائكة[٣٥] لتطمئنّ قلوب المؤمنين[٣٦]، وحتّى بعد الموت تعود النفس المطمئنّة إلى خالقها وتدخل الجنّة[٣٧].

إذًا، هنا، يبدو واضحًا أنّ اطمئنان القلب لا يكون إلاّ في قلب الله[٣٨]؛ فلو طلب الحواريّون طعامًا دنيويًّا، لقالوا: لتمتلئ بطوننا ونشبع. لكنّهم أرادوا "اطمئنان القلب"، أي اطمئنان عقل الإنسان وروحه، أي شبع النفس من كمالات الله، والحياة الأبديّة بقربه. وفي هذا المعنى، نقرأ في إنجيل يوحنّا: "مَنْ يَأْتِي إِلَيَّ فَلَنْ يَجُوعَ، وَمَنْ يُؤْمِنُ بِي فَلَنْ يَعْطَشَ أَبَدًا"[٣٩]، كون انعدام العطش والجوع يعطي الاطمئنان. إذًا، هنا، الشبع أبديّ، ويختلف عن الشبع الدنيويّ المؤقّت.

وأيضا: "وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا"[٤٠]، شرحناها أعلاه، وهذا ما يوازي ما ورد في إنجيل يوحنّا: "لنرى ونؤمن".

(٢٣) يو ٢: ١–١١.
(٢٤) مت ٢٦: ٢٦–٢٨؛ مر ١٤: ٢٢–٢٤؛ لو ٢٢: ١٩–٢٠؛ ١ كور ١١: ٢٣–٢٦.
(٢٥) أع ١٠: ١٠–١٦.
(٢٦) أنظر خر ١٦: ٤؛ تث ٨: ٣؛ مز ٧٨: ٢٣–٢٥؛ نح ٩: ١٥؛ حك ١٦: ٢٠.
(٢٧) المائدة ١١٢.
(٢٨) المائدة ١١٢.
(٢٩) المائدة ١١٣.
(٣٠) يو ١٤: ١.
(٣١) الرعد ٢٨.
(٣٢) النحل ١٠٦.
(٣٣) البقرة ٢٦٠.
(٣٤) الأنفال ٩.
(٣٥) آل عمران ١٢٥.\
(٣٦) الأنفال ١٠؛ آل عمران ١٢٦.
(٣٧) الفجر ٢٧–٣٠.
(٣٨) قال القدّيس أغوسطينوس في **اعترافاته**: خلقتنا قلبنا يا الله، ولم يزل قلقًا مضطربًا، حتّى يرتاح فيك.
(٣٩) يو ٦: ٣٥.
(٤٠) المائدة ١١٣.

وفي تعبير "وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ"[٤١] نريد التذكير بما ورد أعلاه أنّ الترجمة٢ استعملت التعبير القرآنيّ نفسه، أمّا في الترجمات العاديّة فاستُعمِلَت كلمة "نرى"، وهنا انسجام تامّ بين التعبيرَين الإنجيليّ والقرآنيّ. وأيضًا هنا صدى لعلاقة الحواريّين والمؤمنين بالمسيح. لقد رأوا معجزاته، ولمسوا محبّته، فكانوا شهودًا لما عاينوا، وهذا ما نراه في أعمال الرسل[٤٢]، وفي أمكنة عديدة من العهد الجديد.

ونتابع شرحنا: "قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ: اللَّهُمَّ رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا[٤٣] مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ"[٤٤].

إنّ طلب المسيح من الله إنزال المائدة من السماء، يوازيها كلمة شكر المسيح لله، قبل اجتراح معجزة. تَرِدُ كلمة شكر، بهذا المعنى، ثلاث مرّات على لسان يسوع في الأناجيل ورسالة القدّيس بولس إلى الأولى إلى أهل كورنتس:

١– في معجزة تكثير الخبز، شكر يسوع الله قبل صنع المعجزة[٤٥]؛

٢– قبل إقامته لعازر من بين الأموات، صلّى إلى الله قائلا: "شُكرًا لَكَ، يا أَبَتِ على أَنَّكَ استَجَبتَ لي. وقَد عَلِمتُ أَنَّكَ تَستَجيبُ لي دائِمًا أَبَدًا"[٤٦].

٣– وفي العشاء الأخير، شكر يسوع على الكأس[٤٧] وعلى الخبز[٤٨]، وتحوّلاً من خبز وخمر عاديَّين إلى خبز السماء، أي جسده ودمه.

في الواقع، سادت كلمة "شكر" أو "إفخارستيا" اليونانيّة في الاستخدام المسيحيّ للدلالة على العمل الذي أسَّسه يسوع عشيّة موته. ولكن يلاحظ أنّ هذه الكلمة تعبّر عن حمد لعجائب الله بقدر ما تعبّر، بل أكثر، عن شكر على الخير الذي يحصل عليه البشر من العجائب.

ولنعرض أفكارًا جديدة: في شرح: "تَكُونُ لَنَا عِيدًا"[٤٩].

لكلمة "عيد" معانٍ مختلفة، علينا تفصيلها:

١– ترد **كلمة "عيد"** في القرآن الكريم مرّة واحدة، ولا تعني العيد التقليديّ؛ فالقرآن الكريم يستعمل كلمة "حجّ" ليعني العيد التقليديّ في مكّة، وزيارة بيت الله الحرام[٥٠] في عيد الأضحى.

وبالمعنى نفسه، كان المسيح يحجّ[٥١] في عيد الفصح، كلّ سنة، ويصعد إلى أورشليم، وهذا ما ورد في إنجيل لوقا: "وكانَ أَبَواهُ يذهبانِ كُلَّ سنةٍ إِلى أُورشليمَ في عيدِ الفصح؛ فلَمَّا بَلَغَ اثنتَي عشرةَ سنة، صَعِدوا إِليها

(٤١) **المائدة** ١١٣.

(٤٢) "وتكونون لي شهودًا" (أع ١: ٨).

(٤٣) "علينا" هنا كلمة سريانية وتعني "لأجلنا" أو "لنا"، ولا يزال استعمال هذا المعنى في اللغات المحكيّة في مصر، مثلا: "رنّيت عليك"، أي طلبتك عبر الهاتف؛ وفي العراق: "دقّيت عليك"؛ بينما في لبنان نقول: "دقّيت لك" أو "تلفنت لك".

(٤٤) **المائدة** ١١٤.

(٤٥) **يو** ٦: ١١ و٢٣؛ **مت** ١٥: ٣٦؛ **مر** ٨: ٦

(٤٦) **يو** ١١: ٤١–٤٢

(٤٧) **مت** ٢٦: ٢٧.

(٤٨) **١ كور** ١١: ٢٤

(٤٩) **المائدة** ١١٣. في السريانية: ܥܺܝܕܳܐ (عِيدًا) أي "عيد". وفي العبريّة "عِدْ" يعني شهادة.

(٥٠) تعني كلمة "حرام" هنا المقدّس.

(٥١) وأيضًا كلمة "حجّ" ترادفها كلمة "حجج" العبريّة، وتعني الرقص والابتهاج، خاصّة عند الصعود إلى أورشليم، وكلمة "العمرة" ربّما أيضا أصلها عبريّ، وتعني حزمة باكورة الحصاد التي تقدّم للكاهن. أنظر **لا** ٢: ٩–١٤.

جَرْيًا على السُّنَّةِ في العيد"[٥٢].

وتابع المسيح هذه العادة حتى اليوم الأخير مع تلاميذه عشيّة صلبه وموته[٥٣].

سريانيًّا، تعني كلمة "حجّ"، ܚܓܐ، "العيد". و"الحاجّ" هو المعيّد أو الذاهب إلى العيد. من هنا نفهم أنّ مناسك الحجّ تتمّ فقط في عيد الأضحى[٥٤].

وتشير هذه الآيات الكريمة كلّها، التي وردت فيها كلمة "حجّ"، إلى إتمام مناسك عيد الأضحى في كعبة مكّة: "عَلَى النَّاسِ **حِجُّ** الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلا"[٥٥]، "ويتمّه أَشْهُرٌ مَعْلُومَاتٌ"[٥٦]، "وَمَنْ **حَجَّ** الْبَيْتَ عَلَيْهِ أَنْ يُطَّوَّفَ"[٥٧]، "وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ **بِالْحَجِّ** يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ فِي أَيَّامٍ مَعْلُومَاتٍ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطْعِمُوا الْبَائِسَ الْفَقِيرَ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ[٥٨] وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ"[٥٩] "والْأَهِلَّةِ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ **وَالْحَجِّ**"[٦٠].

وندعم رأينا بشاهد من التاريخ، إذ يروي ياقوت الحموي ما يلي: "ديرُ نجرَانَ: بنوه مربعًا مستوي الأضلاع والأقطار مرتفعًا من الأرض يصعد إليه بدرجة على مثال بناء الكعبة، فكانوا يحجّونه هم وطوائف من العرب ممّن يحلّ الأشهر الحرم ولا يحجّ الكعبة ويحجّه خثعمُ قاطبة"[٦١].

الحجّ إذًا هو المجيء إلى كنيسة ما في عيد شفيعها، أو ما يسمّى صاحب المقام. ولا تزال العادة متّبعة إلى اليوم. إذًا، كلمة "عيد"، هنا، حسب المعنى القرآنيّ والإسلاميّ، لا تعني عيدًا بالمعنى المتعارف عليه في عربيّة اليوم.

٢- عيد الفصح: في السريانية = ܥܝܕܐ، أو خميس الأسرار الذي أقامه المسيح[٦٢]، وموجود في كلّ الليتورجيّات المسيحيّة، وخاصّة في الطقس السريانيّ. مثلًا، نيسان عيد الزهور أصبح عيد المسيح، الحمل

---

(٥٢) **لو** ٢: ٤١-٤٢.

(٥٣) **لو** ٢٢: ٧-٢٠؛ **مر** ١٤: ١٢-٢٦؛ **مت** ٢٦: ١٧-٢٩؛ **١كور** ١١: ٢٣-٢٦.

(٥٤) إن صاحب مقام الكعبة في مكّة المكرّمة هو النبيّ إبراهيم، وهذا ما أكدته آيات القرآن الكريم: "جَعَلَ ٱللَّهُ ٱلْكَعْبَةَ" (**المائدة** ٩٧) "ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ" (**المائدة** ٢) "مَّقَامِ إبراهيم" (**آل عمران** ٩٧) "ٱلْبَيْتِ" (**البقرة** ١٢٥) "ٱلْمَعْمُورِ" (**الطور** ٤) و"ٱلْعَتِيقِ" (**الحج** ٢٩ و٣٣) و"ٱلْحَرَامِ" (**المائدة** ٢) "مَثَابَةً لِّلنَّاسِ" (**البقرة** ١٢٥) "لِيَقْضُواْ تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُواْ نُذُورَهُمْ وَلْيَطَّوَّفُواْ" (**الحج** ٢٩) و"مُصَلًّى طهّره ابراهيم لِلطَّٰٓئِفِينَ" (**البقرة** ١٢٥) "وَٱلْقَآئِمِينَ" (**الحج** ٢٦) "وَٱلْعَاكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ" (**البقرة** ١٢٥) "يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُ اللهِ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلآصَالِ" (**النور** ٣٦) وهو "أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ" (**آل عمران** ٩٦) "وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا" (**آل عمران** ٩٧؛ **البقرة** ١٢٥) "فَلْيَعْبُدُ (القريشيّون) رَبَّ هذا ٱلْبَيْتِ" (**قريش** ٣) "الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ" (**قريش** ٤). وعيد الأضحى هو عيد إبراهيم. وما ذبح الحملان في هذا العيد سوى ذكرى لما فعله إبراهيم لمّا ذبح الكبش فداء عن ابنه اسحق.

(٥٥) **آل عمران** ٩٧.

(٥٦) **البقرة** ١٩٦-١٩٧.

(٥٧) **البقرة** ١٥٨.

(٥٨) "وضع إحرامهم من حلق الرأس، ولبس الثياب، وقصّ الأظفار، والأخذ من الشارب، وحلق العانة" (الذقن؟). (الطبري).

(٥٩) **الحجّ** ٢٧-٢٩.

(٦٠) **البقرة** ١٥٨.

(٦١) شهاب الدّين أبو عبدالله ياقوت الحمويّ، **معجم البلدان**، ٥ أجزاء، ليبزيك، ١٨٦٦-١٨٧٣، باب دير نجران.

(٦٢) هنا أيضًا تلميح إلى العشاء السريّ الأخير الذي حوّل فيه المسيح الخبز والخمر إلى جسده ودمه. أنظر **مت** ٢٦: ٢٦-٢٨؛ **مر** ١٤: ٢٢-٢٤؛ **لو** ٢٢: ١٩-٢٠؛ **١ كور** ١١: ٢٣-٢٦.

الذبيح ورأس الاعياد[٦٣].

هذا المعنى ممكن، كون المسيحيّين لا يزالون إلى اليوم يحتفلون بعيد القربان، خاصّة يوم خميس الأسرار. وتطوّرت لتصبح ليتورجيّة، أي احتفالاً دائمًا، بالاحتفال بالقدّاس اليوميّ.

٣- كلمة "عيد" العربيّة، من جذر "عاد" أي رجع، أو "أعاد" أي "كرّر". نقول، في العاميّة أثناء المعايدة: "ينعاد عليك بخير وسلام"، أي يعاد العيد مرّة أخرى عليك بخير وسلام. في هذا المعنى، أوصى المسيح تلاميذه أن يكرّروا هذا التذكار حين قال لهم: "إصنعوا هذا لذكري"، وهذا ما يقوم به المسيحيّون، إلى اليوم، أي الاحتفال برتبة القدّاس تذكارًا لعشاء المسيح الفصحيّ مع تلاميذه. ينطبق هذا المعنى السريانيّ أيضا: ܥܺܝܕܳܐ، وتكتب عربيًّا "عْيُدا"[٦٤]، من ܥܶܘܕ، الفعل السريانيّ، وله جذر فعل "عوّد" العربيّ نفسه الذي منه تشتقّ كلمة "عادة". إنّما في السريانيّة انقلبت الواو ياء، بينما في العربيّة انقلبت الواو ألِفًا. إذًا، هنا، ܥܺܝܕܳܐ (عيدا) بالسريانيّة، تعني: "عادة"، أي تكون لكم عادة: "إصنعوا هذا لذكري".

هذا ما ورد في الإنجيل: "ثُمَّ أَخَذَ خبزًا وشكرَ وكسرَه وناولَهُم إيَّاهُ وقال: "هذا هو جسدي يُبذَلُ مِن أَجلِكُم. **إصنَعوا هذا لِذِكْري**". وصنَعَ مِثلَ ذلكَ على الكأسِ بَعدَ العَشاءِ فقال: "هذِه الكأسُ هي العهدُ الجديدُ بدمي الَّذي يُراقُ مِن أَجلِكم"[٦٥].

هذا المعنى المرجّح والأوضح والأفضل، القربان هو ذكرى لموت ولقيامة الرب، كما يفعل المؤمنون يوميًّا في القدّاس الإلهيّ!

ونكمل شرحنا: "لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا"[٦٦]، فنرى في "أوّلنا": رئيسنا أو عظيمنا، و"آخرنا" تعني عامّة الشعب. أو بمعنى آخر، الرسل والمؤمنون، أو الكهنة والشعب. هذا ما يكرّره المسيحيّون، يوميًّا في كلّ العالم في القدّاس، يتذكّرون فيه عشاء الربّ. ومن الممكن أن تحمل أيضًا معنى آخر، فتصبح "من أوّلنا إلى آخرنا"، أي من بدايتنا إلى نهايتنا، بمعنى أنّ الاحتفال بالقدّاس يستمرّ إلى الأبد.

لنبدأ بشرح "وَآيَةً مِنْكَ"[٦٧] من خلال نصّ القرآن الكريم. ترد كلمة "آية" في صيغة المفرد ٨٨ مرّة، و١٤٨ مرّة في صيغة الجمع، وتحمل ثلاثة معانٍ:

- أعجوبة

"وَرَسُولاً إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ أَنِي أَخْلُقُ لَكُمْ مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْئَةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُبْرِئُ ٱلأَكْمَهَ[٦٨] وَٱلأَبْرَصَ[٦٩] وَأُحْيِ

(٦٣) ܗܵܝ ܚܰܓܳܐ ܕܥܺܝܕܳܐ ܕܶܩܘܼܪܒܳܢܳܐ ܐܰܝܟ ܕܟܽܠ ܚܰܕ ܡܶܢ ܩܰܕܡܳܝܶܗ ܩܳܒܶܠ ܐܶܢܳܫ ܕܥܰܠ ܡܶܢ ܒܰܪ ܐܶܢܳܫ ܕܢܶܗܘܶܐ ܩܳܒܶܠ ܡܶܢ ܟܽܠ ܚܰܕ ܡܶܢ ܩܰܕܡܳܝܶܗ ܚܰܓܳܐ ܕܩܘܼܪܒܳܢܳܐ ܗܳܘ ܕܢܶܗܘܶܐ ܩܳܒܶܠ ܡܶܢ ܟܽܠ ܚܰܕ ܡܶܢ ܩܰܕܡܳܝܶܗ ("كتاب الصلوات الفرضيّة لسبّة الآلام حسب طقس الكنيسة السريانيّة المارونيّة"، طبع بإذن غبطة السيّد العلامة الملفان ماري الياس بطرس الحويّك، بطريرك أنطاكية وسائر المشرق، وصحّح في مدرسة عين ورقة على عهد رئاسة سيادة المطران يوسف اسطفان، رئيس اساقفة قورش، جونيه، ١٩٠٢، ص ٣٩٥). وهذه ترجمة هذه الابيات: "هَا نَيْسَانُ عيدُ الأَرْضِ بِالأَفْرَاحِ، زَهْوُ الوَرْدِ السَوسَنِّ وَالأَقَاحِ، فِيهِ سَنَّ الرَبُّ عِيدًا لِلأَعْيَادِ، فِيهِ صَارَ كُلُّ عِيدٍ عِيدَ الفَادِي" (**أسبوع الآلام**، اللجنة الليتورجيّة البطريركيّة، غير مطبوع، صباح الخميس، باعوت مار يعقوب).

(٦٤) وهنا تنقلب الضمّة قبل الياء إلى كسرة كما يرد في المخطوطات القديمة: خُلقنا حسب ما قُيل (قِيل) إنّا له خلقةً (ص٣١ب من المخطوط الفاتيكانيّ العربيّ، رقم ٨٤).

(٦٥) **لو** ٢٢: ١٩-٢٠.

(٦٦) **المائدة** ١١٤.

(٦٧) **المائدة** ١١٤.

(٦٨) أنظر شفاء المولود أعمى (يو ٩).

(٦٩) أنظر شفاء أبرص (مر ١: ٤٠-٤٥).

ٱلْمَوْتَى[٧٠] بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ[٧١] إِنَّ فِي ذلِكَ لآيَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ"[٧٢].

٢– علامة

"قَالَ رَبِّ ٱجْعَلْ لِّي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ إِلاَّ رَمْزًا وَٱذْكُر رَّبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلإِبْكَارِ"[٧٣].

هذا ما يقابله في الإنجيل: "فَقالَ زَكريَّا لِلـمَلاك: "بِمَ أَعرِفُ هذا وأَنا شَيخٌ كَبير، وَامرَأَتي طاعِنَةٌ في السِّنّ؟"؛ فَأَجابَهُ الـمَلاك: "أَنا جبرائيلُ القائِمُ لدى الله، أُرسِلتُ إِليكَ لأُكلِّمَكَ وأُبَشِّرَكَ بِهذه الأُمور، وسَتَظَلُّ صامتًا، فلا تَستَطيعُ الكلامَ إِلى يَومَ يَحدُثُ ذلك، لأَنَّكَ لم تُؤمِنْ بِأَقوالي وهي سَتَتِمُّ في أَوانِها"[٧٤].

– جملة من القرآن

"هُوَ ٱلَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ"[٧٥].

وهذا ما يقابلها في الإنجيل: "وما كانَ ذلك إِلاَّ لِتَتِمَّ الآيَةُ المَكتوبَةُ في شَريعَتِهم وهي: أَبغَضوني بِلا سَبَب"[٧٦].

إذًا المعنى القرآنيّ، المرجّح هنا، هو علامة وأعجوبة.

لننتقل إلى شرحها اللغويّ والمسيحيّ: كلمة: "آية"، يقابلها في السريانيّة: ܐܘܬܐ (أُوت)[٧٧]، أي علامة. والقربان المقدّس هو من أهمّ العلامات التي بقيت في الكنيسة.

لقد جرت العادة في إسرائيل، كما لدى العديد من الشعوب القديمة، أن يتمّ الحصول على ثمار الذبيحة من خلال الأكل من الذبيحة؛ هكذا كان يقوم الاتحاد بالتقدمة، وبالله الذي يقبلها[٧٨]؛ فبتناول جسد يسوع الضحيّة، وبشرب دمه، يشترك المؤمنون في ذبيحته، فيجعلون تقدمة حبّه تقدمتَهم، وينتفعون من العودة في النعمة التي تحقّقها التقدمة. ومن أجل أن يتمكّنوا من أن يفعلوا ذلك في أيّ مكان أو زمان، اختار يسوع أطعمةً عاديّة جدًّا ليصنع منها جسده ودمه مبذولَين ذبيحة، وأمر تلاميذه أن ينطقوا في إثره بالعبارات التي بسلطانه ستحدث هذا التحوّل. وبهذا يمنحهم مشاركة بالتفويض في كهنوته. ومنذئذ، في كلّ مرّة يعيد المسيحيّون إتمام هذا الفعل، أو يشتركون فيه، "يخبرون بموت الربّ إلى أن يأتي"[٧٩]، لأنّ الحضور السرّيّ الذي يحقّقونه هو حضور المسيح في حالته كضحيّة. إنّهم يصنعون ذلك" ذكرًا له"[٨٠]، ينطوي على استحضار مطبوع على الانبهار والعرفان لعجائب الله، وأعظم هذه العجائب هي تضحية ابنه المبذولة لاستعادة الخلاص للبشر. إنّها

(٧٠) أنظر احياء لعازر (يو ١١).

(٧١) أنظر يسوع والسامريّة (يو ٤).

(٧٢) آل عمران ٤٩.

(٧٣) آل عمران ٤١.

(٧٤) لو ١: ١٨–٢٠.

(٧٥) آل عمران ٧.

(٧٦) يو ١٥: ٢٥.

(٧٧) هنا انقلبت الواو أو الضمّة السريانيّة إلى ياء في العربيّة كما هي العادة في العديد من الكلمات.

(٧٨) ١ كور ١٠: ١٨–٢١.

(٧٩) ١ كور ١١: ٢٦.

(٨٠) ١ كور ١١: ٢٥؛ لو ٢٢: ١٩.

أعجوبة محبّة يشترك هؤلاء فيها باتّحادهم بالشركة في جسد الربّ، وبه يتّحدون مع جميع أعضائه[٨١].

وأيضا تفسيرها اللاهوتيّ لـ: "وَارْزُقْنَا وَأَنْتَ خَيرُ الرَّازِقِينَ"[٨٢]:

يستخدم الغذاء والوجبة، في وحي الكتاب المقدّس، للتعبير عن عمل الله في إيصال الحياة إلى شعبه؛ فالمنّ والسلوَى، في الخروج، أسوة أيضًا بالماء المتفجّر من صخرة حوريب[٨٣]، هي كلّها حقائق رمزيّة[٨٤] تشير مقدّمًا إلى الهبة الحقيقيّة التي تنطلق من فم الله[٨٥]، أي الكلمة، الخبز الحقيقيّ النازل من السماء[٨٦]. في الواقع، تكمُل هذه الرموز في يسوع، فهو "خبز الحياة"[٨٧].

ولنشرح أهميّة المائدة كونها جسد الربّ: "قَالَ اللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ"[٨٨].

هذا ما يطابق كلام القدّيس بولس، إلى أهل كورنتس، بعدما تكلّم على عشاء الربّ الفصحيّ، وأيضًا مقاربة مع الرسالة إلى العبرانيّين كما ذكرنا أعلاه.

خاتمة

إنّ هذه الآيات القرآنيّة هي أقرب إلى نصّ ليتورجيّ منها إلى إنجيل يوحنّا، وإلى القدّيس بولس، كما إلى الرسالة إلى العبرانيّين، وذلك لأسباب عدّة:

– إنّ النصّ القرآنيّ هو غير متناسق حرفيًّا مع الإنجيل، فنجد اختلافًا في الترتيب بين مقدَّم ومؤخَّر. لذلك، وانسجامًا مع انسياق النصّ القرآنيّ، اضطرينا إلى تغيير تركيبة النصّ الانجيليّ، فقدَّمنا آيات على أخرى.

– إنّ استبدال كلمة "الحواريّين" بـ"اليهود" يعطي إيحاء للعشاء الفصحيّ، وبالتالي للقربان، مع أنّ النصّ قريب من إنجيل يوحنّا، وليس من أناجيل متّى ومرقس ولوقا الذين ذكروا هذا العشاء الفصحي الذي أهمله يوحنّا.

– إنّ التعبير القرآنيّ "وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا" يدلّ على أنّ المائدة هي طعام روحيّ، ممّا يرجّح المفهوميّة القربانيّة لهذه المائدة.

– إنّ إدراج الجملة "فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ فَإِنِّي أُعَذِّبُهُ عَذَابًا لَا أُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ" ترجّح الاستعمال الليتورجيّ للنصّ، وهو مرادف لما قاله القدّيس بولس لمن يتناول جسد الربّ من دون استحقاق، بعدما عرضه العشاء الأخير مع الربّ.

– إنّ إضافة: "تكون لنا عيدًا لأوّلنا وآخرنا" ترجّح الاستعمال الليتورجيّ للنصّ.

هذا ويجب التنويه أنّ القرآن هو كتاب صلاة، أي كتاب ليتورجيّ، كما يصرّح: "ورتِّل القرآن ترتيلا"[٨٩].

أخيرًا، تبرهن هذه النصوص الصغيرة عن مدى علاقة الإسلام بالمسيحيّة، وفي أهمّ أسرارها وهي القربان وحضور المسيح الدائم في كنيسته. وسننشر، إن شاء الله، مواضيع أخرى، في نفس السياق، ستكون بداية لحوار متين بين المسلمين والمسيحيّين.

(٨١) **١ كور** ١٠: ١٤–٢٢.
(٨٢) **المائدة** ١١٤.
(٨٣) **مز** ٧٨: ٢–٢٩.
(٨٤) **١ كور** ١٠: ٣–٤.
(٨٥) **تث** ٨: ٣؛ **مت** ٤: ٤.
(٨٦) **خر** ١٦: ٤.
(٨٧) **يو** ٦: ٢٦– ٥١.
(٨٨) **المائدة** ١١٥.
(٨٩) **المزمر** ٤. حسب مكاريوس المنحول: الترتيل يعني التزمير، أي إنشاد المزامير، وهذا جزءٌ من الصلاة الخورسيّة.

المراجع

الأزرقيّ، محمد بن عبد الله بن أحمد أبو الوليد، **أخبار مكّة**، ليبزيك، ١٨٥٨.

البخاريّ، محمّد بن إسماعيل أبو عبد الله الجعفيّ، **صحيح البخاريّ**، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلّى الله عليه وسلّم وسننه وأيّامه، تحقيق محمّد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، بيروت، ٩ أجزاء، ٢٠٠١–١٤٢٢هـ.

الحايك، ميشال، **المسيح في الإسلام**، بيروت، ٢٠٠٤.

الحمويّ، أبوعبدالله شهاب الدين ياقوت بن عبدالله الروميّ، **معجم البلدان**، ٥ أجزاء، ليبزيك، ١٨٦٦–١٨٧٣.

عودة، يوسف، **الشخصيّات البيبليّة في القرآن والإسلام، مصادر وفاق واختلاف**، لبنان، ٢٠١٢.

قزّي، جوزف، **هذا هو الاسلام**، بيروت، ٢٠٠٧.

ܟܬܒ ܨܠܘܬ ܐܠܝ ،كتاب الصلوات الفرضية لسبة الآلام حسب طقس الكنيسة السريانية المارونية، طبع بإذن غبطة السيد العلامة الملفان ماري الياس بطرس الحويك، بطريرك انطاكية وسائر المشرق، وصحح في مدرسة عين ورقة على عهد رئاسة سيادة المطران يوسف اسطفان، رئيس اساقفة قورش، جونيه، ١٩٠٢.

مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيريّ النيسابوريّ، **صحيح مسلم**، تحقيق نظر بن محمّد الفاريابيّ أبو قتيبة، دار طيبة، الرياض، جزءان، ١٤٢٧ هـ– ٢٠٠٦م.

KASHOUH, Hikmat, *The Arabic Versions of the Gospels, the Manuscrits and their Families*, De Gruyter, Berlin/Boston, 2012.

LUXEMBERG, Christophe, *The Syro-Aramaic Reading of the Koran: A Contribution to the Decoding of the Language of the Qur'an*, 2007.

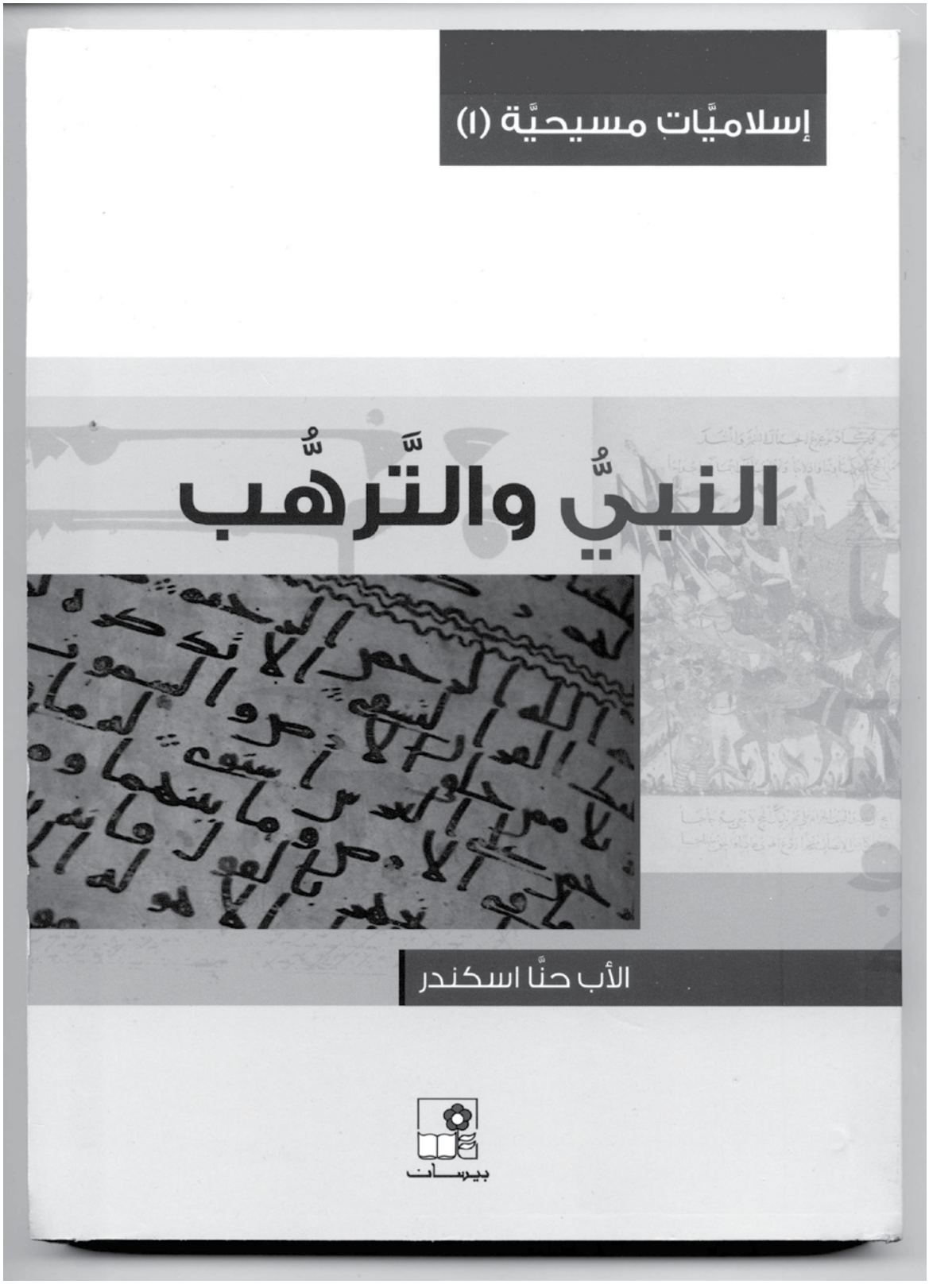
إسلاميَّات مسيحيَّة (١)
النبيُّ والتَّرهُّب
الأب حنَّا اسكندر
بيرسان

من ملكة سبأ إلى بلقيس

المونسنيور بولس الفغالي
باحث في الكتاب المقدّس

١. التوراة أو العهد القديم

"وسمعت ملكة سبأ بخبر سليمان (لمجد الربّ) فأتت لتمتحنه بمسائل (أو: أحاج)، فأتت إلى أورشليم بموكب عظيم جدًّا، بجِمال حامِلة أطيابًا وذهبًا كثيرًا جدًّا وحجارة كريمة. وأتت إلى سليمان وكلَّمته بكلِّ ما كان (يشغل) قلبها، فأخبرها (أو: أعطاها) أجوبة بكلِّ كلامها (أو: على كلِّ أسئلتها)، ولم يكن سؤال مخفيًّا عن الملك لم يخبرها به. فلمّا رأت ملكة سبأ كلَّ حكمة سليمان، والبيت (أي: الهيكل) الذي بناه، وطعام مائدته...، لم يبقَ فيها روح بعد (أو: انقطع نَفَسُها). فقالت للملك: "صحيحًا كان الخبر الذي سمعتُه في أرضي عن كلامك وعن حكمتك، ولم أصدِّق الأخبار حتَّى جئتُ ونظرتُ بعيني، فرأيت أنَّهم أخبروني بالنصف...؛ فطوبى لرجالك (وفي نسخة أخرى: لنسائك)، وطوبى للخدَّام الواقفين أمامك دائمًا ويسمعون حكمتك. ليكن مباركًا الربُّ إلهك الذي سُرَّ بك وجعلك على كرسيّ إسرائيل...

ذاك ما قرأنا في سفر الملوك الأوَّل (١٠: ١–٩). هو تكريم كبير لسليمان. هذا الملك الذي حكم سنة ٩٧٠–٩٣٠ق.م. تقريبًا، قدَّم عنه الكتاب صورة مثاليَّة فيها التاريخ وفيها الرواية. أتت (٣ مرَّات يرد الفعل، هي أتت وهو لم يذهب إليها، وإن كانت تقاليد أخرى سوف نراها) إليه ملكة سبأ لمَّا سمعت بأخباره، وخصوصًا في إطار المبادلات التجاريَّة عبر البحر الأحمر؛ فسفر الملوك الأوَّل يحدِّثنا عن السفن التي صنعها الفينيقيُّون لسليمان، وكانت في عصيون جابر، القاعدة البحريَّة التي أقامها سليمان على البحر الأحمر (٩: ٢٦). كما يحدِّثنا عن السفن "الماضية" إلى أوفير والآتية بالخشب والحجارة الكريمة" (١٠: ١١).

هذا من جهة البحر. وفي البَرّ، كانت القوافل تنطلق عديدة في الجزيرة العربيَّة. ثمَّ إنَّ شهرة سليمان طبَّقت الآفاق، "فكانت الأرض كلُّها تلتمس (رؤية) وجه سليمان لتسمع حكمته التي جعلها الله في قلبه. وكانوا يأتون، كلُّ واحد بهديَّته، بآنية فضَّة، وآنية ذهب، وحُلل وسلاح وأطياب وخيل وبغال. وهذا سنة بعد سنة" (١٠: ٢٤–٢٥).

ولكن من كلِّ هؤلاء الذين أتوا إلى سليمان، لم يرِ الكتاب سوى زيارة ملكة سبأ، ممّا يجعل من هذه الرواية نموذجًا يُحتذى، دلَّت على مزايا سليمان كما دلَّت على مزايا الملكة: "رأت الملكة كلَّ حكمة سليمان"؛ فهو القادر أن يقدِّم الجواب على كلِّ أسئلة الملكة. كلُّ هذا هو ثمرة حكمة من مصدر إلهيّ. هنا نتذكّر ما طلب سليمان من الربِّ حين قدَّم الذبائح على جبل جبعون وماذا أُعطيَ له.

قال سليمان للربّ: "أعطِ عبدك قلبًا فهيمًا لأحكم شعبك وأميِّز بين الخير والشرّ (١ مل ٣: ٩)؛ فأجاب الربّ: "ها أنا أعطيتك قلبًا حكيمًا يميِّز الأمور حتَّى إنَّه لم يكن أحدٌ مثلك قبلك ولا يقوم أحدٌ بعدك نظيرك" (آ ١٣). ويعود سفر الملوك الأوَّل ويعلن في ٥: ٩-١٠: "وأعطى الله سليمان حكمة وفهمًا كثيرًا جدًّا ورحابة قلب (أو: وسع صدر) كالرمل الذي على شاطئ البحر. وفاقت حكمةُ سليمان حكمةَ جميع بني المشرق، وكلَّ حكمة مصر". وهذا في الواقع ما اجتذب ملكة سبأ للمجيء إلى أورشليم قبل أيِّ شيء آخر، وهي محمَّلة بالهدايا.

٢. الأناجيل

ذاك ما قالت التوراة في المعنى الواسع، أي أسفار العهد القديم، وبالتحديد سفر الملوك الأوَّل. وردَّد سفر أخبار الأيَّام الثاني (٩: ١-١٢) ما قاله كتاب الملوك. ماذا أخذ العهد الجديد من هذا الخبر؟ شدَّد على حكمة سليمان التي لم يعرفها شعبه، بل ملكة التيمن. كلام الإنجيل نداء إلى التوبة حيث أخذ يسوع مثلَين من العهد القديم. طلب اليهود "آية"، علامة تدلّ على سلطانه في التعليم. أعطاهم مثلاً أوَّل: آية يونان. هذا "النبيّ" مضى يكرز بالتوبة في نينوى. تاب أهل نينوى. ولكن ماذا ينتظر معاصرو يسوع لكي يتوبوا؟ أما يفهمون أنَّ "هنا أعظم من يونان"؟ والمثل الثاني: سليمان الذي وصلت كرازته "إلى التيمن"، إلى أقصى الجنوب.

هنا نذكر أنَّ المسيحيَّة لا تمتلك فقط إنجيلاً واحدًا، بل أربعة أناجيل. كلٌّ إنجيل دُوِّن في منطقة منطلقًا من الكرازة الأولى مع بطرس وسائر الرسل. في هذا الإطار قال متَّى: "حينئذٍ أجاب قوم من الكتبة والفرِّيسيِّين قائلين: "يا معلِّم، نريد أن نرى منك آية". فأجاب وقال لهم: جيل شرِّير وفاسق (أو: زانٍ، بمعنى خائن للربِّ الإله، ولا يريد أن يسمع كلامه) يطلب آية ولا تُعطى آية له إلاَّ آية يونان النبيّ" (مت ١٢: ٣٨). الآية التي تحدَّث عنها إنجيل متَّى هي بقاء "يونان في بطن الحوت، ثلاثة أيَّام وثلاث ليالٍ": هو رمز بعيد لقيامة الربّ. والكلام يتوجَّه إلى معاصري الإنجيل الذي دُوِّن حوالى سنة ٨٥: أهل نينوى آمنوا "وتابوا بمناداة يونان" (آ ٤١). وأنتم ماذا تنتظرون لكي تتوبوا؟ "وها هنا أعظم من يونان"!

أمّا إنجيل لوقا فقدَّم إطارًا آخر. لم يذكر إقامة يونان في بطن الحوت، لأنَّ سامعيه لا يعرفون "التوراة" مثل اليهود الذين يكتب لهم متَّى؛ فلوقا كتب للطبقة المثقَّفة في كورنتوس وأثينة، لهذا لبث على مستوى المعنى العامّ: "وبينما كان الجموع مزدحمين، ابتدأ يقول: "هذا الجيل شرِّير (فكلمة "فاسق" أو "زانٍ" لا تعني الكثير في المحيط اليونانيّ كما تعني في المحيط اليهوديّ) يطلب آية، ولا يعطى له آية إلاَّ آية يونان النبيّ" (لو ١١: ٢٩). كيف كان يونان آية؟ لا مجال للتفصيل: "لأنَّه كما كان يونان آية لأهل نينوى كذلك يكون أيضًا ابن الإنسان (هكذا اعتاد يسوع أن يدعو نفسه: إنسان من الناس، بانتظار ابن الإنسان، كما في دا ٧: ١٤: "أيضًا لهذا الجيل" (آ ٣٠).

رجال نينوى يقومون في الدينونة ويحكمون على هذا الجيل بسبب قساوة قلبه. التشديد على "رجال نينوى" لا على يونان الذي قام بعمله التبشيريّ. هنيئًا لهم. هم تابوا. ومعاصرو يسوع، لماذا رفضوا أن يتوبوا؟ وبعد ذلك يطلبون آية!

وبالنسبة إلى سليمان، شدَّد يسوع على وجه "ملكة التيمن"، أي الجنوب. ماذا فعلت؟ "أتت من أقاصي الأرض" (مت ١٢: ٤٢؛ لو ١١: ٣١). لماذا؟ "لتسمع حكمة سليمان". اندفاع كبير من لدن هذه المرأة الوثنيَّة، كما كان اندفاع من لدن أهل نينوى الوثنيِّين، والمعروفين بالشرور التي تركوها وراءهم حين اجتاحوا بلدان الشرق الأوسط. مضى يونان إلى البعيد فتحرَّكت التوبة، وأتت ملكة سبأ من البعيد وسمعت. اجتذبتها حكمةُ سليمان. أما تجتذبكم حكمة يسوع المسيح ابن الله؟ أما تعرفون أنَّه "أعظم من سليمان"؟

أمّا سليمان "الحكيم" فلم يبقَ حكيمًا حتّى النهاية؛ فالكتاب يقول عنه: "وأحبَّ الملك سليمان نساء (لا امرأة واحدة) غريبات (لسْنَ من أهل الإيمان) كثيرات مع بنت فرعون (أما كان بالإمكان أن يكتفي بها في خطِّ ما طلب لابان من يعقوب؟): موآبيَّات، وعمّونيَّات،... من الأمم الذين قال عنهم الربُّ لبني إسرائيل: "لا تدخلون إليهم وهم لا يدخلون إليكم، لأنَّهم يميلون بقلوبكم وراء آلهتهم" (١ مل ١١: ١–٢؛ رج تث ٧: ١–٤). وفي الواقع، ذاك ما حصل: "وكان في زمن شيخوخة سليمان أنَّ نساءه أملْنَ قلبه وراء آلهة آخرى، ولم يكن قلبه كاملاً مع الربِّ إلهه" (آ ٤). بنى هيكلاً لإله كلِّ امرأة من نسائه، "فغضب الربُّ على سليمان، لأنَّ قلبه مال عن الربّ..." (آ ٩). أهكذا يكون النبيّ؟ في أيِّ حال، لم يُدعَ نبيًّا في التوراة ولا في التقليد اليهوديّ.

فيشوع بن سيراخ ابتدأ فامتدح هذا الملك: "ما أعظم حكمتك، يا سليمان..." (٤٧: ١٤). وتوقَّف المديح بعد ذلك: "لكن عشقك للنساء أخضعك لهنَّ، فلطَّختَ كرامتك، ونجَّستَ نسلك، وجلبتَ العقاب على بنيك" (آ ١٩).

في نسخة ثانية من التوراة، هي سفر أخبار الأيَّام الثاني، لم تُذكَر خطيئة سليمان الذي ترك الربَّ إلهه والتحق بنسائه العديدات وكرَّم آلهتهنَّ كما كرَّم الربَّ الإله. ألأنَّ الربَّ رحمه كرامة لأبيه داود؟ ربَّما. أمّا التقليد الإسلاميّ فقال: "إنَّ سليمان عبدُ الله، نبيُّه، يدبِّر الله أمرَه بما يشاء".

٣. آباء الكنيسة

قبل أن نصل إلى التقليد اليهوديّ. نتذكَّر أنَّ الدراسة الحديثة ميَّزت بين ما هو تاريخيّ وما هو مضخَّم، لأنَّ الكتاب المقدَّس هو خبرٌ في التاريخ، لا خبر تاريخيّ كما في المفهوم الحديث. فالكاتب الملهم لا يعطي تقريرًا مفصَّلاً عن الأحداث وكأنَّه شاهد عيان، بل تعليمًا دينيًّا ينطلق من الماضي لكي يضيء على الحاضر ويدفع المؤمن نحو المستقبل. جاء سفر الملوك الأوَّل قريبًا من الواقع ورفع سليمان، ولكنَّه بيَّن في النهاية كم انحدر هذا الملك بحيث كان السبب في انقسام المملكة قبل أن يملك ابنه رحبعام، مهما قيل إنَّ الحكمة نقصته.

ونعود إلى نصِّ متَّى الإنجيليّ ولوقا الإنجيليّ. تصوَّر الفرِّيسيُّون أنَّ يسوع لم يكن مسيطرًا على أهوائه، وأنَّه تارة كان يستشيط غيظًا وطورًا كان يمالق (الذهبيّ الفم). لهذا طلبوا آية. ولكن قال "كاتب مجهول": "إنَّ الذين يتوقون إلى أن يعرفوا ابن الله من خلال معجزاته، لا من خلال الإيمان، يقعون في شرك عدم إيمانهم ويعثرون بموته الذي هو آية يونان". وبالنسبة إلى سليمان وملكة سبأ: "إنَّ الكنيسة تُتمُّ ملكةَ الجنوب (فهي ناقصة بشخصها وبهداياها)، فلا تقدِّم هدايا فانية، بل تقدِّم الإيمان بخور معرفة، وتقدمة القربان، عرف الفضائل، ودم الشهادة" (أوريجان وأوغسطين). هذا يعني أنَّ ملكة سبأ ترمز إلى الكنيسة. فكما أتت الملكة إلى سليمان، أتت الكنيسة إلى يسوع، عريسها، وما عادت تتوقَّف عند سليمان، لأنَّ حكمته مهما علَتْ لا يمكنها أن تجاري حكمة يسوع، وشخصه لا يقابَل مع شخص يسوع. وبالرغم من هذا النقص أتت إليه الملكة "من أقاصي الأرض"، فماذا ينتظر اليهود ليروا في "ابن الإنسان" ذاك الذي قال عن نفسه: "من رآني رأى الآب" (يو ١٤: ٩)؟

وشرح الآباء "أعظم من سليمان". قال أوريجان، ابن الإسكندريَّة، في مصر: "إنَّ الكنيسة التي من الأمم، الآتية من "أقاصي الأرض"، تحتلُّ مكانة مملكة الجنوب. إنَّها لا تقدِّم "هدايا فانية وفضَّة" وتوابل، بل تقدِّم إيمانًا...؛ فبمثْل هذه الهدايا يُسرّ سليمان الحقيقيّ، أي المسيح "سلامنا" (أف ٢: ٤). سليمان أي السلام".

وقال أوغسطين ابن قرطاجة، في تونس الحاليّة، ومطران عنَّابة في الجزائر: "لم يكن غريبًا عن المسيح

أن يكون أعظم من يونان وأعظم من سليمان. فهو الربُّ وهم الخدَّام. لكن من هم الذين ينظرون شذرًا إلى حضور الربِّ، فيما استمع الغرباء إلى خدَّامه؟"

وماذا قيل عن ملكة الجنوب؟ "وملكة الجنوب ستقوم في يوم الحساب مع هذا الجيل وتحكم عليه". ورغم أنَّها لطيفة (لا تملك بنية قويَّة) وامرأة أيضًا، لم يردعها ضعف جنسها عن إتمام رحلة طويلة جدًّا. فرغبتُها في الحصول على الحكم منحتها القوَّة. لكنَّ هؤلاء الرجال والكهنة (في الشعب اليهوديّ)، الذين كانت مهمَّتهم أن يحبُّوا الحكمة، فاحتقروا الحكمة الموضوعة أمام أعينهم وفي أحضانهم. الملكة أسرعت إلى سليمان. أمّا هم فاعتزلوا الله. هي جاءت إلى سليمان لتسمع كلامه غير المزخرف. ومع أنَّهم رأوا أعمال ألوهيَّته، في ذلك اليوم، فإنَّهم جدَّفوا عليه. وهي لمّا سمعت عن شهرة سليمان، رغبَتْ في رؤيته. أمّا هم فلمّا رأوا حقيقة المسيح، ابتعدوا عنه. هي حملت إليه العديد من الهدايا لتسمعه، أمّا هم فلم يريدوا تسلُّم مكافآت ملكوت السماوات ليؤمنوا".

هي مقابلة بين "اليهود" الذين لم يستحقُّوا أن يسمعوا ليسوع، ولا هم أرادوا أن يروا فيه ذاك الذي أرسله الآب إلى العالم ليخلِّص العالم (يو ٣: ١٦) ، من جهة ، وبين "ملكة سبأ" التي استحقَّت كلَّ مديح فكانت صورة عن المؤمنين الآتين من العالم الوثنيّ، "من المشرق والمغرب، ومن الشمال والتيمن والذين يجلسون على المائدة مع إبراهيم وإسحق ويعقوب في ملكوت السماوات" (مت ٨: ١١)، من جهة ثانية. أمّا الذين انتظروا آية من يسوع، الذين "كان لهم الملكوت، فطُرحوا خارجًا في الظلمة، وهناك البكاء وصريف الأسنان" (آ ١٢).

وشرح كيرلُّس الإسكندرانيّ إنجيل لوقا، فوصل إلينا في السريانيَّة، لا في اليونانيَّة. قال: "لن يعطيك (أيُّها المؤمن) آية أخرى، حتَّى لا تطرح للكلاب ما هو مقدَّس أو ترمي بدررك للخنازير... آية يونان وحدها تُعطى لهم، أي الألم على الصليب والقيامة من بين الأموات".

وقدَّم أفرام السريانيّ ملكة التيمن على أنَّها رمز للكنيسة. قال: "ملكة التيمن تحكم عليهم، لأنَّها رمز للكنيسة. جاءت إلى سليمان، كما جاءت الكنيسة إلى ربِّنا، وكما حكمت على جيلها آنذاك، ستحكم الكنيسة على أجيالنا. إن حكمت ملكة التيمن على المجمع (أي: اليهود) وعلى حكمته الزائلة ومَلكه المائت، أفلا تحكم الكنيسة بشكل أدقّ وهي ترى ملكًا لا يموت (= يسوع المسيح) وحكمة لا تضلّ؟ فإن شاركناه في آلامه نشاركه أيضًا في مجده".

ويضمُّ القدِّيس أمبرواز (أسقف ميلانو، إيطاليا) آية يونان وآية سليمان في شرح القدِّيس لوقا: "يُفصح النصُّ عن سرِّ الكنيسة. فقطيعها يمتدُّ إلى أقاصي الأرض، إلى نينوى بالتوبة، وإلى ملكة التيمن بشغف لاقتناء الحكمة. إنَّ الملكة تعرف كلام سليمان الحكيم. فملكوتها لا ينقسم (كما انقسمت مملكتُه بعده) وفيه يجتمع الأباعد (أي: الوثنيُّون الذين يُعتبرون بعيدين) كأعضاء جسد واحد. إنَّ سرَّ الكنيسة والمسيح فوق كلِّ تصوُّر، ورُمز إليه مسبقًا. السرُّ تمَّ بكامله. هناك كانت صورة سليمان وهنا المسيح في جسده".

أعادت المسيحيَّة قراءة لقاء ملكة سبأ بسليمان، فأعطته معنى روحيًّا. على مستوى الإنجيل، أنتم أيُّها اليهود مأخوذون بشخصيَّة سليمان بغناه ومجده (مت ٦: ٢٩؛ لو ١٢: ٢٧): زنابق الحقل لباسها أعظم من لباسه. هم مأخوذون بحكمة سليمان، وما هذه الحكمة تجاه حكمة الربِّ يسوع الذي هو أعظم من سليمان وداود وموسى وإبراهيم؟ هم من أرض البشر أمّا يسوع المسيح فهو ابن الله الذي أرسله الآب كالدعوة الأخيرة إلى الملكوت. كلُّ ما كان قبله أعدَّ له الطريق، ولا طريق سواه وهو الذي قال: "أنا الطريق والحقُّ والحياة، لا يأتي أحد إلى (الله) الآب إلاَّ بي" (يو ١٤: ٦). نتذكَّر هنا مثَل الكرَّامين (مت ٢١: ٣٣–٤٦). الرجل يمثِّل

الله، والكرم هو العالم، والكرَّامون هم الأنبياء والذين أرسلهم الله على التوالي ليؤدُّوا الثمار أي أولئك الذين اجتُذبوا إلى الله. ويقول النصّ: "وفي الأخير، أرسل ابنه" (آ ٢٧). لا إرسال بعدُ من الله، من الآب؛ فيسوع المسيح هو من يرسل على ما قال لتلاميذه: "كما أرسلني الآب، أرسلكم أنا" (يو ٢٠: ٢١).

هذا على مستوى الأناجيل، أمّا إذا رحنا إلى التقليد المسيحيّ النابع من حياة يسوع والذي أوصله إلينا الآباء، فسليمان يمثِّل يسوع المسيح. وملكة سبأ هي باكورة العالم الوثنيّ، هي الكنيسة، كما كان وزير الحبشة باكورة المسيحيَّة في أثيوبيا أو الحبشة (أع ٨: ٢٧ي).

٤. التقاليد الإسلاميَّة

نقطة الانطلاق هي القرآن في سورة النمل (٢٧: ٢٠–٤٥)

آ ٢٠. وتفقَّد (سليمان) الطير فقال: "ما لي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين؟"

قالوا كان الهدهد يدلُّ سليمان على الماء إذا كان بأرض فلاة.

آ ٢١. "لأعذِّبنَّه عذابًا شديدًا أو لأذبحنَّه أو ليأتني بسلطان مبين. عزم على تعذيبه: ينتف له ريشه. أو هو سوف يقتله ذبحًا. وأعفو عنه إن أتى بعذر واضح.

آ ٢٢. فمكث غير بعيد. فقال: "أحطتُ بما لم تحط به، وجئتك من سبأ بنبأ مبين". الهدهد مكث حيث هو. أي غاب زمنًا يسيرًا. وقال لسليمان: "أطلعت على ما لم تطَّلع عليه أنت ولا جنودك. وماذا حمل له؟" الخبر اليقين الصادق الحقّ". من أين؟ من سبأ أي حمير وملوك اليمن.

آ ٢٣. "إنِّي وجدتُ امرأة تملكهم، وأوتيَتْ من كلِّ شيء، ولها عرش عظيم". اسم هذه المرأة: بلقيس بنت شراجيل ملكة سبأ، نقرأ في تفسير الكشَّاف: "كان أبوها ملك أرض اليمن كلِّها، وقد وَلده أربعون ملكًا ولم يكن له ولد غيرها، تغلَّبت على الملك. وكانت هي وقومها مجوسًا يعبدون الشمس. ووُصف عرشها: كان ثمانين ذراعًا في ثمانين (إذًا مربَّع) وسمكه ثمانين، وقيل ثلاثين بدل ثمانين. وكان من ذهب وفضَّة مكلَّلاً بأنواع الجواهر، وكانت قوائمه من ياقوت أحمر وأخضر ودرّ وزمرُّد، وعليه سبعة أبيات على كلِّ بيت باب مغلق" (ص ٧٨٠). إذًا هو غنى عظيم وستحاول أن تبهر سليمان بالذهب وأنواع الجواهر واللآلئ. وما نلاحظ خصوصًا أنَّها ملكة وثنيَّة تعبد الشمس. إذًا لا بدَّ من المجيء بها مع قومها إلى عبادة الله الواحد.

آ ٢٤. "وجدتُها وقومها يعبدون الشمس من دون الله. وزيَّن لهم الشيطان أعمالهم فصدَّهم عن السبيل: فهم لا يهتدون". هو عمل الشيطان أن يبقى الناس في الوثنيَّة بعيدين عن السبيل القويم. وإن هم لا يهتدون فلأنَّ الشيطان يمنعهم. هنا نودُّ أن نتذكَّر ما قاله بولس الرسول عن الأصنام: "من ذبح للأصنام ذبح للشياطين، لا لله، وأنا لا أريد أن تكونوا شركاء الشياطين" (١ كو ١٠: ٢٠). تتخيَّلون: هذه الملكة تعبد الشمس بدلاً من أن تعبد الله.

آ ٢٥. "ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السماوات والأرض، ويَعلم ما تخفون وما تعلنون؟" والمعنى: لا يعرفون سبيل الحقِّ الذي هو إخلاص السجود لله وحده دون ما خلق من الكواكب وغيرها. الخبء: هو ما تخبِّئه السماوات والأرض أي ما تخرجه من أرزاق: المطر في السماء والنبات في الأرض. ما هو مخبَّأ يُخرجه الله إلى العلن، سواء في الطبيعة أو في القلوب. وهذا كقوله تعالى في سورة الوعد: "سواء منكم أسرَّ القول ومن جهر به ومن هو متخفٍّ بالليل سارب في النهار" (١٣: ١٠). ("السارب" هو المجاهر من الكلام عكس "متخفٍّ" أو الذي تحاول إخفاءه).

نعود إلى الكشّاف: "وفي قراءة أبي: ألاَّ تسجدون لله الذي يخرج الخبء من السماء والأرض، ويَعلَم سرَّكم

وما تعلنون". وطرح سؤالين. الأوَّل: كيف خفيَ على سليمان مكانها، وكانت المسافة بين مخطَّطه وبلده قريبة، وهي مسيرة ثلاثَ بين صنعاء ومأرب؟" قلت: "لعلَّ الله عزَّ وجلّ أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها، كما أخفى مكان يوسف على يعقوب". والسؤال الثاني: "من أين للهدهد التهدِّي إلى معرفة الله وواجب السجود له وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتربيته؟" قلت: "لا يبعد أن يلهمه الله ذلك كما ألهمه، وغيره من الطيور وسائر الحيوان، المعارف اللطيفة التي يكاد العقلاء الرجاح العقول يهتدون لها...".

ثمَّ لهذا بدأت الآية بالتشديد؟ "ألاَّ يسجدوا". المعنى: "لا يهتدون إلى أن يسجدوا". ويمكن أن تقرأ بالتخفيف: "ألا يسجدوا"؟ وهذا للتنبيه. في "التوراة"نعرف أنَّ الحيَّة تكلَّمت مع حوّاء. ولكنَّ الحيَّة رمزت إلى إبليس والشيطان الذي "اختفى" في الحيَّة (٣: ١ي). كما نعرف أنَّ جحشة بلعام تكلَّمت وفهمت الأمور قبل بلعام (عد ٢٢: ٢١ي). نحن هنا أمام رمز يدلُّ على عمى الإنسان.

آ ٢٦. "الله! لا إله إلاَّ هو ربُّ العرش العظيم". أي هو المدعوّ الله والذي لا إله إلاَّ هو ربُّ العرش العظيم الذي ليس في المخلوقات أعظم منه. ولمّا كان الهدهد داعيًا إلى الخير، وعبادة الله وحده، والسجود له، نهى عن قتله، كما روى الإمام أحمد وأبو داود وابن ماجة عن أبي هريرة رضي الله عنه: "نهى النبيّ عن قتل أربع من الدواب: النملة والنحلة والهدهد والصرَد" (هو طائر ضخم).

آ ٢٧. قال (سليمان): "سننظر أصدقتَ أم كنتَ من الكاذبين". النظر الذي هو التأمُّل والتصفُّح. هل هو صادق هذا الهدهد أم كاذب؟ فإن كنت صادقًا تخلّصت من الوعيد (آ ٢١): العذاب أو القتل.

آ ٢٨. "اذهب بكتابي هذا فألقه إليهم، ثمَّ تولَّ عنهم فانظُرْ ماذا يرجعون". "كتابي" أي رسالة منِّي. "تولَّ عنهم": تنحَّ عنهم إلى مكان قريب تتوارى فيه ليكون ما يقولونه بمسمع منك. "يرجعون". ماذا يكلِّم الواحد الآخر وما يكون جوابهم كما في سورة سبأ: "يرجع بعضهم إلى بعض" (٣٤: ٣١). أو: يردُّ بعضهم إلى بعض. قيل: "دخلَ إليهم من كوَّة فألقى الكتاب إليها وتوارى في الكوَّة". أمّا صيغة الجمع (إليهم)، فهي لأنَّه قال: "وجدتُها وقومها يسجدون للشمس".

ما نفهم هو أنَّ سليمان كتب كتابًا إلى بلقيس، وأعطاه ذلك الهدهد فحمله. قيل: في جناحيه، كما هي عادة الطير. وقيل بمنقاره. ومهما يكن من أمر، ذهب إلى بلادهم فجاء إلى قصر بلقيس إلى الكوَّة التي كانت تختلي فيها بنفسها، فألقاها إليها من كوَّة هناك بين يديها، ثمَّ تولَّى ناحية أدبًا ورياسة (أي: تبخترًا).

آ ٢٩. "قالت: يا أيُّها الملأ، إنِّي أُلقي إليَّ كتاب كريم". وجَّهت كلامها إلى الناس، إلى الشرفاء الذين حولها. "كريم": حسن مضمونه وما فيه. أو: وصفَتْه بالكرم لأنَّه من عند ملك كريم. وقيل: كرمُ الكتاب ختمه. فكتاب بلا ختم لا يُقبَل. وكتاب بلا ختم يستخفُّ به من يتسلَّمه. خافت الملكة، عمدَت إلى الكتاب فأخذته ففتحت ختمه وقرأته.

آ ٣٠. "إنّه من سليمان وإنَّه باسم الله الرحمن الرحيم". سُئلت بلقيس فأجابت: الكتاب من سليمان. وهو مرسَل باسم الله. لا وجود للآلهة. ولا سجود بعدُ للشمس!

آ ٣١. "ألاَّ تعلوا عليَّ وأتوني مسلمين". لا مجال للتكبُّر والاستعلاء. "وأتوني مسلمين" أي موحِّدين (الله) مخلصين (لا مجال للخيانة والكذب) طائعين نداء الله وشريعته. هي دعوة إلى الانقياد لله والإيمان حين نقابل مع التقاليد اليهوديَّة، نلاحظ أنَّ سليمان يدعو ملكة سبأ إلى المجيء إليه لتؤدِّي الخضوع له. أمّا في القرآن، فالمطلوب من بلقيس (ملكة سبأ) أن تتخلَّى عن عبادة الشمس وتسجد للإله الذي لا إله إلاَّ هو. هي بكلِّ بساطة دعوة إلى الإسلام.

آ ٣٢. قالت: "يا أيُّها الملأ! افتوني في أمري. ما كنتُ قاطعة أمرًا حتَّى تشهدون". هي تطلب فتوى. تستشير الحاشية، وتعلن أنَّها لن تتَّخذ قرارًا قبل أن يحضروا إليها ويشيرون إليها بما يجب أن تعمل. قيل: "كان أهل مشورتها ثلاثمئة وثلاثة عشر رجلاً، كلُّ واحد على عشرة آلاف". هذا ما يُعدُّ الطريق للآية التالية: جيش كبير جدًّا. من يقدر علينا؟

آ ٣٣. "قولوا: "نحن أولو قوَّة وأولو بأس. والأمر إليك فانظري ما تأمرين". أي: حدِّثوها عن عددهم وقوَّتهم، ثمَّ فوِّضوا إليها بعد ذلك الأمر: نحن ليس بنا عاقة. ولا بنا بأس. إن شئتِ أن تقصديه وتحاربيه فما لنا عاقة عنه. وبعد هذا فالأمر إليك. مَري فينا رأيك نمتثله ونطيعه. قال الحسن البصريّ (رحمه الله): "فوَّضوا أمرهم إلى علجمة (حمار الوحش السمين القويّ) انطرب ثدياها. فلمّا قالوا لها ما قالوا، كانت هي أحزم رأيًا منهم، وأعلمَ بأمر سليمان، وأنَّه لا قِبَل لها بجنوده وجيوشه. قالت لهم: "أخشى أن نحاربه ويمتنع علينا، فيقصدنا بجيوشه، ويهلكنا بمن معه..."".

آ ٣٤. "قالت: "إنَّ الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها، وجعلوا أعزَّة أهلها أذلَّة. وكذلك يفعلون". "أفسدوها" أي خرَّبوها، وقصدوا من فيها من الولاة والجنود، فأهانوهم غاية الهوان، إمّا بالقتل أو بالأسر. "وكذلك يفعلون". أرادت بقولها: "هذه عادتُهم المستمرَّة الثابتة التي لا تتغيَّر". هي خبرتها الخاصَّة لما كانت في بيت الملك. أمّا ابن العبّاس فاعتبر هذا "من كلام الربّ" (ابن كثير).

آ ٣٥. "وإنّي مرسلة إليهم بهديَّة فناظرة، بمَ يرجع المرسلون".

أي أرسل هديَّة تليق بمثله، وأنظرُ ماذا يكون جوابُه بعد ذلك. فلعلَّه يقبل منّا، أو يضرب علينا خراجًا نحمله إليه كلَّ عام، ونلتزم بذلك، ويترك مقاتلتنا ومحاربتنا. قال قتاده: "ما كان أعقلها في إسلامها وشركها، علمَتْ أنَّ الهديَّة تقع موقعًا من الناس. "وعن ابن عبّاس وغير واحد: "قالت لقومها: إن قبل الهديَّة فهو ملك فاقتلوه، وإن لم يقبل الهديَّة فهو نبيّ فاتبعوه".ذاك ما فعله إليشع لمّا جاءه نعمان السوريّ وطهَّره من برصه (٢ مل ٥: ١٥ي): "ألحَّ عليه فأبى".

آ ٣٦. "فلمّا جاء سليمانَ قال: "أتمدُّونني بمال؟ فما آتاني الله خيرٌ ممّا آتاكم. بل أنتم بهديَّتكم تفرحون". وصل الرسول إلى سليمان، فأجابَ سليمان: تقدِّمون لي يد العون بما لكم! قال بعض المفسِّرين: "بعثت إليه بهديَّة عظيمة من ذهب وجواهر ولآلئ وغير ذلك". والصحيح أنَّها أرسلت إليه بآنية من ذهب. والظاهر أنَّ سليمان لم ينظر إليه بالكلِّيَّة، ولا اعتنى به، بل أعرض عنه. هل بالمال يرضى سليمان فيتركهم على شركهم وملكهم؟ قال: الذي أعطاني الله من الملك والمال والجنود خير ممّا أنتم فيه. أنتم تنقادون للهدايا والتحف، أمّا أنا فلا أقبل منكم إلاَّ الإسلام أو السيف. ذاك شرح ابن كثير. وقال الكشّاف: إنَّ الله آتاني الحظَّ الأوفر والغنى الأوسع. وآتاني من الدنيا ما لا يُستزاد عليه، فكيف يرضى مثلي بأن يُمدَّ بمال ويصانع به. كلُّ ما أطلب منكم الإيمان وترك المجوسيَّة".

آ ٣٧. "ارجع إليهم. فلنأتينَّهم بجنود لا قِبَل لهم بها، ولنخرجنَّهم منها أذلَّة وهم صاغرون".

المعنى: ارجع إليهم وأرجع معك هديَّتهم. سنرسل الجنود فيخرجون من بلادهم. "وهم صاغرون" أي مهانون، مدحورون. فلمّا رجع إليها رسُلُها. وسمعت ما قال سليمان، سمعت وأطاعت هي وقومها وأقبلت تسير إليه خاضعة، ذليلة، معظمة لسليمان، ناوية متابعته في الإسلام. ولمّا تحقَّق سليمان قدومهم عليه ووفودهم إليه فرح بذلك وسرَّه.

آ ٣٨. "قال: "يا أيُّها الملأ، أيُّكم يأتيني بعرشها قبل أن يأتوني مسلمين؟"

توجَّه سليمان إلى الذين حوله: من يأتيني بعرشها

الذي سَبق ووُصف له. كره أن يأخذه بعد إسلامهم وقد علَّم نبيُّ الله، سليمان، أنَّهم متى أسلموا تُحرَّم أموالهم ودماؤهم. نقرأ في الكشّاف (ص ٧٨٣): "يُروى أنَّها عند خروجها إلى سليمان، عليه السلام، فجُعل عرشها في آخر سبعة أبيات بعضها في بعض في آخر قصر من قصور سبعة لها، وغلقت الأبواب ووكلَتْ به حرسًا يحفظونه. ولعلَّه أوحيَ إلى سليمان، عليه السلام، باستيثاقها من عرشها فأراد أن يغرب إليها ويريها بذلك بعض ما خصَّه الله به من إجراء العجائب على يده مع اطِّلاعها على عظيم قدرة الله وعلى ما يشهد لنبوَّة سليمان...".

آ ٣٩. "قال عفريت من الجنّ: "أنا آتيك به، قبل أن تقوم من مقامك، وإنِّي عليه لقويّ أمين".

شرح الكشّاف لفظ عفريت: من الرجال هو الخبيث المنكر الذي يعفر أقرانه وبين الشياطين الخبيث المارد. وقالوا: كان اسمه نكوان. قال ابن كثير: هو مارد من الجنّ. وهو يستعدُّ أن يأتي بالعرش مهما كان ثقيلاً. فهو قادر على ذلك، وهو أهل للثقة بأنَّه لن يأخذ شيئًا من الجواهر. وعمله يكون سريعًا. "قبل أن تقوم من مقامك". كان يجلس للقضاء. قال: قبل أن تقوم من مجلسك.

آ ٤٠. "قال الذي عنده علمٌ من الكتب: "أنا آتيك به قبل أن يرتدَّ إليك طرفك، فلمّا رآه مستقرًّا عنده، قال: "هذا من فضل ربِّي ليبلوني فأشكر أم أكفر، من شكر فإنَّما يشكر لنفسه، ومن كفر فإنَّ ربِّي غنيٌّ كريم".

"الذي عنده علم من الكتاب". قيل: هو آصف بن برخيا كاتب سليمان. وكان صديقًا يعلم الاسم الأعظم. أمّا الكتاب فهو الكتاب المنزل. "قبل أن يرتدَّ إليك طرفك" أي يكفي أن ترفع بصرك ليكون حاضرًا عندك. "هذا من فضل ربِّي" هذا، من نعم الله عليَّ. ليبلوني" أي ليختبرني. هو الخيار الذي نجده هنا وفي التوراة وفي الإنجيل. أشكر الربَّ أم أكفر. "يشكر لنفسه" لأنَّه يحطُّ به عنها عبء الواجب، ويصونها من سمة الكفران، وترتبط به النعمة، ويستمدُّ المزيد" (الكشّاف، ص ٧٨٤). إنَّ الله "غنيّ" عن الشكر، "كريم" بالإنعام على من يكفر بنعمته. وأورد ابن كثير، صحيح مسلم": يقول الله تعالى: "يا عبادي، لو أنَّ أوَّلكم وآخركم وإنسكم وجنّكم كانوا على أفجر قلب رجل منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئًا، يا عبادي إنَّما هي أعمالكم أحصيها لكم ثمَّ أوفيكم إيَّاها. فمن وجد خيرًا فليحمد الله، ومن وجد غير ذلك فلا يلومنَّ إلاَّ نفسه".

آ ٤١. "قال: "نكّروا لها عرشها ننظر أتهتدي أو تكون من الذين لا يهتدون".

قبل أن تأتي بلقيس، أمر سليمان أن يغيِّر بعض صفاته ليختبر معرفتها، وثباتها عند رؤيته، هل تقدِّم على أنَّه عرشها أو أنَّه ليس بعرشها. قال ابن عبّاس: "نزع منه فصوصه ومرافقه". وقال مجاهد: "أمرَ به فغيَّر ما كان أحمر جعل أصفر، وما كان أصفر جعل أحمر...".

آ ٤٢. "فلمّا جاءت قيل: "أهكذا عرشك؟" قالت: "كأنَّه هو". وأوتينا العلم من قَبْلها وكنّا مسلمين".

قالت: يشبهه ويقاربه، وهذا غاية في الذكاء والحزم.

آ ٤٣. وصدَّها ما كانت تعبد من دون الله إنَّها كانت من قوم كافرين".

أي منعها من عبادة الله وحده. ما الذي منعها؟ كانت من قوم كافرين. الذي منعها عبادة الشمس ونشوءها بين ظهور الكفر.

آ ٤٤. "قيل لها: "أدخلي الصرح. فلمّا رأته حسبته لجَّة وكشفت عن ساقيها. قال: إنَّه صرحٌ ممرَّد من قوارير". قالت: "ربِّ، إنِّي ظلمتُ نفسي وأَسلمتُ مع سليمان لله ربِّ العالمين".

أمر سليمان الشياطين فبنوا له قصرًا عظيمًا من قوارير، أي من زجاج، وأجرى تحته الماء. فالذي

لا يعرف أمره، يحسب أنَّه ماء، ولكنَّ الزجاج يحول بين الماشي وبينه. أمّا هي فشكَّت أنَّها تخوض الماء. حسبت أنَّها تمرَّدت على الله. عندئذٍ دعاها سليمان إلى عبادة الله، وعاتبها عن عبادة الشمس دون الله.

٥. الجذور والامتدادات

قرأنا النصَّ القرآنيّ (سورة النمل، ٢٧: ٢٠–٤٤) بالتفصيل مع شروح أخذت بشكل خاصّ من الزمخشريّ ومن ابن كثير. فوصلنا إلى النتيجة التالية:

يختلف النصُّ القرآنيّ بشكل لافت عن ذاك الذي نقرأ في البيبليا؛ فبحسب البيبليا، ملكة سبأ اتَّخذت المبادرة، وراحت تزور سليمان، في أورشليم، لكي تتحقَّق بنفسها من سعة حكمته التي اشتهرت بأنَّها خارقة. وبعد أن تحدَّثت مطوَّلاً مع ملك إسرائيل ويهوذا، وعرضت عليه أسئلة كثيرة معقَّدة، بناها بحكمته. أمّا هي فقدَّمت له هدايا ثمينة وعادت إلى مملكتها بعد أن أنعم عليها سليمان بهدايا من سخائه وكرم أخلاقه.

أمّا صورة الأحداث التي تقدِّمها سورة النمل فهي تختلف كلَّ الاختلاف. أوَّلاً، لا نجد اسم ملكة سبأ في التوراة.

علم سليمان بوجود مملكة سبأ حيث تملك امرأة تتعبَّد للشمس، مثلها مثل شعبها، فأوصل إلى هذه الملكة "كتابًا" يأمرها فيه بأن تأتي مع شعبها "مسلمين"، خاضعين. وبعد أن تشاورت مع مستشاريها، عزمت أن تمتحن نوايا سليمان، فبعثت إليه برسل يحملون إليه هديَّة وينتظرون ردَّة الفعل عنده. استخفَّ الملك بالهديَّة وأعلن أنَّ الله أعطاه أكثر من ذلك بكثير. وأعلن أنَّه سيبعث رسالة ثانية يقول فيها إنَّه سيجتاح مملكة سبأ. وتتسارع الأحداث: إذ كانت الملكة تستعدّ للمجيء إلى سليمان وتقديم الخضوع له في موقع غير محدَّد (لا في أورشليم كما قالت التوراة)، عرف الملك بقدومها فطلب أن يؤتى إليه بعرش سبأ قبل وصولها، فأسرع أحد خدَّامه واستجاب طلبه، فظهر العرش حالاً قدَّام سليمان، فأمر أن يتبدَّل شكله وألوانه ليمتحن الملكة إن كان باستطاعتها أن تعرفه.

وصلت الملكة إلى المكان واجتازت المحنة الأولى: "كأنَّه هو" (آ ٤٢)، ولكنَّها فشلت في الامتحان الثاني: طلب سليمان، فبنى الجنّ له قصرًا من زجاج يسيل الماءُ تحت بلاطه. ودُعيَت الملكة لكي تمرَّ فكشفت عن ساقيها ظانَّة أنَّها تعبر لجَّة ماء. أُعلمَتْ بخطإها فخضعت للإله الواحد. وهكذا ينتهي الخبر القرآنيّ في ما يخصُّها. إذًا، الاختلافات عديدة بين الخبرين؛ فالخبر القرآني يتوجَّه نحو نقطة واحدة: اهتداء ملكة سبأ. فما يحرِّك اللقاء مع سليمان، الأصناميَّة التي بها تخطأ في نظر الله. وحين تُقتلَع الأصناميَّة يتوقَّف الخبر.

أمّا في الخبر البيبليّ، فما من تعارض دينيّ بين سليمان وملكة سبأ (كأنَّها تؤمن إيمانه)؛ فالملكة تبدو حليفة سليمان. قالت للملك: "مبارك الربّ إلهك الذي سُرَّ بك وجعلك على كرسيّ إسرائيل..." (١ مل ١٠: ٩). ثمَّ هي اتَّخذت المبادرة للقاء سليمان، وهي التي امتحنته، وما كان أيُّ حديث عن الحرب بينها وبينه. وينتهي كلُّ شيء، لا بشكل دراماتيكيّ، بل في تبادل هدايا يحتلُّ حيِّزًا واسعًا في النصّ. وعادت الملكة إلى سبأ مطمئنَّة كما أتت من هناك.

أمّا الخبر القرآنيّ فيبتعد عن الخبر الذي نقرأ في البيبليا، لأنَّه مطبوع كلُّه بلون الإلغاز. هناك أوَّلاً كلام عن طير، هو الهدهد، الذي يكشف لسليمان وجود مملكة سبأ، ويخبره عن شخص سرّيّ يمتلك "علم الكتاب". لا يحتاج سوى إلى طرفة عين لينقل عرش سبأ إلى قصر مبنيّ بالزجاج. وهذا ما حرَّك فضول المفسِّرين والمؤرِّخين المسلمين. بما أنَّ الوحي لا يقول شيئًا، لجأوا إلى "الإسرائيليَّات"، وهي أخبار مأخوذة من التقليد الرابِّينيّ، بعد أن نقلها اليهود الذين انتقلوا إلى الإسلام.

إذًا استند الشرّاح إلى هذه الشهادات، فأعلنوا أنَّ بلقيس هو اسم ملكة سبأ. واختلف العلماء في معنى "بلقيس"، فكان من ربط الاسم بالشمس، فقال: "بياض الشمس" أو "شعاع الشمس". ويبدو أنَّ الأفضل في هذا الخطّ: "بهاء الشمس". أمّا معجم أبي عبدالله الأندلسيّ فقال: "زهرة القمر"، عائدًا إلى لغة بني حمير.

ما أصل هذه الملكة؟ ارتبطت بالعالم العُلويّ، وأمّها هي من الجنّ، هؤلاء الكائنات العاقلة المولودة من النار. تزوَّج الوالد أمَّها على أثر عملٍ شجاع، شبيه بما فعل داود قبل أن يأخذ ميكال بنت شاول. وارتبط بأصلها العجيب صفاتها الجسديَّة والعقليَّة والخلقيَّة الخارقة، وهي التي ستصبح ملكة سبأ.

وفي التقليد اليهوديّ، ملكة سبأ جزء من التقليد المرتبط بسليمان، الساحر، طارد الشاطين، آمر الشياطين والحيوانات وعناصر الكون. وهي اعتبرت مرارًا "ساحرة" ثمَّ "تجسُّد ليليت" (اسم شيطانة معروفة في العالم البيبليّ، أش ٣٤: ١٤). إن كان الملك والملكة، سليمان وبلقيس، متلوِّنين بلون إيجابيّ، إلاَّ أنَّه يغمرهما الظلام، السرّ، وكأنَّ الحكمة والمعرفة والفهم التي يمتلكان أو يجسَّدان، لا يمكن أن تكون إلاَّ من عالم موازٍ، لعالم الشياطين والسحر.

ثمَّ إنَّ بلقيس ملكة تطرح سؤالاً وتبقى لغزًا؛ فهي قادرة أن تعرف الله بفضل حدسها وفهمها. وهي أرادت أن تمتحن معرفة سليمان (١ مل ١٠: ١–٣: سعت... أتت بأسئلتها). مسألة الألغاز أقلَّ أهمِّيَّة من واقع يقول إنَّ لسليمان الجواب على كلّ شيء. ونجد أيضًا أسئلة عديدة طرحتها ملكة سبأ على سليمان، وذلك في نصوص من التقليد اليهوديّ استعادها التقليد الإسلاميّ والمسيحيّ. وها نحن نبدأ بالتقاليد اليهوديَّة، كما نقرأها عند لويس جنسبرج:

"وذات مرَّة غاب الهدهد عن اجتماع عقده الملك. فبحث عنه خدم الملك فلم يعثروا عليه في أيِّ مكان. وعند ذلك استشاط الملك غضبًا وأمر بإحضاره ولو من تحت الأرض، ومعاقبته على تلكُّئه".

وبعد قليل حضر الهدهد وقال:

– "مولاي الملك، يا سيِّد العالم، أصخْ إليَّ واسمع لكلماتي... منذ ثلاثة أشهر وأنا أفكر في عمل أعمله ويكون جديرًا بعظمتك، فظللتُ دون أكل أو شرب طائرًا حول العالم كلِّه لأرى وأتأكَّد إن كانت هناك بقعة لا تخضع لسلطانك؛ فوصلتُ إلى مدينة "قطور" وهي مدينة في الشرق. وهناك، يا مولاي الملك، في هذه المدينة، التراب أغلى من الذهب، بينما الفضَّة أرخص من طين الشوارع، ووجدتُ أشجارها قد نمت من بداية الخليقة وظلَّت كما هي تُسقى بماء يتدفَّق من جنَّة عدن.

"وهذه المدينة، يا مولاي الملك، مزدحمة بالرجال الذين يرتدون على رؤوسهم باقات من زهور الجنَّة، لكنَّهم لا يعرفون كيف يقاتلون عدوًّا، ولا كيف يرمون بقوس أو سهم. ووجدتُ التي تحكمهم امرأة يطلقون عليها "ملكة سبأ". فإذا سَرَّ مولاي الملك ذلك، سأتمنطق كالأبطال وأطير عائدًا إلى مدينة "قطور" في "أرض سبأ". وعندما أصل إليها سأقيِّد ملوكها بالسلاسل وحكَّامها بالأغلال وأُحضرهم جميعًا أذلَّة أمام سيِّدي الملك".

وعندما سمع الملك ذلك، سُرَّ من حديث الهدهد وصفح عنه. ثمَّ استدعى كاتبه وأمره بكتابة رسالة علَّقها في جناح الهدهد الذي طار وصاح بصوته المعروف، وتوجَّه إلى المدينة، وتبعته جميع الطيور.

ثمَّ وصل السرب إلى مدينة "قطور" في أرض سبأ".

وعندما وصلت الطيور كان الصبح قد لاح وخرجت الملكة لتصلِّي وتتعبَّد للشمس. ثمَّ فجأة حجبت الطيور نور الشمس. فرفعت الملكة رأسها. فلمّا رأت ذلك، شقَّت ثوبها ولطمت خدَّها. ثمَّ حطّ الهدهد بالقرب منها وألقى إليها برسالة الملك "سليمان"، فالتقطتْها

وقرأتها، فكانت كالتالي:

"من الملك سليمان،

"سلام عليك وعلى نبلاء مملكتك،

"ألا فلتعلمي أنَّ الربَّ قد جعلني ملكًا على وحوش البرِّيَّة وطيور السماء والعفاريت والأرواح والأشباح... ويأتيني ملوك الشرق والغرب جميعًا معلنين خضوعهم لي واعترافهم بسلطاني؛ فإذا حذوتِ حذوهم فسأمنحك مجدًا لا يدانيه مجدُ أيِّ ملك من الملوك الذين يجالسونني، وإلاَّ فسوف أرسل إليك ملوكًا وجيوشًا وفرسانًا لا قِبَل لك بهم...".

فلمّا فرغت من قراءة الرسالة، شقَّت ثوبها ولطمت خدَّها مرَّة أخرى، ثمَّ استدعت شيوخ مدينتها وأمراءها وقالت لهم:

"ألا تعلمون بما كتب لي سليمان الملك؟"

– ومَن "سليمان" هذا؟ إنَّنا لا نعرفه ولا نأبه بمملكته!"

ولكنَّها استسخفت حديثهم، ثمَّ هرولت فأعدَّت جميع سفنها وحمَّلتها بجميع أنواع الخشب واللآلئ...، ثمَّ أرسلتها إلى سليمان، ومعها ستَّة آلاف شابّ وشابَّة...، ثمَّ أرسلت معهم رسالة إلى الملك "سليمان" كانت كالتالي:

"إنَّ الرحلة من مدينة "قطور" إلى أرض إسرائيل تستغرق سبع سنين، ولأنَّ مولاي طلب منِّي أن أزوره لأعلن له خضوعي، فإنِّي سأسرع لأكون في "أورشليم" في نهاية ثلاث سنين...

ثمَّ قادها "بنانياه" إلى حيث الملك سليمان الذي كان قد ذهب وجلس يستقبلها في بيت من الزجاج. وعندما دخلت الملكة إلى البيت، خدعها بصرها وظنَّت أنَّ الملك يجلس على الماء، فخطت إليه كاشفة ثوبها عن ساقيها لكيلا يبتلَّ بالماء.

فلمّا فعلت ذلك، لاحظ الملك أنَّ ساقيها بهما شعر، فقال لها:

"جمالك جمال امرأة. لكنَّ شعر ساقيك يشبه شعر سيقان الرجال! إنَّ الشعر زينة للرجل، وفضيحة للمرأة!"

فقالت له الملكة: "لطالما سمعت عنك وعن حكمتك البالغة. تُرى هل ستجيبني إن أنا سألتك الآن عن مسألة ما!".

فأجابها قائلاً:

– "الربُّ يهبُ الحكمة لمن يشاء، وهو أحكم الحاكمين... سليني عمّا يحلو لك".

وهنا تأتي الأسئلة بشكل مفارقة، ولا مجال لذكرها. ولكنَّ المؤرِّخين العرب استعادوها مع كلام على الهدايا. ولنا مثال على ذلك في تاريخ الطبريّ.

وعن العالم اليهوديّ العربيّ، وصلت علاقة سليمان ببلقيس إلى أثيوبيا–الحبشة. وجاءت هذه العلاقة في أساس ميثة توسِّس دستور المملكة. أمّا التقليد المسيحيّ فضمَّ مسيرة المجوس إلى مسيرة ملكة سبأ في لوحة واحدة: العالم الوثنيّ يأتي إلى العالم المسيحيّ.

روى الكتاب المقدَّس في سفر الملوك مجيء ملكة من الجنوب العربيّ. من سبأ إلى سليمان. سمعت بحكمته فأتت تتحقَّق من هذه الحكمة وأخذَتْ بها وعادت إلى أرضها وكأنَّها حقَّقت حلمًا طالما راودها. وهي ما كانت وحدها، بل جاء ملوك عديدون يختبرون حكمة نالها سلميان من الله تعالى. وهي حكمة سوف تخضع له الأنس والجنّ، الوحش والطير، بل المسكونة كلُّها. وراح التقليد اليهوديّ يتوسَّع في هذا الخبر. فأخذ عنه التقليد الإسلاميّ وحوَّر بحيث إنَّ مجيء ملكة سبأ التي ستُدعى بلقيس تأتي لا لتخضع لسليمان، بل للإله الواحد، بعد أن صار سليمان من "المسلمين" قبل الإسلام وأراد لهذه الملكة وشعبها أن يعبدوا الإله الواحد دون الشمس. كلُّ هذا دلَّ على معرفة عميقة بالتقاليد

اليهوديَّة التي وصلت إلى التراث الإسلاميّ فلبث ملتصقًا بها. أمّا المسيحيَّة فأخذت من التوراة ما يوصل إلى يسوع المسيح. ففيه تنصبُّ أقوال الأنبياء وتكتمل مسيرة الآباء على ما قالت الرسالة إلى العبرانيِّين: "إنَّ الله بعد أن كلَّم الآباء بالأنبياء كلَّمنا بواسطة الابن الذي جعله وارثًا لكلِّ شيء."

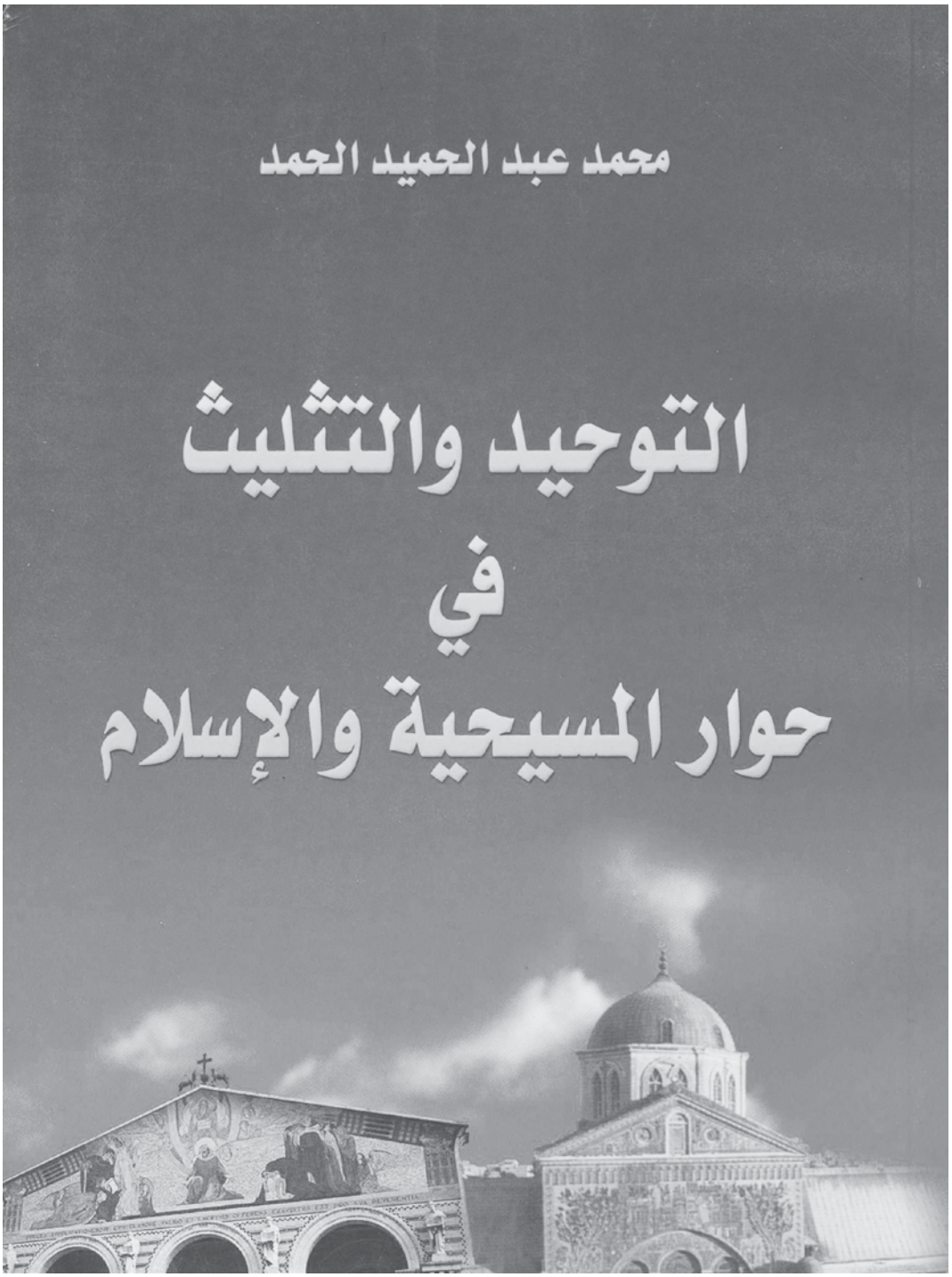

فتية أفسس السبعة
أو أهل الكهف
إكرام مسيحيّ - إسلاميّ

الأخت مارتا باسيل
دكتوره في العلوم الليتورجيّة

مقدّمة

إنّ إكرام فتية أفسس قد انتشر شرقًا وغربًا في تقاليد مختلفة. أُطلقت عليهم تسميات مختلفة: فتية أفسس الشهداء، فتية أفسس السبعة، النّيام السبعة، الإخوة السبعة الشهداء، الفتية السبعة، أطفال أفسس، القدّيسين الفتية السبعة النائمين في أفسس، أهل الكهف، وأصحاب الكهف. غير أنّ الاسم الأكثر شهرةً لهم: النّيام السبعة. وكان لقصّتهم تأثير مهمّ في شرح عقيدة قيامة الأموات.

قصّة هؤلاء الشهداء ليست مجرّد رواية، فالتنقيبات التي قامت بها بعثة نمساويّة في جبل بّيون Mont Pion[1] في مغارة "النّيام السبعة" سنة ١٩٢٧ و١٩٢٨، أدّت إلى الكشف عن وجود كنيسة ومئات المدافن التي ترقى إلى القرن الخامس أو السادس. أشارت هذه البعثة إلى أهمّيّة وجود مغارة تحتوي على عشرة مدافن، سبعة منها وُضِعت قبالة الصخر، وخمسة على يمين الممشى الرئيسيّ، واثنان على شماله"[2].

بيّنت هذه الاكتشافات أيضًا أن الكتابات التي وجدت على المدافن وحيطان الكنيسة، تخصّ النّيام السبعة، مِمّا يؤكّد على أهمّيّة هؤلاء الشهداء في التقليد المسيحيّ. أبرز دليل على هذا الأمر أيضًا رغبة العديد من الناس بأن يُدفنوا إلى جوار مدافن النّيام السبعة، علمًا أنّ بعض التقاليد المسيحيّة تشير إلى أنّ القدّيسة مريم المجدليّة قد دُفِنَت في هذا المكان.

لإكرام النّيام السبعة تقليد خاصّ في مدينة أفسس، إذ في كلّ سنة يتوافد عشرات الألوف من مسلمين ومسيحيّين لزيارة مغارة النّيام السبعة وبيت مريم العذراء.

ورد في القرآن الكريم ذكر "أهل الكهف" في السورة ١٨، وفيها بعض التقارب لقصّة فتية أفسس السبعة. لهم في الشرق والغرب أماكن حجٍّ واحتفالات سنويّة تجمع بين المسيحيّين والمسلمين تمجيدًا لله وإكرامًا للشهداء.

١. قصّة فتية أفسس السبعة الشهداء

يرد ذكر فتية أفسس السبعة الشهداء في ٢٢ تشرين الأوّل في السنكسار المارونيّ الكرشونيّ، بشكل موسّع عن السنكسار المارونيّ باللّغة العربيّة الذي أتى مختصرًا جدًّا، وهذا نصّه:

(١) "جبل بّيون"، يُدعَى حاليًا "بَانَايِر داجِي"، يرتفع على موقع أفسس الأثريّ.

(2) Basim Yayin Dagitim, Éphèse, Rehber, Reklamcilik ve Ticaret a.s., Istanboul, Turquie, sans année, p. 57-58.

"هؤلاء الإخوة السبعة الفتية كانوا من أسرة مسيحيّة شريفة في مدينة أفسس، فوشي بهم إلى حاكم المدينة أنّهم مسيحيّون؛ فأخذ يتملّقهم ويتهدّدهم ليجحدوا إيمانهم ويضحّوا للأوثان، فأبوا وتمكنوا من الذهاب إلى مغارة قرب المدينة اختبأوا فيها، فعرف الحاكم بمخبئهم وأرسل جنودًا سدّوا عليهم باب المغارة، سدًّا مُحكَمًا كي يميتوهم جوعًا. لكنّ أحد المسيحيّين، بعناية إلهيّة، قد سبق فرمى في المغارة صحيفة من نحاس مكتوبة فيها أسماء أولئك الإخوة السبعة وهم: مكسميانوس وملخس ومرتينيانوس وديونيسيوس ويوحنّا وسرابيون وقسطنطين، مع موجز استشهادهم وتاريخه. فرقدوا، أي توفّوا داخل المغارة.

وفي السنة ٤٤١، أي بعد ما يقرب من مئة وتسعين سنة، بعهد الملك تاودوسيوس الثاني الصغير، انكشفت المغارة أمام أحد الفلاّحين وفيها أجساد أولئك الشهداء سالمة من الفساد وطريّة، فارتعب الرجل لهذا المشهد، وأسرع فأخبر أسقف المدينة، فجاء هذا مع الإكليروس وجمهور من الشعب بهيئة حافلة؛ وما وقع نظرهم على تلك الأجساد السليمة، وقرأوا صحيفة النحاس المشار إليها، حتّى تحقّقوا الأمر، فدُهِشوا، وامتلأت قلوبهم فرحًا وأفواههم تمجيدًا لله؛ فحملوا تلك الذخائر إلى الكنيسة ودفنوها باحتفال عظيم، وكانت تفيض بالنّعم والمعجزات الباهرة، وكان ذلك سنة ٤٤٧"[٣].

٢. التقليد الماروني وبعض التقاليد الأخرى

تحتفل الكنيسة المارونيّة بعيد فتية أفسس السبعة في زمن الصوم الكبير، إذ خصّصت لهم بعض صلوات "الفرض الإلهيّ"، محفوظة في المخطوطات السريانيّة وبعضها يعود إلى القرن الثالث عشر، مثل البريطانيّ Add. ١٤,٧٠١ (سنة ١٢٦٣)[٤]، الفاتيكانيّ السّريانيّ ٢٣٥[٥] (سنة ١٤٢٥)، قنّوبين ١٥ (القرن الخامس عشر)[٦]، قنّوبين ١٣ (١٥٦٨)[٧]، قنّوبين ٢٧ (بدون تاريخ)[٨] الذي يُرجّح أنّه يرقى إلى القرن الخامس عشر أو السادس عشر، قنّوبين ٣١ (بدون تاريخ)، قنّوبين ٣٢ أيضًا بدون تاريخ، بكركي ٧٨ بدون تاريخ، حلب ٦٨٦ (١٥٤٢)[٩]، الرهبانيّة اللبنانيّة المارونيّة ١٠٣ (١٧٥٨)، وباريس سريانيّ ١٦٩ (القرن الثالث عشر)[١٠]. كما يذكر فرنسوا جوردان بعض المخطوطات السريانيّة المارونيّة التي تذكر فتية أفسس السبعة وهي: الفاتيكانيّ السريانيّ ٢٣٥، والديمان ١٣؛ ١٤؛ ١٨؛ ١٩ و٢٤ من القرنين الثالث عشر والخامس عشر، وأخيرًا المخطوط البريطانيّ (MB) ٩٤٢[١١].

تُبيّن مقارنة نصوص صلوات المخطوط الفاتيكانيّ

(٣) **السنكسار بحسب طقس الكنيسة الانطاكيّة المارونيّة**، إعداد الأب بولس ضاهر، منشورات معهد الليتورجيّا في جامعة الروح القدس، ٢٣، الكسليك، لبنان، ١٩٩٦، ص ٢٩٢–٢٩٣.

(٤) **المخطوط البريطانيّ ١٠٧٤١**، ورقة ٥٩ أ – ٦١ أ.

(٥) **المخطوط الفاتيكانيّ السّريانيّ ٥٣٢**، ورقة ١٣١ أ – ١٤٩ ب.

(٦) **مخطوط قنّوبين ٥١**، ورقة ١٨٢ ب – ١٩٤ ب.

(٧) **مخطوط قنّوبين ٣١**، ورقة ٢١٨ أ – ٢٢٨ ب.

(٨) **مخطوط قنّوبين ٧٢**، ورقة ١٥٦ أ – ١٥٧ ب.

(٩) **مخطوط حلب ٦٨٦**، ورقة ٠٣ أ – ٢٥ أ.

(10) Voir Martha Bassil, *L'Office Maronite des Sept Jeunes d'Éphèse, le Ramšō et le Safrō, d'après le manuscrit Vatican Syriaque 235 (AD 1425/1426)*, Mémoire en vue du Diplôme d'Études Approfondies, Université Saint-Esprit, Kaslik, Liban, 2009.a

(11) François Jourdan, *La tradition des Sept Dormants, rencontre entre chrétiens et musulmans*, Maison-Neuve et Larose, Paris 2001, p. 57.

السّريانيّ ٢٣٥، وعظة يعقوب السروجيّ (+ ٥٢١) حول فتية أفسس السبعة، وعظة غريغوريوس دو تور (+ ٥٩٤)، أنّ قصّة الفتية السبعة تعود إلى المخطوطات السريانيّة القديمة منذ القرنين الخامس والسادس، وهي تتقارب إمّا مِن جهة النصوص وإمّا من جهة الشعر[١٢].

في الغرب، العديد من المغاور والمدافن المنسوبة إلى الفتية السبعة. وبحسب Migne، "فإنّ أسطورة النّيام السبعة تعود للشرق؛ فمن المؤلّفين السريان استقى غريغوريوس دو تور، لنشر قصّتهم في المجتمع المسيحيّ الغربيّ للمرّة الأولى. وقد نشر أباء البولّنديست قصّتهم استنادًا إلى يعقوب السروجيّ وغريغوريوس دو تور في الغرب"[١٣].

٣. إكرام النّيام السبعة

انتشر إكرام النّيام السبعة بسرعة في التقليد المسيحيّ القديم. يقول روجيه ميشال في هذا الصدد: "في مغارة مار فيكتور في Marseille – فرنسا، ناوس من القرنين الخامس والسادس يمثّل أربعة من النّيام السبعة. وفي vieil Orléans ، ما يزال قائمًا "شارع النّيام السبعة". وفي Rouen – فرنسا، زجاجيّات تمثّل النّيام السبعة. وفي دير Abbaye de Marmoutier مغارة على اسم النّيام السبعة. أمّا في Bretagne, Côtes d'Armor، فيُحتفل في الأحد الذي يلي عيد القدّيسة مريم المجدليّة في ٢٢ تموز من كلّ سنة بحجّ القدّيسين السبعة، وهو حجٌّ مسيحيّ – إسلاميّ"[١٤].

يصير الاحتفال في Bretagne في داخل كنيسة النّيام السبعة وعلى نبع صغير بقربها ذو فوهات سبعة. يعود بناء هذه الكنيسة إلى سنة ١٧٠٣، التي شُيّدت بشكل صليب لاتينيّ، وتحوي تماثيل صغيرة على اسم "سبعة نيام أفسس". في سنة ١٩٥٤، أصبح هذا المقام مكان حجٍّ سنويّ، مسيحيّ – إسلاميّ، لإكرام "القدّيسين السبعة"، بمبادرة من لويس ماسّينيون.

يتضمّن الاحتفال قراءة السورة ١٨ من القرآن، ثمّ يُتلى نشيد قديم خاصّ بهذه المناسبة يُدعى Gwerz des Sept Saints، أي غفران القدّيسين السبعة التقليديّ، يحكي قصّة الفتية السبعة الذين اضطهدهم داكيوس قيصر سنة ٢٥٠، ويروي أيضًا العجائب التي حصلت بشفاعتهم قرب نبع الماء القريب من الكنيسة في المحلّة المذكورة. يُختتم الاحتفال بقدّاس.

نقرأ على موقع vieux-marché أنّ لويس ماسّينيون، بعدما شارك للمرّة الأولى سنة ١٩٥٣ في احتفال الغفران المذكور أعلاه، بدا متأثّرًا من تقوى المشاركين ومنذهلاً من كلمات هذا النشيد المغنّى بلهجة منطقة Bretagne، فالأبيات من ٦–٣١ من النشيد تتقارب جدًّا مع قصّة فتية أفسس السبعة عند مسيحيّي الشرق، أمّا الأبيات من ٩– ٢٦، فتخصّ السورة ١٨ من القرآن الكريم، "أهل الكهف"[١٥].

من وقع هذا الاختبار، أطلق لويس ماسّينيون مبادرتين: الأولى، تصنيف كنيسة النّيام السبعة من ضمن الإرث الوطنيّ، وقد استحوذ من المسؤولين على ترميم الكنيسة سنة ١٩٦٤، والثانية، إقامة حجّ سنويّ مسيحيّ – إسلاميّ.

(12) Martha Bassil, *Les Sept Dormants d'Éphèse Histoire et culte*, Séminaire de recherche, Kaslik, Liban 2011.

(13) J. P. Migne, *Dictionnaire des légendes du Christianisme*, collection d'histoires apocryphes et merveilleuses, Brepols, Belgique, 1989, p. 1159-1140. (Les Bollandistes donnent aussi les textes de Métaphraste (Cf. *Act.SS. Julii… Anvers*, 1729, in-fol., t. IV, die vigesima septima, p. 375-397).

(14) Roger Michel, *La tradition des Sept Dormants*, dans *La grotte et le rocher dans les religions*, Chemin de dialogue, Marseille 2004, p. 143-144.

(15) www.vieux-marché.net, article 8.

يقول في هذا الصدد الأب يواكيم مبارك: "إنّ المستشرق لويس ماسّينيون قد أسّس سنة ١٩٥٤ في crypte-dolmen de Stiffel حجًّا يجمع بين ممثّليّ الديانات الإبراهيميّة الثلاث. وفي هذه المناسبة يُحتفل بالقدّاس وتُقرأ سورة أهل الكهف باللّغة العربيّة"[١٦].

يعلّق مانويل بّنيكو Manoël Pénicaud من جهته عن إكرام النّيام السبعة الذي اشتهر في بلدان عدّة قائلاً: "في شمال المتوسّط نجد أثار النّيام السبعة في Marseille و Milan وCréma وRome. وقد انتشر إكرامهم خارج المتوسط أيضًا، باتّجاه شمال غرب أوروبا: Vieux-Marché) Bretagne) ،Luxembourg Fontpierre Hollerich، وفي ألمانيا (Trêves, Rotthof, Möhn)، والنمسا، Sciessedt)، Höllersberg واسكندنافيا (île de Selja en Norvège) ، وباتّجاه الجنوب حيث نجد أثر النّيام أيضًا في Abyssinie، وفي اليمن، وفي Comores وZanzibar وحتّى أندونيسيا، بفضل البحّارة العرب منذ القرن الثاني عشر. وباتّجاه الشرق، أخيرًا، في أفغانستان (Meïmené)، وتركستان، Toyoq) Turkestan Chinois) على طول طريق الحرير. هذه الجولة السريعة تهدف إلى إظهار كثرة الأماكن الخاصّة بالنّيام السبعة، ومن المؤكّد أنّ هناك أماكن أخرى تبقى للاكتشاف"[١٧].

تشير جنفياف ماسّينيون إلى بعض الأماكن التي تتواجد فيها مغاور على اسم النّيام السبعة في البلدان العربيّة: في دمشق (منحدر جبل قاسيون)؛ في الأردنّ (الرقيم)؛ في تونس (جبل غرّة)؛ في الجزائر والقاهرة والمغرب... وفي إسبانيا "غرفة النّيام السبعة"، وفي أفغانستان وتركستان[١٨]. أمّا مغارة أهل الكهف في اليمن (قرب جبل العروس)، فيلزم ثلاثة أيّام لإكمال زيارة الجبل[١٩]. وفي الجهة الجنوبيّة الشرقيّة من مدينة عمّان في الأردن، مغارة "أهل الكهف"، وهو مكان حجٍّ يزدان بجامع بُني فوق المغارة على أنقاض كنيسة بيزنطيّة قديمة، اكتشفت فيها سبعة أعمدة رومانيّة.

في روما–إيطاليا، معبد قديم على اسم النّيام السبعة قرب Via Appia، قد تحوّل حديثًا إلى متحف. وفي مدينة أَضَنَه في تركيا مغارة على اسم "النّيام السبعة".

أمّا الكنيسة البيزنطيّة فتُقيم تذكار النّيام السبعة القدّيسين في الكلندار الليتورجيّ في ٢٢ تشرين الأوّل وفي ٤ آب، فيما الكنيسة اللاتينيّة تحتفل بعيدهم في ٢٧ تموز.

يسود في مدينة أفسس اعتقاد بأنّ مريم المجدليّة قد رافقت مريم العذراء إلى أفسس، ومن المرجّح أن قبر المجدليّة كان في أفسس قبل نقله إلى القسطنطينيّة سنة ٨٩٩[٢٠]. ليس من المستغرب أن يكون الفتية السبعة قد لجأوا إلى المغارة قرب مدينة أفسس التي حوَت قبر مريم المجدليّة، لتسهر عليهم، وهي التي سهرت على قبر المسيح يسوع. لهذا نرى في إحدى إيقونات الفتية السبعة النّيام مريمُ المجدليّة واقفةً على باب المغارة

(16) Trait d'union Orient-Occident entre l'Islam et la Chrétienté, *Le Culte Liturgique et populaire des Sept Dormants Martyrs d'Ephèse* (*Ahl al-Kahf*), Étude réunie par Youakim Moubarac, Paris 1961, p. 119-180.

(17) Manoël Penicaud, *Aurora*, Supplément aux *Cahiers d'Orient et d'Occident, Les Sept Dormants d'Éphèse*, no IV – printemps 2008, p. 10 -11.

(18) Geneviève Massignon, *Le culte des Sept Saints Dormants d'Éphèse, une vénération commune aux musulmans et aux chrétiens*, Firmin-Didot, Paris 1960, p.3.

(19) Jean Moncelon, *Les Sept Dormants d'Éphèse, Aurora*, Supplément aux *Cahiers d'Orient et d'Occident*, no 4, France 2008, p. 2.

(20) Egidio Picucci, Pierre Mazoué, Ignace Schout, *Meryem Ana Evi, La Maison de la Vierge Marie à Éphèse*, Izmir, 1998, p. 8.

تحرسهم مع ملاك الربّ. كما أنّ بقايا كنيسة النّيام السبعة في أفسس تشهد على وجود عشرات المدافن وبعض الآثار المسيحيّة القديمة، وبالقرب منها العديد من المغاور المنحوتة في الصخر.

٤. أهل الكهف في الإسلام

يتخطّى تأثير قصّة النّيام السبعة الإطار المسيحيّ، إذ إنّ هناك قصّة شبيهة لاستشهادهم في السورة ١٨ من القرآن المخصّصة "لأهل الكهف". والترجمة باللغة الفرنسيّة لقصّة النّيام السبعة والمنسوبة إلىFrançois Jourdan، يذكر فيها المخطوط العربيّ من المكتبة الوطنيّة في باريس(Manuscrit arabe BN 1931) الذي يعود إلى القرن السابع، حيث نجد: "هناك نسخة عربيّة إسلاميّة لقصّة النّيام السبعة منسوبة لابن عبّاس، أحد رفاق النبيّ محمد نفسه"[٢١]. يبدأ نصّ ابن عبّاس، بصلاة لله يتلوها أهل الكهف لكي ينالوا المساعدة في مصيرهم ضدّ داكيوس الملك الوثنيّ في مدينة أفسس. لقد اعترفوا بإيمانهم بالله، خالق السماء والأرض. "تسلّقوا الجبل... ودخلوا المغارة. وأقام الله عليهم سُباتًا فناموا... وقال تمليخا: "يا إخوتي، إعلموا أنّكم قد نمتم مدّة ثلاثماية وتسع سنين"[٢٢].

هذا ما يدلّ على أنّ القصّة التي يذكرها ابن عبّاس لها جذورها في النصوص السريانيّة مع بعض الخصوصيّات.

إنّ السورة ١٨ من القرآن التي تحمل عنوان "أهل الكهف"، تتلى كلّ يوم جمعة في المساجد. فهذه السورة تُعظّم رحمة الله تجاه النّيام السبعة الذين ثبتوا على إيمانهم بالله في وجه الأمر الوثنيّ الذي حكم بدفنهم وهم أحياء، وقد طال نومهم مدّة ثلاثماية وتسع سنين، كما تُعظّم إيمان الشهداء السبعة بالله، وبالقيامة والدينونة[٢٣].

٥. مقابلة

القرآن[٢٥]	السنكسار الكرشونيّ[٢٤]
أصحاب الكهف	من سلالة عريقة
لا ذكر لأسمائهم	أسماؤهم: مكسيميانوس، أمليكوس، مرتنيانوس، يوحنا، أنطونيوس، قسطنطين، سرافين
سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم، ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجمًا بالغيب، ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم. قل ربّي أعلم بعدتهم	عددهم: سبعة
فتية آمنوا بربّهم وزدناهم هدى، وربطنا على قلوبهم إذ قاموا فقالوا: ربّنا ربّ السماوات والأرض ولن ندعو من دونه إلهًا	الفتية السبعة يرفضون أمر الملك الوثنيّ بالسجود للآلهة الوثنيّة ويفضّلون الاستشهاد على التخلّي عن إيمانهم بالله

(21) François Jourdan, *op. cit.*, p.15 ; 16-32.

(٢٢) **القرآن الكريم**، لجنة مراجعة المصاحف، بمجمّع البحوث الإسلاميّة بالجامع الأزهر، بالفرار، ٢٠ ق ٢٧، جرابر، سنة ١٩٦٤، ص ٣١.

(23) Louis Massignon, « Les Sept Dormants » Apocalypse de l'Islam, Paris, 1950, p. 104 – 118.

(٢٤) **السنكسار الكرشونيّ**، الخوري يوسف دياب، خطّه في عهد البطريرك الياس الأول (الحويك)، بأيّام المطارنة بولس عوّاد ويوسف نجم ويوسف دريان، النواب البطريركيّين، زان، ١٩٠٠، بدون ترقيم، محفوظ في دير مار يوسف، جربتا، لبنان.

(٢٥) **القرآن الكريم**، ... ص ٢٢٨–٢٣٦.

وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله، فأووا إلى الكهف ينشر لكم ربّكم من رحمته ويهيّئ لكم من أمركم مرفقًا	الفتية السبعة يلجأون إلى جبل "عقلون" في مدينة أفسس ويأوون إلى مغارة
إذ آوى الفتية إلى الكهف فقالوا: ربّنا آتنا من لدنك رحمة وهيّئ لنا من أمرنا رشدًا	يرسل الملك جنوده ليسدّوا باب المغارة على الفتية ليموّتهم جوعًا، فرمى أحدهم خلسة قرب المدخل لوحًا من نحاس حفر عليه قصّتهم
ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وزادوا تسعًا. والله أعلم بما لبثوا	ألقى الله عليهم سباتًا فناموا مدّة ٢٠٠ سنة، وكانت المملكة خلال ذلك الوقت قد ارتدّت إلى المسيحيّة
وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم. قال قائل منهم: كم لبثتم ؟ قالوا: لبثنا يومًا أو بعض يوم	قد اكتشف المغارة راعٍ فدخلها ورأى الفتية بأجسامهم الطريّة. الربّ يوقظ الفتية، فظن كلّ منهم أنه لم ينم إلاّ ليلة واحدة
فابعثوا أحدكم بوَرَقكم هذه إلى المدينة فلينظر أيّها أزكى طعامًا فليأتكم برزق منه	الفتية يرسلون واحدًا منهم للاستطلاع وشراء الطعام (حاملاً النقود القديمة)

أم حسبت أن أهل الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبًا ؟	النقود القديمة تكشف أمر الفتية فيأتي الملك تيادوسيوس الثاني الصغير والأسقف والشعب إلى المغارة برفقة الفتى الذي نزل إلى المدينة ليجدوا لوح النحاس وقد دُوّن عليه قصّة الفتية السبعة
وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حقّ، وأن الساعة لا ريب فيها	يتأكّد الملك تيادوسيوس الصغير في المغارة من حقيقة القيامة التي نفاها بعض المشكّكين (سنة ٤٦٠ م)
فقالوا: ابنوا عليهم بنيانًا. قال الذين غَلبوا على أمرهم: لنتخذنّ عليهم مسجدًا.	يأمر الملك تيادوسيوس الصغير ببناء كنيسة كبرى على اسم فتية أفسس السبعة في مكان المغارة.

تُظهر هذه اللوحة مدى التقارب الحاصل بين القصّتين على مرّ الزمن.

لا يذكر القرآن شيئًا عن أصل الفتية "أهل الكهف"، ولا الزمان الذي عاشوا فيه، ولا تاريخ استشهادهم، ولا حتّى أسماءهم، مكتفيًا بكلمة "إنّهم". وليس من ذكر لموضع المغارة؛ جلّ ما يقال أنّهم أقاموا في المغارة مدّة ٣٠٩ سنين قمريّة أي ما يوافق ٣٠٠ سنة شمسيّة.

يؤكّد القرآن أنّهم ناموا "ولبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وزادوا تسعًا. والله أعلم بما لبثوا"، بينما يشير السنكسار الكرشونيّ إلى ٢٠٠ سنة والمارونيّ إلى

١٩٠ سنة.

بالنسبة إلى عددهم، يتردّد القرآن بين ثلاثة أو خمسة، أو سبعة، ويضيف بأنّ الله يعلم.

يتوافق القرآن مع السنكسار في ذكر المغارة بأنّها مكان الاستشهاد، ويسمّي السنكسار المغارة "عقلون".

لا يذكر القرآن أمر الملك كما في السنكسار، ولا ذكر لصحيفة النحاس المحفورة عليها قصّتهم وأسماءهم.

لا يذكر القرآن ذخائر النّيام السبعة، بينما يشير السنكسار إلى اكتشاف ذخائرهم ما بين سنتي ٤٤١ و٤٧٧ تحت حكم توادوسيوس الثاني الصغير.

يضع السنكسار الفتية السبعة في حقيقة أمرهم: "يرفضون أمر الملك الوثنيّ بالسجود للآلهة الوثنيّة"، ويشير إلى إيمانهم: "ويفضّلون الاستشهاد على التخلّي عن إيمانهم بالله".

يشدّد القرآن على أن استشهادهم كان في سبيل الإيمان فيقول: "ربّنا ربّ السماوات والأرض ولن ندعو من دونه إلهًا".

يلي القرآن قصّة نيامهم إلى مسألة "الساعة"، بينما إكرامهم بحسب السنكسار والنصوص الليتورجيّة فيعود إلى تبيان عقيدة قيامة الأموات.

خلاصة

اقتصر ذكر فتية أفسس السبعة الشهداء في الطقس المارونيّ على قصّتهم في السنكسار، وعلى إكرامهم في الصلوات الموجودة في المخطوطات، وفي أغلب الأحيان قبل ذكر الشهداء الأربعين في زمن الصوم الكبير، أمّا الإصلاح الليتورجيّ الأخير فلم يُدخِلها في زمن الصوم، فبقيت تراثًا ليتورجيًّا.

لم نعثر في دراستنا عن فتية أفسس السبعة على كنيسة مارونيّة على اسمهم في لبنان ولا من تقليد يُتّبع في عيدهم.

بانتماء "النّيام السبعة" المشترك إلى المسيحيّة ، كما إلى الإسلام "أهل الكهف"، إنّهم الأمناء على إيمانهم بالله، وإكرامهم قد عمَّ الشرق والغرب؛ فالمغارة كانت لهم الملجأ والقبر، وفيها رقدوا على رجاء القيامة والبعث.

قصّتهم، وإن اعتبرها البعض خرافة، قد اعتبرها آخرون رمزًا للإيمان والشهادة، ورأوا فيها أيضًا صورة عن حقيقة قيامة الأجساد؛ فما رآه "تمليخا" بعد أن نزل إلى المدينة من سلام، يلقاه المؤمن بالله بعد الموت: سلام وحياة جديدة مع الله.

المراجع

السنكسار بحسب طقس الكنيسة الانطاكيّة المارونيّة، إعداد الأب بولس ضاهر، منشورات معهد الليتورجيا في جامعة الروح القدس، ٢٣، الكسليك، لبنان، ١٩٩٦.

السنكسار الكرشونيّ، الخوري يوسف دياب، خطّه في عهد البطريرك الياس الأوّل (الحويّك)، بأيّام المطارنة بولس عوّاد ويوسف نجم ويوسف دريان، النوّاب البطريركيّين، زان، ١٩٠٠، بدون ترقيم، محفوظات دير مار يوسف، جربتا، لبنان.

القرآن الكريم، لجنة مراجعة المصاحف، بمجمّع البحوث الإسلاميّة بالجامع الأزهر، بالفرار، ٢٠ ق ٢٧، جرابر، سنة ١٩٦٤.

Bassil Martha, *L'Office Maronite des Sept Jeunes d'Éphès, le Ramšō et le Safrō, d'après le manuscrit Vatican Syriaque 235* (AD 1425/6), Mémoire en vue du Diplôme d'Études Approfondies, Université Saint-Esprit, Kaslik, Liban, 2009.

____, *Les Sept Dormants d'Éphèse, histoire et culte*, Séminaire de recherche, Kaslik, Liban, 2011.

Dagitim Basim Yayin, esèhpÉ, Rehber, Reklamcilik ve Ticaret a.s., Istanboul, Turquie, (sans année).

Jourdan François, *La tradition des Sept Dormants, rencontre entre chrétiens et musulmans*, Maison-neuve et Larose, Paris 2001, p. 57.

Michel Roger, *La tradition des Sept Dormants*, dans *La grotte et le rocher dans les religions*, Chemin de dialogue, Marseille 2004.

Migne J. P., *Dictionnaire des légendes du Christianisme*, collection d'histoires apocryphes et merveilleuses, Brepols, Belgique, 1989. (Les Bollandistes donnent aussi les textes de Métaphraste (Cf. *Act.SS. Julii*… Anvers, 1729, in-fol., t. IV, die vigesima septima).

Trait d'union Orient-Occident entre l'Islam et la Chrétienté, *Le Culte Liturgique et populaire des Sept Dormants Martyrs d'Ephèse* (*Ahl al-Kahf*), Étude réunie par Youakim Moubarac, Paris 1961.

Penicaud Manoël, *Aurora*, Supplément aux *Cahiers d'Orient et d'Occident, Les Sept Dormants d'Éphèse*, nº IV – printemps 2008.

Picucci Egidio, Mazoué Pierre, Schout Ignace, *Meryem Ana Evi, La Maison de la Vierge Marie à Éphèse*, Izmir, 1998.

MASSIGNON Geneviève, *Le culte des Sept Saints Dormants d'Éphèse, une vénération commune aux musulmans et aux chrétiens*, Firmin-Didot, Paris 1960.

____, « *Les Sept Dormants* » *Apocalypse de l'Islam*, Paris, 1950.

MONCELON Jean, *Les Sept Dormants d'Éphèse, Aurora*, Supplément aux *Cahiers d'Orient et d'Occident*, nº 4, France 2008.

مخطوط الفاتيكانيّ السريانيّ ٢٣٥
(١٤٢٦/١٤٢٥ أقدم مخطوط صوم ماروني)

يذكر فرض فتية أفسس السبعة وفرض الأربعين شهيدًا من سبسطية في زمن الصوم الأربعينيّ المقدّس

مدخل كنيسة فتية أفسس السبعة في أفسس– تركيا

على اليمين قبر مريم المجدليّة

مئات المدافن داخل الكنيسة.
رقاد في جوار الفتية السبعة

كنيسة فتية أفسس النيام السبعة والينبوع، السوق القديم، بروتانيا، فرنسا

أهل الكهف منمنمات فارسيّة

منتصف القرن السادس عشر،

متحف "متروبوليتان" في نيويورك

أصحاب الكهف، قصص الأنبياء،

نهاية القرن السادس عشر،

المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة، باريس

أهل الكهف في الأردن

أهل الكهف في جبل العروس في اليمن

أهل الكهف في تونس

قراءة أيقونة البشارة لمريم العذراء على ضوء القرآن، سورة مريم ١٩ وإنجيل يعقوب التمهيديّ

بول زغيب
دكتور في التاريخ
جامعة الروح القدس – كسليك

أَقْتَرِحُ في هذا المقال إمكانيَّة قراءة أيقونة بشارة مريم العذراء مع تجسُّد السيّد المسيح، على ضوء القرآن وإنجيل يعقوب التمهيديّ.

وقد استندتُ في قراءتي هذه إلى:

أيقونة البشارة من القرن ١٢ الموجودة في دير سيّدة كاترينا، في سيناء – مصر (أيقونة رقم ١).

أيقونة البشارة من القرن ١٢، الخاصَّة بمدرسة نوفغورود (Novgorod) الروسيَّة (أيقونة رقم ٢).

وإنّي لستُ بمدَّعٍ التَّحليلَ اللّاهوتيّ ما بين نصّ القرآن والكتابات المسيحيَّة، كما لا أدَّعي نقدَ النُّصوص القرآنيَّة والأناجيل المنحولة، ولا أيّ مقارنة ما بين النَّصّ القرآنيّ والكتابات القديمة.

إنَّما أُقاربُ بين عناصر عدَّة من سيرة حياة السَّيّدة العذراء في إنجيل يعقوب التمهيديّ، والتي لاحظتُ وجودَها أيضًا في سورتَين في القرآن:

السورة رقم ٣، تَحْتَ عُنْوَان ﴿سُورَة آل عِمْرَان﴾ من الآية ٣٣ إلى الآية ٤٧؛

والسُّورة رقم ١٩، تحت عنوان ﴿سُورَة مريم﴾ من الآية ٢١ إلى الآية ٣٦.

في السورة رقم ٣ هناك العناصر المشتركة التَّالية:

– النسب النبيل، المتحدّر من البطاركة الكبار (إنجيل يعقوب التمهيديّ ١: ١)؛ (السورة رقم ٣، ٣٣–٣٤).

– نذر حنّة (إنجيل يعقوب التمهيديّ ١: ٤)؛ (السورة رقم ٣،٣٥)

– ولادة السيّدة العذراء (إنجيل يعقوب التمهيديّ ٢: ٥)؛ (السورة رقم ٣،٣٦)

– قبول الرَّبّ بتكريس السَّيّدة مريم العذراء (إنجيل يعقوب التمهيديّ ١: ٥)؛ (السورة رقم ٣،٣٧)

– التَّربية المثاليَّة ... وغير المدنسَّة (إنجيل يعقوب التمهيديّ ١: ٥)؛ (السورة رقم ٣،٣٧)

– تبنّي مريم من قبل كاهن الهيكل زكريَّا (إنجيل يعقوب التمهيديّ ٧: ٢–٣ و١: ٨)؛ (السورة رقم ٣،٣٧).

– تقديم الملائكة الطَّعام للسيّدة العذراء (إنجيل يعقوب التمهيديّ ١: ٨)؛ (السورة رقم ٣،٣٧).

– عندما يصاب زكريَّا بالخرس (إنجيل يعقوب التمهيديّ ١٠: ٢)؛ (السورة رقم ٣، ٤١).

– تمجيد الملائكة لمريم (إنجيل يعقوب التمهيديّ ١١: ١)؛ (السورة رقم ٣، ٤٢)

– انتقاء الكهنة للعذراء لتكون خادمة الهيكل (إنجيل

يعقوب التمهيديّ ٨: ٢–٣ و١: ٩)؛ (السورة رقم ٤٤، ٣)

– بشارة الملاك لمريم العذراء (إنجيل يعقوب التمهيديّ ١١: ٢–٣)؛ (السورة رقم ٣، ٤٥–٤٧).

وقد اعتمدتُ مقاربةً مزدوجة في قراءة هاتين الأيقونتين:

من جهة، مقاربة إيقونولوجيّة (Iconologique)، أي اعتماد طريقة علميّة لقراءة الأيقونتين، من خلال الارتكاز على إنجيل يعقوب التمهيديّ، بعنوان "ولادة مريم العذراء" رؤيا يعقوب.

ومن جهة ثانية، الارتكاز على نهج سيمائيّ، يتيح لنا أن نستخلص من النصّ القرآنيّ لسورة مريم مفهومًا وجوهرًا يقودانا نحو قراءة واضحة للأيقونتين، وذلك من خلال اعتماد خطّ علم الوجود الرَّسميّ، وتطبيق إيقونوغرافيّ منطقيّ للنَّصّ القرآنيّ.

تجدر الإشارة إلى أنَّ التَّطابُق اللَّافِت بَيْنَ إنجيل يعقوب التمهيديّ وسورة مريم في القرآن، بالنّسبة لأسماء عائلة مريم ووجود الحيوانات في مغارة المسيح، وعقيدة الحبل بلا دنس، دَفعَنا إلى تحديد مفاهيم عدَّة، مستوحاة من نصّ إنجيل يعقوب التمهيديّ، وهي موجودة جَماليًّا في الأيقونتَين موضوع الدّراسة.

المفهوم الأوَّل محدَّد في الآية ١٦ من السُّورة رقم ١٩، وقد ذُكر فيها: "وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا".

هذا المفهوم القرآنيّ للمكان مذكور أيضًا في الإنجيل التمهيديّ لمار يعقوب في (الفصل ٧: ١) "لنقدها إلى هيكل الله، ولنتمِّم النذر الذي أقسمنا عليه، خشية أن يغضب الله علينا وينتزع منّا هذه الطفلة"، إذ نلاحظ في كلا النَّصَّين أنَّ تحديد وجهة الشَّرق في السُّورة رقم ١٩ وتحديد وجهة الهيكل في الإنجيل التمهيديّ يلتقيان في مدينة أورشليم–المدينة المقدَّسة. ففي بدايات الإسلام، وفي أوقات الصَّلوات كان المؤمنون يتَّجهون بصلاتهم نحو مدينة أورشليم (القدس). أمّا في أيّامنا هذه المحراب هو الذي يدُّل على اتّجاه مكَّة المكرمة. مع العلم أنَّ سكّان المغرب لا يزالوا يتَّجهون بصلاتهم نحو الشَّرق: "نحو المدينة المقدَّسة، أورشليم الجديدة" الواردة في رؤيا مار يوحنَّا (الفصل ٢١: ٢).

إنَّ سورة مريم رقم ١٩ الآية ١٧ تظهر أيضًا مفهوم الحجاب: "فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا".

بينما إنجيل يعقوب يذكر هذه العبارة "وعُقد اجتماع للكهنة وقالوا: "لنصنع حجابًا أو بساطًا لهيكل الربّ". فقال رئيس الكهنة: "هاتوا إليَّ عذارى سبط داوود اللواتي بلا عيب". وبحث المستشارون ووُجدوا سبعًا من تلك العذارى. ورأى رئيس الكهنة أمامه مريم التي كانت من سبط داوود وكانت بلا عيب أمام الله. فقال: "اختاروا لي بالقرعة مَنْ تغزل خيط ذهب ونارِيّ وكتان رفيع وحرير وبرتقالي مُحْمَرّ وقرمزي". وحصلت مريم بالقرعة على الأرجوان الخالص والقرمز، وإذ تسلَّمتهما، ذهبت إلى بيتها".

هذه الأخيرة تدلُّ على عذريَّة مريم المتمثّلة في أيقونات سيناء "أيقونة رقم ١".

حيث نرى في المشهديَّة الخلفيَّة ديكورًا هندسيًّا غنيًّا، يظهر مباني عِدَّة، بينها منزل مريم وكذلك تظهر مدينة الناصرة. إنَّ وجود "الجنَّة المقفلة" على سطح المبنى خلف عرش العذراء، يدلُّ بالتَّأكيد على ما ورد في نشيد الأناشيد لسليمان: "عروستي يا لها من جنّة مقفلة! جنّة مقفلة هي وينبوع مختوم" (نش ٤: ١٢). هذا النَّشيد الذي يتكلّم عن عذريَّة مريم.

وفي السّياق ذاته، ورد في الإنجيل التمهيديّ أنَّ مريم هي واحدة من العذارى السَّبع من قبيلة يهوذا اللَّواتي تمَّ اختيارهُنَّ لحياكة حجاب الهيكل. ويُذكر الحجاب أيضًا في السُّورة رقم ١٩ من القرآن، فهو يفصل مريم العذراء عن أهلها، في الدّيانة القديمة. فهذا الحجاب كان

يفصل قدس الأقداس أي حضرة الله، عن باقي الهيكل، حيث يتواجد الشَّعب: "وَيَصْنَعُ هَارُونُ كَفَّارَةً عَلَى قُرُونِهِ مَرَّةً فِي السَّنَةِ. مِنْ دَمِ ذَبِيحَةِ الْخَطِيئَةِ وَيكون ذلك مَرَّةً فِي السَّنَةِ مدى أَجْيَالِكُمْ. فهو مقدّس كلّ التّقديس لي أنا الربّ" (خر ٣٠: ١٠)؛ "فلو كان العهد الأوّل لا عيب فيه، لما دعت الحاجة إلى عهدٍ آخر" (عب ٩: ٧).

هذا يدلُّ على أنَّ الإنسان كان مفصولًا عن الله بالخطيئة "لكنّ آثامكم فصلتكم عن إلهكم، وخطاياكم حجبت وجهه فلا يسمع " كما ذكر النَّبيّ أشعيا (أش ٥٩: ٢).

حين عُلّق المسيح على الصَّليب انشقَّ حجاب الهيكل "فانشقّ حجاب الهيكل شطرين من أعلى إلى أسفل. وتزلزلت الأرض وتشقّقت الصخور" (مت ٢٧: ٥١).

بهذا الانشقاق المشهديّ، يدمّر الهيكل كما ذكر المسيح ولن يسكن الله بعدها في هيكل من صنع الإنسان "إنّ الله خالق الكون وكلّ ما فيه، فهو رب السماء والأرض لا يسكن في معابد بنتها أيدي البشر، ولا تخدمه أيد بشريّة كما لو يحتاج إلى شيء،لأنّه هو الذي يعطي البشر كلّهم الحياة وكلّ شيء" (أع ١٧: ٢٤-٢٥).

وبذلك يكون المسيح قد خلَّص بموته على الصليب الإنسانيَّة جمعاء، وأدخل الوثنيّين واليهود والعالم كلَّه دون تمييز، إلى الخيمة المسمَّاة قدس الأقداس. فيصبح المسيح الطريق الذي يصلنا مباشرةً، ومن دون أيّ فواصل، بالآب الضَّابط الكلّ: "أجابه يسوع: أنا هو الطريق والحقّ والحياة، لا يجيء أحد إلى الآب إلاّ بي" (يو ١٤: ٦).

إنَّ الدُّخول الحرّ إلى الهيكل هو مؤمّن عبر المسيح: "ونحن واثقون، أيّها الإخوة، بأنّ لنا طريقاً إلى قدس الأقداس بدم يسوع، طريقاً جديداً حيّاً فتحه لنا في الحجاب، أي في جسده" (عب ١٠: ١٩-٢٠).

عدم شفافيَّة الجسد التي تحجُب بطريقة مجازيَّة وجودَ الكلمة، أي الله، فيتراءى لنا بهذه الصُّورة أنَّ جسد المسيح الذي تمزّق من أجلنا قد مزّق الوشاح السَّميك غير الشَّفّاف، لكي نتمكَّن من رؤية الآب.

وقد أظهرت السُّورة رقم ١٩ الآية ١٧من القرآن مفهومًا آخر، وهو مفهوم الطّفل المنتظر: "فَاتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا".

هذا المفهوم يتَّصل بالفقرة ١،١١ من الإنجيل التمهيديّ لمار يعقوب: "فقال لها ملاك الربّ: "لن يكون الأمر كذلك يا مريم، لأن قوة الله تظلّلك، والقدوس يولد منك ويُدعى ابن الله.". ويسوع الطّفل-البالغ قد ذكر في السُّورة ٣ الآية ٤٦ من القرآن الكريم "قالت ربّ أنّى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر قال كذلك الله يخلق ما يشاء إذا قضى أماً فإنّما يقول له، كن فيكون." والفكرة ذاتها أعيدت في السُّورة رقم ١٩ الآيات ٢٩ و٣٠: "فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَن كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا، قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا".

يظهر الطّفل-البالغ في أيقونة بشارة العذراء لمدرسة نوفغورود، بطريقةٍ شفَّافة في النّصف الأعلى من جسد مريم، وهي تلمسه بيدها اليمنى. كطفل بالغ معلّق على صدر أمّه، وهو على يقين من دوره الخلاصيّ.

بهذا تصبح العذراء الباب الصَّالح، الذي لا يعبره أحد إلَّا المسيح وحده، الذي دخل في رحم العذراء والذي رغم ذلك بقي مغلقًا.

كما تظهرُ لنا هذه الوضعيَّةُ الحبلَ العجائبيّ بيسوع المسيح وتجسُّده. هو المسيح الطّفل-البالغ، العاري والمكلَّل بهالة أمام النّصف الأعلى من جسد العذراء. والعذراء تلامس كتف جنينها بنفس اليد التي تمسك بها خيط الحياكة. وبذلك إنَّ اتّصالها بيسوع الطّفل-البالغ، يذكّر بحبل الصّرَّة الذي يربط الجنين بأمّه.

هذه التَّفاصيل الأيقونيَّة تظهر آنيَّة الحبل وتفسّر

فكرة التَّجسُّد: "قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلامًا زَكِيًّا" (السورة ١٩، ١٩).

هذا التَّبشير قد تمَّ من قبل ملاك مرسل من الله.

بينما إنجيل يعقوب التمهيديّ الفصل ١١ الآية ٢ يسمّي الرَّسول ملاكًا.

ونُلاحظ في كلا الفقرتين أنَّ الملاك قد تدخَّل في حياة مريم، وذلك يترجم ديكونيا الملائكة في حياة الإنسان قبل ظهور المسيح:"فلما طلع الفجر كان الملاكان يستجلان لوطاً ويقولان له: "قم خذ امرأتك وابنتيك الموجودتين هنا، لئلا تهلكوا مع المدينة عقاباً لها"" (تك ١٩: ١٥).

تلك الملائكة التي أوحت إلى لوط وعائلته بمغادرة مدينة صادوم، قبل أن تدمَّر من قبل الله القدير. والملاك روفائيل الذي وجَّه طوبيًّا ليجد طريقه إلى مدينة ميديا (طو ٥: ٥).

في الختام لا تكون هذه القراءة للأيقونات ممكنة إلَّا من خلال منهجيَّة متكاملة بين النَّصَّين المكتوبَين، دون أن نتبع مقارنة بين نصّ القرآن والإنجيل التمهيديّ لمار يعقوب.

وأخيرًا يمكننا أن نستخلص، من خلال قراءتنا لأيقونة بشارة العذراء، أنَّ الهَدَفَ الأَسَاسِيَّ للقرآن كما للكتابات المسيحيَّة هو رسم الطَّريق إلى الله.

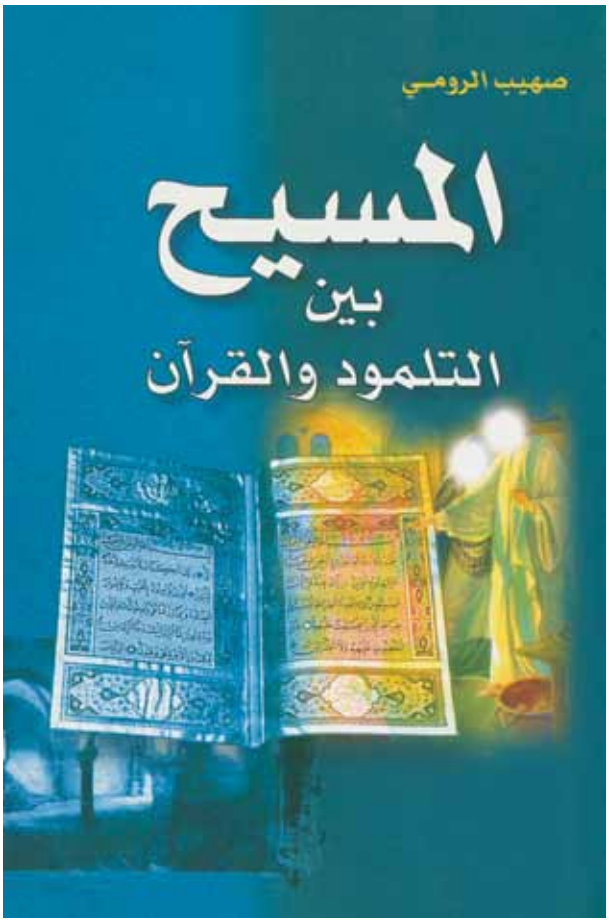
صهيب الرومي
المسيح
بين
التلمود والقرآن

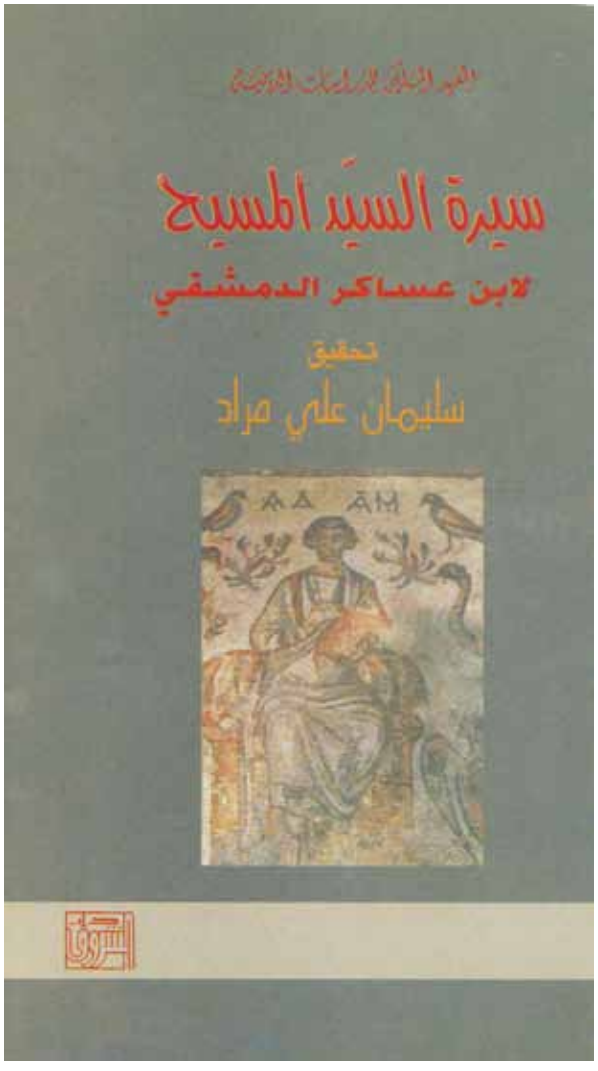
سيرة السيد المسيح
لابن عساكر الدمشقي
تحقيق
سليمان علي مراد

القرآن الكريم

فهرس السور

الفاتحة	طه	الزمر	المجادلة	المرسلات	العلق
البقرة	الأنبياء	غافر	الحشر	النبأ	القدر
آل عمران	الحج	فصلت	الممتحنة	النازعات	البينة
النساء	المؤمنون	الشورى	الصف	عبس	الزلزلة
المائدة	النور	الزخرف	الجمعة	التكوير	العاديات
الأنعام	الفرقان	الدخان	المنافقون	الإنفطار	القارعة
الأعراف	الشعراء	الجاثية	التغابن	المطففين	التكاثر
الأنفال	النمل	الأحقاف	الطلاق	الإنشقاق	العصر
التوبة	القصص	محمد	التحريم	البروج	الهمزة
يونس	العنكبوت	الفتح	الملك	الطارق	الفيل
هود	الروم	الحجرات	القلم	الأعلى	قريش
يوسف	لقمان	ق	الحاقة	الغاشية	الماعون
الرعد	السجدة	الذاريات	المعارج	الفجر	الكوثر
ابراهيم	الأحزاب	الطور	نوح	البلد	الكافرون
الحجر	سبأ	النجم	الجن	الشمس	النصر
النحل	فاطر	القمر	المزمل	الليل	المسد
الإسراء	يس	الرحمن	المدثر	الضحى	الإخلاص
الكهف	الصافات	الواقعة	القيامة	الشرح	الفلق
مريم	ص	الحديد	الإنسان	التين	الناس